



مختصر الاعتقاد

للإمام البيهقي

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

المتوفى سنة ٩٧٣ هـ



قدم له

أ.د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي

دراسة وتحقيق

يوسف رضوان الكود



دار الكرز



تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

المتوفى سنة ٩٧٣ هـ

قدم له

أ.د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر

دراسة وتحقيق

يوسف رضوان الكود

باحث في تراث الإمام الشعراني

دارة الكرز

الكتاب: مختصر اعتقاد البيهقي

تأليف: الإمام عبد الوهاب الشعراني

الناشر: دارة الكرز

سنة الطباعة: ٢٠٠٨

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠١٤٣

الترقيم الدولي: 978-977 - 462-011-9



دارة الكرز

للنشر والتوزيع

١٧ ش منشية البكري - مصر الجديدة

Darat al-Karaz,

17 Manshiyyat Al-Bakri St, Cairo

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

Email: darkaraz@yahoo.com

تقديم

الحمد لله الملك القدوس الخلاق الفعال، المتنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال. والصلاة والسلام على خير من أبان عن وحدانية الذات وأعظم من تخلق بالأسماء والصفات، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد المعلومات والمجهولات.

أما بعد:

فما كان الصوفية عن تتبع آثار المصطفى ﷺ ببعيدين وما أقاموا عقائدهم إلا على أساس من السنة مكين، فسعى تُرجمانُهم الإمام العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني في اختصار عقيدة الإمام البيهقي القائمة على هدي من سنة النبي ﷺ مبينٍ.

ويقيننا أن نفراً سيرون هذا التأليف فَيُزْوِرُون، وسيطالَبون بتصحيح نظرتهم إلى القوم عامة وإلى الإمام الشعراني خاصة فيعرضون، «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون»، لم ينظروا من الإمام الشعراني إلا المتشابِه، ولم يروا فيه إلا صورة إنكارهم وتِبابِه، وهيهاتَ أن يكون صاحب «الميزان الكبرى» الفريد وصاحب هذا «المختصر» المفيد، وصاحب «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير» وصاحب «العهود المحمدية» و«تنبيه المغترين» بمثل ما ظنوا، بل هو هبة محمدية أتت في نهاية الألف الأولى من عمر أمة الإسلام لتشعل جذوة الإيمان في قلوب المتأخرين ملتزمةً مسالك السلف المتقدمين.

فههنا هدى ونور من لسان من لا ينطق عن الهوى، جمعه إمام أهل السنة البيهقي ذو الأيدِ البصير، واختصره من لا ينبئك مثله وهو خبير، مولانا الإمام عبد الوهاب الشعراني.

وقد نقل لنا الإمام الشعراني في هذا المختصر عن الإمام البيهقي النص على مباينة الله تعالى لجميع خلقه، وذلك عند الحديث عن استوائه تعالى على العرش، فكان

هذا موافقة من الإمام الشعراني للإمام البيهقي في نفيه الحلول والاتحاد عن الله ﷻ، وهي موافقة ينتفي معها تطرق أي مظنة لقول الإمام الشعراني بهذه العقائد الباطلة، ناهيك باعتنائه بهذا الكتاب الجليل الذي ما استطاع مناوئو أهل السنة الأشعرية الصوفية إلا التقوت عليه والنهل منه ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾(النحل: ٨٣). وهو ما فصله الأستاذ المحقق في مبحث خاص في مقدمة تحقيقه.

والظاهر لنا أن غرض الإمام الشعراني هو تأييد مذهب أهل السنة والجماعة بالأدلة النقلية، ولا شك أن خير ما تشيد به العقائد كتابُ الله وسنةُ نبيه ﷺ وكلامُ السلف الصالحين. ولعله رأى أن كثيراً من كتب التوحيد يخلو من تقرير العقائد بالأدلة النقلية الحاوية للكلام القديم ولكلام أشرف المرسلين ﷺ، فأراد أن ييسر للأمة جملة جامعة من النقول يسهل حفظها ويستضئ الساري بنورها، مستدركاً على كتب علم الكلام انصرافها إلى أدلة العقول دون شرائف النقول، فهو - صح ظننا أو لم يصح - غرض نبيل وعمل جليل جدير بالتعهد والتكرار من الناشئة والكبار ، فانظر إلى خدمة الصوفية لسنة سيدنا رسول الله ﷺ، وانظر إلى معتقد شائنيهم فيهم تعرفْ الحق بالحق وترى اليقين في عين الشك.

وقد نظرت في عدد الآثار التي استخلصها الإمام الشعراني من كتاب الإمام البيهقي وجعل عليها مدار الاعتقاد، فوجدتُها سبعة وسبعين، فكأنما أراداها موافقة لتعداد شعب الإيمان التي ورد في الحديث أنها بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، وهي كذلك عدد الشعب التي ضمنها الإمام البيهقي كتابه العظيم «شعب الإيمان». فكأنما يشير الإمام الشعراني بهذا إلى أن من أحصى الآثار التي اشتمل عليها هذا المختصر فقد استجمع أسباب الإيمان. والله تعالى أعلم.

وقد عكف الباحث المجتهد الشيخ يوسف اللكود على تحقيق الكتاب وضبطه ورد أقواله إلى مصادرها والترجمة لأعلامه وبيان ما أجمل من لفظه، فأحسن الصنيع

وخدم هذا المختصر الجليل وأوسعه جهداً، وقدم له بمقدمة تفصح عن شيء من قدر الإمامين البيهقي والشعراني، وتدفع عن ثانيهما ما ألصقه بها الأفاكون من المتعالمين. فكان من حسن توجهه أن سعى لإخراج هذا الكتاب، ولعله يخرج الآن لسر يظهره الله، فالمرجو بالتحقيق النفعُ وللكتابِ الانتشار.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد طب القلوب الحائرة، وعافية الأبدان الخائرة، ونور الأبصار القاصرة، وروح الأرواح في الدنيا والآخرة، وعلى آله وصحبه مدى الدهور الداهرة، وعلينا معهم بهم ولك يا رب الحمد في الأولى والآخرة.

خادم الأعتاب المحمدية
جودة محمد أبو اليزيد المهدي النقشبندي
نائب رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة التَّحْقيق

الْحمدُ لله ثُمَّ الْحمدُ لله، الْحمدُ لله الذي هدانا لِهذا، وما كُنَّا لِنهتـديَ لـولا أنْ هـدانا الله، وما توفيقي، واعتمادي وتوكُّلي إلا على الله، يا ربَّنـا لـك الْحمـدُ كـما ينبغـي لِجـلال وجهك ولعظيمِ سُلطانك، سبحانك اللهمَّ لا أُحصي ثناءً عليك أنـتَ كـما أثنيـتَ عـلى نَفسِك.

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً يَسعَد قائِلُها بِبلوغِ أَرَبه، ويَبعُد مَن أَخلَص بِها عن دار غَضَبه، وأشهد أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا مُحَمَّداً صلى الله عليه وسـلم عبـدُ الله ورسولُه، إمامُ كُلِّ رسولٍ ونَبِيٍّ، وسَيِّد كلِّ عالِمٍ وتَقيٍّ.

اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِك على سيِّدنا مُحَمَّـدٍ الرَّسـول الكـريْم، الـرَّؤوف الـرَّحيم، صاحبِ الْخُلُق العظيم، الذي أَرسله الله رحْمةً للعـالَمين، وعـلى آلـه وأصـحابه الطَّيِّـبِيْن الطَّاهرين، ومَن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أهمِّية هذا الكتاب تنبع من

أ- الْمكانة العلميَّة العالية للإمام الشَّعراني في شتَّى ميـادين العلـوم والْمعرفـة، ومـا خلَّفه من آثار كثيرة ومتنوعة تـدل دلالـة واضـحة عـلى ذلـك، فقـد ألَّـف في العقيـدة وأصول الدين عِدَّة كتب قيِّمة نافعة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومن أهَمِّهـا كتاب اليواقيت والجواهر في بيـان عقائـد الأكـابر، ومختـصره وكتـاب ميـزان العقائـد الشَّعرانية وكتاب فرائد القلائد في علم العقائد ومختصره.

وألَّف في الفقه كتابَه القيِّم الميزان الكبرى[1] والذي اعتُبر فيه مُجَدِّداً في الفقـه، فقـد

(١) الميزان الكبرى، أو الميزان الشعرانية: رتَّبه على جميع الأبواب الفقهية، مقدِّماً الأمرَ الذي اتفق عليه الفقهاء، ثُمَّ الأمرَ الذي اختلفوا فيه معلِّلاً لكلِّ قول بتعليل مِلؤه الحكمة والتوفيق وعدم التعـصب لِمـذهب دون آخـر؛ لأنَّـه

وَفَّقَ فيه بين أئمَّـة الفقـه الإسـلامي والـذي يعـدُّ أولَ دراسـة توفيقيَّـة جَدِّيَّـة مقارِنـة للمذاهب الفقهية، ونَظَراً لأهَمِّيته ونَظَرَته السَّاميَة إلى الفقه الإسلامي والتي تعلو فـوق أي تعصُّب مذهبِيٍّ أو طائفيٍّ، أثنى عليه العلماء قديْماً وحديثاً، وتُرجِم إلى أكثر من لغـة من اللغات الحْيَّة[1].

وألّف في القواعد الفقهية كتابين هُما: المْقاصـد الـسنية في بيـان القواعـد الـشرعية، وهو مُختَصر لقواعد الزَّرْكشي مع تصويبات وترجيحات جليلـة، ثـم إنـه صـنَّف كتابـاً آخراً مَزَجَ فيه العديدَ من أمَّهات كتب القواعد الفقهية، وحذف المْتـداخل منهـا فجـاء كتاباً ضخماً نفيساً كما سيأتي بيانه لاحقاً إن شاء الله تعالى .

وألَّف في أصـول الفقـه عـدة كتـب منهـا: الفـصول في علـم الأصـول، ومنهـاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول والملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع، ومفحِم الأكباد في موادِّ الاجتهاد، والاقتباس في علم القياس، وحَـدُّ الحُْسام على من أوجَب العمل بالإلْهام، وغير ذلك من الكتب والرسائل.

وهـذه الناحيـة العلميـة الهامَّـة والمنسيَّة في حيـاة الـشعراني رحمه الله قـد يَجهلهـا أو يتجاهلها بعض الناس، ظناً منهم أن الإمام الـشعراني كـان شـيخ طريقـة هَمُّـه الأوراد والأذكار فحسب- وهي ناحية لا يُستهان بِها- لا علاقة له بهذه العلـوم لا مـن قريـب ولا من بعيد، وهذا على خلاف حقيقته فقد كان مربِّياً كبيْراً، وعالماً في علـوم الـشَّريعة، متبحِّراً فيها، ومتخلِّقاً بأخلاقها.

يَعتبِر أنَّ كل مذاهب المجتهدين من هذه الأمَّة متَّصلة بعين الشَّريعة اتِّصال الظِّلِّ بالـشَّاخِص والأصـابع باليـد، وغير خارجة عنها أبداً. **ينظر**:الميزان الكبرى للشعراني: ص١-٢٠ دار الفكر.

(١) **ينظر**: مقدمة تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة على كتاب الميزان الكبرى للشعراني: ج١/ ١٩، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩هـ.

فأحببتُ من وراء تَحقيقي لِهذا الكتاب أنْ أبيِّن جانباً من المْكانة العلميَّة المْرموقة **التِي تَبوَّأها الإمامُ الشعرانِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ، والتِي لا تخفى على العلماء المُخلصين وأهل الله العاملين، وأن أبيِّن أيضاً شيئاً من قيمته في ميادين العلم والمعرفة ومدى تفاعله مع توجيهات الإسلام، وعنايته ببناء الإنسان المُسلم الذي هو حَجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي الأصيل، إنصافاً له، معتمداً في ذلك كلِّه على ما كتبه الذين ترجموا له من العلماء، سواء الذين عاصروه أو الذين جاؤوا من بعده.

ب- **والأمر الثاني** هو قيمة الكتاب العلمية، فالكتاب مُختصر لكتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ، وهذا الكتاب يعتبر من أهمِّ وأصحِّ الكتب العقائدية المُسنَدة، الناطقة والمُترجِمة لعقيدة أهل السُّنَّة والجْماعة، ونظراً لأهَمِّيته البالغة اختصره الإمام الشَّعرانِيُّ وقدَّمه لنا كتاباً سهلاً من غير تطويل مُمِلٍّ ولا اختصار مُخِلٍّ، فقال في مقدمته على هذا الكتاب: «هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجْماعة التي رواها الإمامُ أحمدُ البيهقيُّ بسنده في كتابه المُسمَّى بالاعتقاد، وانتقيتُها منه رجاءَ نفْع الإخوان بها، فإنَّ الهِمَمَ قد قَصُرت عن مطالعة المُطوَّلات».

وعلى الرَّغم من أهَمِّيّة هذا الكتاب، إلا أنَّه لَمْ يَر النور منذ زمن بعيد؛ لأنَّه لا يزال قابعاً في خزائن المخطوطات فأحببتُ أن أخرجَه من عزلته تلك إلى حيِّز المطبوعات، مَخدوماً مُحقَّقاً؛ رجاء أن أُكتَب في أنصار دين الله تعالى، مقدِّماً الخيرَ والنَّفعَ لي ولجِميعِ المُسلمين والحمدُ لله ربِّ العالَمين.

يوسف رضوان الكَود

سوريا - محافظة درعا

٥/ رجب / ١٤٢٩هـ ٢٨ / ٧/ ٢٠٠٨م

عملي في خدمة هذا الكتاب

يَتلخَّصُ في خدمة نصِّ الكتاب وتَحقيقِه، وإخراجه كما وَضَعه مؤلِّفُه الإمامُ الشعراني، أو قريباً منه، وهو يَتضمَّن الأمورَ التالية:

الأول: كتابة نصِّ المخطوطة حسب الرسم الإملائي المتعارف عليه في عصرنا الحاضر، ووضع علامات الترقيم الحديثة، واكتفيت بالإشارة هنا عن التنبيه على كل نص خالف رسم وإملاء عصرنا.

الثاني: المحافظة على تشكيل النَّصِّ إذا كان موجوداً، ثم تشكيل ما يلزم تشكيله لإيضاح النص.

الثالث: ضبط الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام الأعجمية- إن وجدت- بالشَّكل اللازم.

الرابع: وضع الآيات الكريمة الواردة في النص بين قوسين مزهرين هكذا:﴿ ﴾، ثم عزوها إلى سورها في القرآن الكريم وجعل ذلك في المتن، ويكون ذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، هكذا (النساء:٩).

الخامس: وضع الأحاديث النبوية الواردة في النص بين قوسين هلاليين صغيرين هكذا «...».

السادس: تخريج الأحاديث والآثار الواردة في النص من مصادرها الأصلية، مع ذكر الحكم عليها- ما لم تكن في الصحيحين أو أحدهما- بالنقل عن الأئمة العدول المعتبرين في هذا الشأن.

السابع: ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب.

الثامن: توثيق النقول التي نقلها الإمام الشعراني عن العلماء، وذلك بالرجوع إلى مصادرها، ونسبتها إلى أصحابها.

التاسع: شرح الألفاظ الغريبة، والمشكلة.

العاشر: وضع العناوين المناسبة للمسائل، تسهيلاً للقارئ، وبياناً لعناصر البحث، وجعلتها بين قوسين معكوفين، وبخطٍّ بارز مفرّغ هكذا:[مقدمة الإمام الشعراني] مثلاً؛ للإشارة على أنها زيادة منِّي، وليست من أصل الكتاب، واكتفيت بالتنبيه على ذلك هنا، من دون أن أشير لها في الهوامش.

الحادي عشر: التعليق على بعض المواضيع والأفكار التي تحتاج مزيداً من الإيضاح والشرح.

الثاني عشر: تعريف المصطلحات العلمية الواردة في الكتاب.

الثالث عشر: تصحيح بعض الأخطاء الإملائية أو التصحيفات التي قد تقع سهواً من الناسخ، وذلك بالرجوع إلى أصل هذا الكتاب وهو الاعتقاد للإمام البيهقي.

الرابع عشر: عند الانتهاء من كل ورقة من أصل المخطوط أضع علامة نجمة هكذا:(*) بعد آخر كلمة وردت في الورقة، ثم أشير في أسفل الهامش إلى رقم الورقة مقروناً بالحرف (أ) للوحة اليمنى، والحرف (ب) للوحة اليسرى مثاله في الهامش:(ق ٥/ أ) أو:(ق ٥/ ب).

الخامس عشر: لم أشر في الْهَامِش إلى اختلاف النُّسخ، فقد اعتمدت في عملي على نسخة واحدة تُعتبَر النسخة الأم وهي نسخة دار الكتب المصرية، وذلك لعدم عثوري إلا عليها بعد البحث والتفتيش.

وبعد:

فهذا هو عملي لِخِدْمة هذا الكتاب النَّفيس، متحرِّياً في كلِّ ذلك - قدر استطاعتي - الدِّقَّة والأمانة العلميَّة التي هي فوق كل اعتبار، فالله حسبي، وعليه أتوكَّلُ وبه أستعين، على القيام بهذا العمل على أكمل وجه وأَتَمِّه، والله أرجو أن يكون عملي في هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ ينفعني به أوَّلاً، وينفعَ به طلابَ العلم، وكلَّ ناظرٍ فيه إنَّه قريبٌ مُجيبُ الدُّعاء، والْحَمْد لله ربِّ العالَمين.

الفصل الأول

ترجمة الإِمام أبي بكر البيهقي

مؤلِّف كتاب «الاعتقاد»

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

* **المبحث الأول**: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.
* **المبحث الثاني**: شيوخه، وتلاميذه.
* **المبحث الثالث**: مؤلَّفاته.
* **المبحث الرابع**: وفاته، وثناء العلماء عليه.

المَبحَث الأوَّل

اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته

هو: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، أبو بكر، الإمام، العلامة، الحافظ، البيهقي، النيسابوري، الخُسْرَوْجِرْدي.

ولد في خُسْرَوْجِرْد (قرية من قرى بيهق بنيسابور)سنة (٣٨٤هـ)، ونشأ في بَيْهَق[١] التي كانت تموج بالحركة العلمية الواسعة، مما أدى بالإمام البيهقي أن يلتقي بنخبة علماء عصره، في سنٍّ مبكِّرة، ويكتب عنهم الحديث، يقول رحمه الله :«كتبْتُ الحديثَ من سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وأدركْتُ بعضَ أصحاب الشرقيين، وابن الأعرابي، والصَّفَّار والرَّزَّاز والأصمَّ وابن الأخرَم»[٢]. فَسَمع وهو ابن خمس عشرة سنة من شيوخه الذين بلغوا المئة شيخ، ولعل هذه السن المبكرة التي ابتدأ البيهقي التطواف على الشيوخ استقلالاً هي المرحلة العلميّة التي أشار إليها هو، في أثناء حديثه عن نفسه فقال:«وأني منذ نشأت، وابتدأت في طلب العلم أكتب أخبار سيدنا المُصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين، وأجمع آثار الصحابة الذين كانوا أعلام الدين، وأسْمعها مِمَّن حَمَلَها، وأتعرَّف أحوالَ رواتِها من حُفَّاظها، وأجتهد في تَمييز صحيحها من سقيمها، ومرفوعها من موقوفها، وموصولِها من مرسلها، ثُمَّ أنظر في كتب هؤلاء الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة، وبنَى كلُّ واحد منهم مذهَبَه على مَبْلَغ عِلْمه من الكتاب والسُّنَّة، فأرى كلَّ واحد منه رضي الله عنهم جَمعيهم قَصَد الحَقَّ فيما تكلف واجتهد في أداء ما كُلِّف»[٣].

(١) بَيْهَق: أصلها بالفارسية بينهه بِهاءَين، ومعناه بالفارسية الأجود، وهي ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، أخرجت مَن لا يُحصى من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء.ينظر:معجم البلدان لياقوت الحموي:ج١/ ٥٣٧.

(٢) بيان من أخطأ على الشافعي للإمام البيهقي:ص٣٣٤ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١/ ١٤٠٢هـ تحقيق: د. الشريف نايف الدعيس.

(٣) معرفة السنن والآثار للإمام البيهقي:ج١/ ١٤٠-١٤١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، تحقيق:أحمد صقر.

فهذه النشأة - كما يظهر من كلامه- نشأة زكية، مدعومة بنهضة مبكرة في الأخذ بأولويات العلوم، ومعرفة مراتبها[1].

وفي هذه النشأة العلمية المبكرة أيضاً، رحل في طلب الحديث والعلم، وتَجوَّل في البلاد، فقد رحل إلى العراق والحجاز وسَمع في نوقان وإسفرائين وطوس وهَمدان وأصبهان والرَّي ونيسابور، وغيرها من البلاد والآفاق، مصاحباً علماءها ومشايخها وأدباءها، الذين كان لهم الأثر الأكبر في نبوغه العلمي المبكِّر، حتى غدا أحد أئمة المسلمين وهداة المؤمنين والدعاة إلى حبل الله المتين، وفقيهاً جليلاً، وحافظاً كبيراً زاهداً ورعاً قانتاً لله تعالى، وجبلاً من جبال العلم، وخَلَفاً لأساتذته في تصنيف العلم، وتحرير الكتب التي تشرح أصول الإسلام، وقواعد الإيمان[2].

المُبحَث الثاني

شيوخه، وتلاميذه

كما هو واضح من النشأة العلمية المبكرة للإمام البيهقي رحمه الله، فإنه التقى بكبار علماء الأمة في عصره ولازمهم وأخذ عنهم، في عدة بلدان على حسب رحلته، فتجاوز عدد العلماء الذين أخذ عنهم المئةَ شيخ، لا يسعني في هذه العجالة أن أذكرهم كلَّهم، ولكن أذكر بعضاً منهم خشية الإطالة.

١ - الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البَيِّع الضَّبِّي الطُّهماني، النَّيسابوري الشَّافعيّ، الصُّوفيّ، الإمامُ، الحافظُ، النَّاقِد، العَلامة، شيخ المحدِّثين، صاحب التصانيف، المولود سنة:(٣٢١هـ) بنيسابور.

---

(١) ينظر: الإمام البيهقي للدكتور نجم خلف: ص٣٧-٣٨.

(٢) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية للإمام ابن الصلاح: ج١/ ٣٣٢-٣٣٦، سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٣-١٦٥، طبقات الشافعية للسبكي: ج٤/ ٨-٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج١/ ٢٢١، مقدمة تحقيق كتاب دلائل النبوة للدكتور عبد المعطي قلعجي: ج١/ ٩٢-٩٤.

طَلب العلم في صغره بعناية والده وخاله، ثم أخذ عن خيرة العلماء في زمانه، فتفقه على الإمام أبي سهل الصُّعلوكي، والإمام ابن أبي هريرة، وغيرهم، حتى نبغ في سائر العلوم وخاصة في الحديث وعلمه، وبعد أن تحقق له النبوغ العلمي شرع في التصنيف، فاتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريباً من ألف جزء، فله كتاب معرفة علوم الحديث والمستدرك على الصحيحين والمدخل إلى علم الصحيح، وكتاب الإكليل، وفضائل الشافعي، وغير ذلك، فاعترف له مقدَّمو علماء عصره مثل الإمام أبي سهل الصُّعلوكي والإمام ابن فورك وسائر الأئمة بسعة العلم، فقدموه على أنفسهم، وراعوا حقَّ فضله، وعرفوا له الحرمة الأكيدة.

لقيه الإمام البيهقي في مطلع نشأته العلمية، أثناء رحلته إلى نيسابور، وعظمت استفادته منه، وكبر انتفاعه به، وقد بلغت مروياته عنه في كتاب السنن الكبرى وحده (٨٤٩١) رواية، قال الإمام الذهبي في وصف الكم الوافر من العلوم التي سمعها من الإمام الحاكم: «سَمع من الحاكم أبي عبد الله الحافظ، فأكثر جداً، وتخرج به»[1]. وقال أيضاً: «عنده عن الحاكم وقر بعير أو نحو ذلك»[2]، توفي الإمام الحاكم رحمه الله سنة (٤٠٥هـ)[3].

٢- أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ: محمد بن الحسين بن موسى الأزدي النيسابوري، السُّلَمي، أبو عبد الرحمن، شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، ولد على المشهور سنة (٣٣٠هـ)، سمع من أبي العباس الأصم وأحمد بن علي بن حسنويه المُقرىء وأحمد ابن محمد بن عبدوس ومحمد بن أحمد بن سعيد الرازي، وغيرهم، وروى عنه من

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٥.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان: ج٤/ ٢٨٠-٢٨١، سير أعلام النبلاء: ج١٧/ ١٦٢-١٧٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤/ ١٥٥، طبقات الشافعية: ج١/ ١٩٣-١٩٥.

الأئمة: الحاكم وأبو القاسم القشيري والبيهقي، له اليد الطُّولَى في التَّصوُّف والعلم الغزير، والسَّير على سُنَن السَّلف، قال الإمام الخطيب البغدادي[1]: «قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ومحله في طائفته كبير، وقد كان صاحب حديث مُجُوِّداً، جَمع شيوخاً وتراجم وأبواباً، وبنيسابور له دويرة معروفة به يسكنها الصوفية». توفي رَحِمَهُ اللهُ في شعبان سنة: (٤١٢هـ)[2].

٣- عبدُ الله بنُ يوسفَ بنِ عبدِ الله بنِ يوسفَ بنِ محمدٍ، الشَّيخُ الإمام أبو محمَّد الجْوينيُّ، والِد إمام الحرمين، شيخُ الشافعيةِ، وأحَدُ أصحابِ الوجوه في المذهب، لقِّب بِرُكنِ الإسلام، أصلُه من قبيلة من العرب، قرأ الأدبَ على والده، لازم الإمامين أبا الطيب الصُّعلوكي والقَفَّالِ حتى برَعَ عليهما مذهباً وخلافاً، كان إماماً في التفسير والفقه والأدب، صَنَّفَ التَّصانيفَ الكثيرة منها: الهِداية إلى بلوغ النهاية في معانِي القرآن الكريم وتفسيرِهِ، والتَّبصرة في القراءات، وغيرهما، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة: (٤٣٨هـ)[3].

٤- أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ، إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مهرانَ، الأستاذُ، الإمام العلامة، أحد أئمة الدِّين كلاماً وأصولاً وفروعاً، جمع أشتات العلوم، اتفقت كلمةُ الأئمة على تبجيلِهِ وتعظيمِهِ وجمعِهِ شَرائِطَ الإمَامَةِ، وهو أول من لقِّبَ بركن الدِّين من العلماء، تفَقَّهَ عليه القاضي أبو الطِّيب الطَّبَريّ والأستاذُ أبو القاسم القشيريُّ والإمامُ البيهقيُّ، له التصانيف الفائقة منها: كتاب الجامع في أصول الدِّين، والرد على

---

(١) في تاريخ بغداد: ج٢/ ٢٤٨ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد: ج٢/ ٢٤٨-٢٤٩، البداية والنهاية للإمام ابن كثير: ج١٢/ ١٢-١٣، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤/ ١٤٣-١٤٧.

(٣) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح: ج١/ ٥٢٠-٥٢١ دار البشائر الإسلامية، سير أعلام النبلاء: ج١٧/ ٦١٧-٦١٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ج ٥/ ٧٣ - ٧٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج٢/ ٢١٠.

الملحدين، والتعليقة في أصول الفقه وغير ذلك، كان يقول:«أشتهي أن أموتَ بنيسابور ليصلِّيَ عَلَيَّ جميعُ أهلِها»، فتوفي بها يوم عاشوراء سنة (٤١٨هـ)ثم نقل إلى بلده إسفرائين ودفن بها[1].

٥- مُحمَّد بن الحسن بن فُورَك، الأستاذ أبو بكر الأنصاري، الأصبهاني، الإمام الجليل، والحَبْر الذي لا يُجارى فقهاً وأصولاً وكلاماً ووعظاً ونَحْوا مع مهابة وجلالة وورع بالغ، ولد حوالي سنة (٣٣٢هـ)، أقام أولاً بالعراق إلى أن درس بها مذهب الإمام الأشعري على تلميذه أبي الحسن الباهلي، ثُمَّ توجَّه إلى الرَّي، فسعت به المبتدعة عند السلطان، فراسله أهل نيسابور، والتمسوا منه التوجُّه إليهم ففعل، وورد نيسابور فَبُنِيَ له بها مدرسة وداراً وأحيا الله تعالى به أنواعاً من العلوم ولما استوطنها وظهر فضله ونفعه على جماعة المتفقِّهة، وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنَّف دُعِي إلى مدينة غَزْنة، وجرت له بها مناظرات كثيرة، وكان شديد الرد على الكرَّامية وأذنابهم، ثم عاد إلى نيسابور، فَسُمَّته الكرَّامية - لَمَّا لم يَقدِروا عليه - في الطريق، فمات شهيداً حميداً سنة (٤٠٦هـ)، روى عنه الحافظ أبو بكر البيهقي والأستاذ أبو القاسم القشيري وأبو بكر بن خلف وغيرهم[2].

٦- أبو الطَّيِّب الصُّعْلُوكِيّ: سهل بن محمد بن سليمان بن محمد، الإمام، شَمس الإسلام، ابن الإمام أبي سهل الصُّعْلُوكِيّ العجلي، الحْنفي نسَباً، الصُّعْلُوكي، النَّيسابوري، الأستاذ الكبير، وأحد أئمَّة الشافعية، ومفتي نيسابور، ومجدد القرن الرابع على قول رُوي عن الأصم وجماعة، تفقه على أبيه الإمام أبي سهل وغيره، كان يحضر في مجلسه أكثر من خمسمائة محبرة، أخذ عنه الإمامان الحاكم، والبيهقي، وفقهاء نيسابور،

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ج٤/ ٢٥٦-٢٥٨، شذرات الذهب: ج٣/ ٢٠٩-٢١٠.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان: ج٤/ ٢٧٢-٢٧٣، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤/ ١٢٧-١٣٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج١/ ١٩٠-١٩١، شذرات الذهب ج٣/ ١٨١-١٨٢.

وغيرهم، توفي رحمه الله سنة (٤٠٤) بنيسابور[1].

٧-أبو الحسن العلوي الحسني النيسابوري محمد بن الحسين بن داود، الإمام، السَّيِّد المُحدِّث الصَّدوق، مُسنِد خراسان الحسيب، شيخ الأشراف، سمع أبا حامد بن الشرقي ومحمد بن إسماعيل المروزي، حَدَّث عنه الإمام الحاكم، والإمام البيهقي وغيرهما، قال الحاكم مادحاً له:«هو ذو الهِمَّة العالية والعبادة الظاهرة، وكان يُسأَل أن يُحدِّث فلا يُحدِّث، ثم في الآخِر عقدت له مجلس الإملاء، وانتقيتُ له ألف حديث، وكان يعد في مجلسه ألف محبرة، فحدَّث، وأملى ثلاثَ سنين، توفي رحمه الله فجأةً سنة (٤٠١هـ) وهو من كبار الشيوخ الذين أخذ عنهم البيهقي ورووا عنه»[2].

تلاميذه:

بِمَا أنَّ الإمام البيهقي تبوَّأ مكانة جليلة في الحديث والفقه والأصول والعقائد صار قبلة لطلاب العلم من شتى البلدان يرتحلون إليه ليظفروا بالسماع منه والتلقي عنه، فإنه كان كما قال عنه الإمام التاج السبكي[3]:«كان مُحدِّث زمانه وشيخ السنة في وقته». و قد عمَّر طويلاً مما مكَّن أكبر قدر من طلاب العلم أن يلتقوا به وينهلوا من معينه الصافي، وهنا أذكر - إن شاء الله - بعضاً من تلامذته، وليس كلهم، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب التراجم.

١- إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، شيخ القضاة، أبو علي، الفقيه الإمام، ولد الإمام الجليل الحافظ أبي بكر البيهقي ولد بِخسروجرد سنة (٤٢٨هـ)، وسمع أباه

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢/ ٤٣٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ج٤/ ٣٩٣-٣٩٦.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٧/ ٩٨، العبر في خبر من غبر للإمام الذهبي: ج٣/ ٧٨، شذرات الذهب: ج٣/ ١٦٢.

(٣) في طبقات الشافعية الكبرى: ج٣/ ٣٩٥.

وتفقَّه عليه، وتخرج به في الحديث، وسمع الإمام أبا عثمان الصابوني والإمام عبد الغافر الفارسي وغيرهم، روى عنه أبو القاسم بن السمرقندي وإسماعيل بن أبي سعد الصوفي وغيرهما، كان عارفاً بالمذهب الشافعي، مدرِّساً جليل القدر، سافر كثيراً، دخل خوارزم فسكن بها مدة، ووليَ بها الخطابة وتدريس الشافعية والقضاء، ثم سافر إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى بيهق بعد ما غاب عنها نحو ثلاثين سنة، فأقام بها أياماً يسيرة وأدركه الأجل في جمادى الآخرة سنة: (٥٠٧هـ)(١).

٢- حفيد البيهقي، الشيخ المسنِد أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن شيخ الإسلام أبي بكر أحمد البيهقي الخسروجردي

ولد سنة (٤٤٩هـ)، سَمع الكتب من جده، وسمع من أبي يعلى بن الصابوني وأبي سعد أحمد بن إبراهيم المقرئ وغيرهم، حج وحدث ببغداد، روى عنه ابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري وأبو القاسم بن عساكر وجماعة، توفي رحمه الله ببغداد بعد مرض ثلاثة عشر يوماً سنة (٥٢٣هـ)(٢).

٣- محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس، الفُراوِيُّ، النيسابوري، الشافعي، أبو عبد الله، الشيخ الإمام، الفقيه المفتي، مُسنِد خراسان، فقيه الحرم، ولد سنة (٤٤١هـ) تقديراً، سمع صحيح مسلم من الإمام عبد الغافر الفارسي، وسمع أيضاً من أبي عثمان الصابوني أيضا والحافظ أبي بكر البيهقي وأبي القاسم القشيري وعلي ابن يوسف الجويني وإمام الحرمين والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وطائفة، وتفرد برواية صحيح مسلم والأسماء والصفات ودلائل النبوة والدعوات الكبير للبيهقي، أثنى عليه كثير من الأئمة وعلى رأسهم مشايخه لعلمه وأدبه وأخلاقه، توفي رحمه الله في

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء:ج١٩/ ٣١٣-٣١٤، طبقات الشافعية الكبرى:ج٧/ ٤٤.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء:ج١٩/ ٥٠٣-٥٠٦.

الحادي والعشرين من شوال سنة (٥٣٠هـ) ودفن عند الإمام ابن خزيمة، وقد أملى أكثر من ألف مجلس علم[1].

٤-أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، النيسابوري، النحوي، المتكلم الشيخ، الإمام، المفسِّر، العلامة، وهو الولد الرابع من أولاد الإمام القشيري، وأشهرهم ذكْراً، اعتنى به أبوه وأسمعه وأقرأه حتى برع في العربية والنظم والنثر والتأويل، وكتب الكثير بأسرع خط، وكان أحد الأذكياء، أخذ عن الإمام البيهقي واستفاد منه، ولازم إمامَ الحرمين، وحَصَّل طريقة المذهب والخلاف، وساد، وعَظُم قَدْرُه، واشتَهَر ذِكْرُه، تأهّب للحج، فلمَّا وصل إلى بغداد عُقد له مجلس الوعظ، وظهر له من القبول ما لم يُعهَد لأحد قبله، ولزم الإمام أبو إسحاق الشيرازي وغيره من الأئمة مجلسَ وعظه، ثم حج بعد ذلك مرتين، أقام ببغداد جرى له مع الحنابلة في زمن إقامته بها أمور كثيرة وفتن وقتل من الفريقين جماعة، ثم وردت إشارة نظام الملك إليه بالرجوع إلى بلدة نيسابور؛ لتسكين الفتن، فرجع إليها ملازماً للتدريس والإفتاء والوعظ والإملاء إلى أن توفي رحمه الله سنة (٥١٤هـ)[2].

المَبحَث الثالث

مؤلَّفاته وآثاره العلمية

إن من ثمار الجد والتحصيلّ العلمي المبكر للإمام البيهقي كثرة تآليفه في شتى ميادين العلوم، هذه التآليف التي تشهد له، بكثرة الاطلاع، والتبحر العلمي، قال الإمام ابن كثير رحمه الله[3]: «جمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها ولا يدرك فيها منها

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ج١٩/ ٦١٥-٦١٩، شذرات الذهب: ج٤/ ٩٦.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٩/ ٤٢٤-٢٢٥، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧/ ١٥٩-١٦٥، طبقات الشافعية: ج١/ ٢٨٥-٢٨٦، شذرات الذهب: ج٤/ ٤٥.

(٣) في البداية والنهاية ج١٢/ ص٩٤.

كتاب السنن الكبير، ونصوص الشافعي..... وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة التي لا تسامى ولا تدانى». وأيضاً قال الإمام الذهبي[1]:«تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غزيرة الفوائد، قَلَّ مَن جَوَّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر البيهقي، فينبغي للعالم أن يعتني بها، لا سيما سننه الكبير»، ومن أهم هذه الآثار العلمية له ما يلي:

١ أحكام القرآن، جمعه من كلام الشافعي.
٢ الآداب.
٣ الأربعين الكبرى.
٤ الأسرى.
٥ الأسماء والصفات.
٦ الاعتقاد.
٧ البعث والنشور.
٨ الترغيب والترهيب
٩ حياة الأنبياء في قبورهم
١٠ الخلافيات.
١١ الدعوات الصغير.
١٢ الدعوات الكبير.
١٣ دلائل النبوة.
١٤ الرؤية.
١٥ الزهد.
١٦ السنن الصغرى.
١٧ السنن الكبرى.
١٨ شعب الإيمان.
١٩ فضائل الأوقات.
٢٠ المبسوط في جمع نصوص الشافعي.
٢١ المدخل إلى السنن.
٢٢ معرفة السنن والآثار.
٢٣ مناقب الإمام أحمد.
٢٤ مناقب الإمام الشافعي[2].

فهذه نبذة عن أهم مؤلفات الإمام البيهقي رحمه الله، وإن الناظر في هذه المصنفات يَجِدْها تَتَّسم بالسِّعة والشُّمول والدِّقَّة، فكانت العمدة في بابِها، مما جعلها تنتشر في الآفاق ويقبل عليها طلاب العلم والعلماء، بالحفظ والاهتمام.

---

(١) في سير أعلام النبلاء:ج١٨/ ١٦٨.

(٢) تنظر: هذه المؤلفات في:طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح:ج١/ ٣٣٤-٣٣٥، سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٦-١٦٧، طبقات الشافعية الكبرى:ج٤/ ٩-١٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة:ج١/ ٢٢١.

وصدق الإمام تاج الدين السُّبكيُّ[1] رحمه الله عندما قال عن الإمام البيهقي ومصنَّفاته: «اشتغل بالتصنيف بعد أن صار أوحد زمانه وفارس ميدانه، وأحذق المحدثين وأحدهم ذهناً، وأسرعهم فهماً وأجودهم قريحة، وبلغت تصانيفه ألف جزء، ولم يتهيأ لأحد مثلها.

- أما السنن الكبير فما صنف في علم الحديث مثله تهذيبا وترتيبا وجودة.

- وأما المعرفة معرفة السنن والآثار فلا يستغني عنه فقيهٌ شافعيٌّ.

- وأما المبسوط في نصوص الشافعي فما صنف في نوعه مثله.

- وأما كتاب الأسماء والصفات فلا أعرف له نظيراً.

- وأما كتاب الاعتقاد وكتاب دلائل النبوة وكتاب شعب الإيمان وكتاب مناقب الشافعي وكتاب الدعوات الكبير فأقسم ما لِواحِدٍ منها نظيرٌ.

- وأما كتاب الخلافيات، فلم يُسبَق إلى نوعه، ولم يُصنَّف مثله، وهو طريقة مستقلة حديثية لا يقدر عليها إلا مبرَّز في الفقه والحديث، قَيِّم بالنصوص.

- وكلها مصنَّفات نِظاف، مليحة الترتيب والتهذيب، كثيرة الفائدة يشهد من يراها من العارفين بأنها لم تتهيأ لأحد من السابقين».

المُبحَث الرابع

وفاته، وثناء العلماء عليه

وبعد حياة حافلة بالتَّطواف والطَّلب في جمع العلوم وتحصيله، والهِمَّة العالية في بَثِّه وتعليمه والاعتكاف على تدوينه وتصنيفه، صاب الإمامَ البيهقيَّ المرَضُ في قَدمته الأخيرة إلى نيسابور فحضرته المنيَّةُ، فتوفِّي في العاشر من شهر جمادى الأولى

(١) في طبقات الشافعية الكبرى: ج٤/ ٩-١٠.

سنة:(٤٥٨هـ) وله من العمر (٧٤) سنة، فغسَّلوه، وكفَّنوه، وعملوا له تابوتاً، ثم نقلوه ودُفنَ، في بيهق وهي مدينته التي نشأ فيها، رحمه الله تعالى[1].

وقد أثنى عليه رحمه الله كثير من الأئمة العلماء في حياته وبعد مماته، وشهدوا له بالفضل والتقدُّم العلمي، مع الأخلاق الفاضلة والزُّهد والورع والتَّقوى لله عز وجل.

قال عنه إمام الحرمين الجويني رحمه الله: «ما من شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ في عنقه مِنَّة إلا البيهقي، فإن له على الشافعي مِنَّة، لتصانيفه في نصرته لمذهبه وأقاويله»[2].

- **وقال عنه الإمام ياقوت الحموي**[3] رحمه الله: «صاحب التصانيف المشهورة، الإمام الحافظ الفقيه في أصول الدين الورع، أوحد الدهر في الحفظ والإتقان مع الدين المَتيْن، مِن أجَلِّ أصحاب أبي عبد الله الحاكم، والمكثرين عنه، ثُمَّ فاقه في فنون من العلم تفرَّد بها».

وقال عنه الإمام الحافظ الذهبيُّ رحمه الله[4]: «لو شاء البيهقِيُّ أن يعمَلَ لنفسه مذهباً يَجتهد فيه، لكان قادراً على ذلك لِسَعة علومه، ومعرفته بالاختلاف».

---

(١) طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح:ج١/ ٣٣٤-٣٣٥، سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٩، طبقات الشافعية الكبرى:ج٤/ ١١، البداية والنهاية:ج١٢/ ٩٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة:ج١/ ٢٢١، الإمام البيهقي للدكتور نجم خلف:ص٤٣.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) في معجم البلدان: ج١/ ٥٣٧.

(٤) في سير أعلام النبلاء: ج١٨/ ١٦٩.

الفَصْلُ الثَّانِي

ترجمة الإمام عبد الوهَّاب الشَّعرانيّ

صاحب كتاب «مختَصَر عقيدة الإمام البيهقي»

وهذا الفصل يحتوي على خمسة مباحث كالآتي:

* المبحث الأول: عصر الإمام الشعَراني.
* المبحث الثاني: حياة الإمام الشَّعَراني الشَّخصية.
* المبحث الثالث: حياة الإمام الشَّعَراني العلمية.
* المبحث الرابع: صلة الإمام الشَّعَراني بالعلوم الشَّرعيَّة.
* المبحث الخامس: عقيدة الإمام الشعراني، وفيه مطالب.

المبحث الأول

عصر الإمام الشَّعراني

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول**: الحالة السياسيَّة.
* **المطلب الثاني**: الحالة الاجتماعيَّة.
* **المطلب الثالث**: الحالة العلميَّة والثقافية.

الفصل الأول
عَصر الإمام الشَّعراني

للعصر الذي يعيش فيه الإنسان أثرٌ فعَّال في تكوين شخصيَّته، وانطباعاته، فكـان لابد لكل باحث أراد أن يكتب دراسة عن شخصية ما، أن يلقي الـضوء عـلى جوانـب ذلك العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصية، ليتبيَّن مدى تأثره بعصره وتـأثير عـصره فيه، وحتى نتبيَّن أثرَ هذا العصر في شخصية الإمام الشعراني، لا بدَّ من تقديم دراسـة- ولو موجزة- عن تلك الحقبة التاريخية، من خلال إلقاء الضوء عـلى ثـلاث جوانـب في هذا القرن:

١- الحالة السياسية.

٢- الحالة الاجتماعية.

٣- الحالة العلمية والثقافية.

المُطلَب الأوَّل
الحُالة السِّياسيَّة

عاش الإمامُ الشَّعراني رحمه الله في القـرن العـاشر الهجـري، فنـشأ، وعـاش في ظـل دولتين متعاقبتين هما دولة المماليك الشراكسة، والدولة العثمانية[1].

والشراكسة جنس من التُّرْك، وقد استكثر من شرائهـم الملـك المنـصور قـلاوون، وكذلك أولادُه، وأولادُهم، وأدخلوهم في الْخَدَم الْخاصَّة، وكبروا، وأدخلوا الـسلطنة، وغلبوا عليها، واستكثروا من جنسهم، وعملوا قواعد انتظمت بها دولتهم، وولي منهم ومن أولادهـم السلطنة بمصر اثنـان وعشـرون ملكـاً، وكـان ابتـداء ملكهم سنة أربـع

---

(١) ينظر: تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب: للشيخ أبي الأنس المليجي: ص١٦٤.

وثمانين وسبعمائة (٧٨٤هـ) ومدة ملكهم مائة وثمانية وثلاثون سنة[1].

وأول مملوك شركسي تولى السلطنة هو: السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق سنة:(٧٨٤هـ)، وتوالى بعده السلاطين الواحد تلو الآخر[2] حتى جاءت ولاية السلطان الأشرف قايتباي المحمودي الظاهري الشركسي، سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (٨٧٢- ٩٠١هـ)[3] الذي كانت في عصره ولادة الإمام الشعراني سنة (٨٩٨هـ)، وشهد الإمام الشعراني رحمه الله من السلاطين الشراكسة بعد السلطان قايتباي خمسة ملوك آخرين، وهم:

١- الملك الناصر أبو السعادات محمد بن السلطان قايتباي تولى السلطة سنة:(٩٠١هـ) وبقي حتى قتله مماليك أبيه سنة (٩٠٤ هـ).

٢- الملك الظاهر قانصوه الأشرف، تولى السلطة سنة:(٩٠٤هـ)، وبقي حتى خلعوه أواخر سنة (٩٠٥هـ).

٣- الملك الأشرف جانبلاط، تولى السلطة في أوائل سنة:(٩٠٥هـ)، وخلع بعد ستة أشهر.

٤- الملك العادل طومان باي، تولى السلطة في التاريخ السابق، وما استكمل يوماً واحداً بل هجم عليه العسكر، وقتلوه.

٥- الملك الأشرف قانصوه الغوري، تولَّى السلطة سنة:(٩٠٦هـ)، وبقي حتى قتل في معركة مرج دابق قربَ حلب، والتي دارت بينه وبين جيوش السلطان العثماني سليمان خان سنة:(٩٢٢هـ)، ولما قتل الغوري وانكسرت عساكره هرب بقية الشراكسة

---

(١) سمط النجوم العوالي لعبد الملك العاصمي المكي:ج٤/ ٣٨.

(٢) ينظر: تاريخ هؤلاء السلاطين في: تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي:ج١/ ٥١٣-٥١٦، سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٤١ -٥٣.

(٣) ينظر: المصادر السابقة.

من السيوف إلى مصر، وصيَّروا طومان باي الثاني سلطاناً، لكنه لم تطل به الأيام فقتله السلطان العثماني سليم عندما فتح مصر سنة: (٩٢٣هـ)[١].

وإنَّ النَّاظر في حياة هؤلاء السلاطين، وسيرتَهم السِّياسيَّة، ليجد أنَّ كلاً منهم قد وَصَل إلى الحكم نتيجة القهر والغلبة فكانت أغلب نهاياتهم إمَّا بالقتل أو بالخَلْع أو بالسجن.

ويُعَدُّ السُّلطان قايتباي من أفضل السَّلاطين المماليك على الإطلاق، وقد وصف **الإمامُ السيوطيُّ** رحمه الله ولايته فقال: «فَقُلِّد سلطان العصر قايتباي، ولُقِّب الأشرف، فاستقر له الملك، وسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سار بها قبله ملك من عهد الناصر محمد بن قلاوون، بحيث أنه سافر من مصر إلى الفرات في طائفة يسيرة جداً من الجند ليس فيهم أحد من المقدمين الألوف، ومن سيرته الجميلة: أنه لم يُولِّ بمصر صاحب وظيفة دينية كالقضاة والمشايخ والمدرسين إلا أصلح الموجودين لها بعد طول تروية وتمهلة بحيث تستمر الوظيفة الشاغرة الأشهر العديدة، **ولم يُولِّ قاضياً ولا شيخاً بمال قط**»[٢].

وكان السُّلطان قايتباي واسطة عقد الشَّراكسة، وأقربَهم إلى قلوب الرعية وأجملهم حالاً، وأحسنهم إحساناً، وأفضلهم عقلاً وأكملهم نبلاً، وأكثرهم في جهات الخير إيثاراً وآثاراً، وأكبرهم عمائر وأوقافاً وأدواراً، وأطولهم طولاً وزماناً وأمكنهم ملكاً وقوة وإمكاناً، وكانت أيامه كالطراز المذهب، ودولته تنجلي كالعروس في حلل الجوهر والذهب حتى قدم عليه بريد الأجل، وما أغنى عنه ما جمعه من الخيل والخَوَل سنة: (٩٠١هـ)[٣].

---

(١) ينظر: سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٥٩-٦٥، تاريخ الخلفاء: ج١/ ٥١٣-٥١٦، حسن المحاضرة: ج٢/ ١٢٢- ١٢٦، شذرات الذهب: ج٨/ ١٤٥.

(٢) تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي: ج١/ ٥١٣.

(٣) سمط النجوم العوالي: ج٤/ ص٥٩.

وقد تدهورت أمور الدولة، وأمور الشعب من بعده تدهوراً عظيماً فقد: اضطربت الأحوال الداخلية، وتركز في نفوس الأمراء والجند حب العصيان والخيانة، واعتادوا الفتنة والثورة والتأبي على أوامر السلطان، وابتليت البلاد بطائفة من المماليك الجلبان الذين بدأ شرهم في أواخر أيام قايتباي، وضاعت هيبة السلطان[1].

ومن أوضح الأدلة على شدة سوء الأحوال السياسية وتردِّيها ما حصل بعد خلع السلطان طومان باي الذي لم يستكمل يوماً واحداً حتى هجم عليه العسكر وقتلوه من امتناع جميع أمراء المماليك من استلام السلطة خوفاً على أنفسهم من النهاية المعتادة: القتل، السجن، الخلع.. فلم يجرؤ أحد على تولي السلطنة، وكانت الأمراء متوفرة، وبعضهم يشير إلى بعض في الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على تولية قانصوه الغوري لأنهم رأوه سهل الإزالة أيَّ وقت أرادوا إزالته أزالوه، لأنه كان أقلهم مالاً، وأضعفهم حالاً، وأوهنهم قوة، وأشاروا عليه أن يتقدم، فأبى فألزموه بذلك، فقال: «**أقبل ذلك بشرط أن لا تقتلوني فإذا أردتم خلعي من السلطنة فأخبروني بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك، وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل**»[2].

ولكنه لَم يَلبث أنْ تَسلم السُّلطة حتى دخل في جَوِّ مَن قَبله من المُؤامرات والدَّسائس والأحقاد والظُّلم والقتل، حتى جعل - لشدة دهائه - رجالات المماليك، وأمراءهم يفني بعضهم بعضاً، ثم اتخذ مماليك جدداً... صاروا يظلمون الناس، ويعاملون الخلق عسفاً، وغشماً، وهو يغضي عنهم ويتغافل فأظهروا الفساد، وأهلكوا العباد، وأكثروا العناد، وطغوا في البلاد، وصار يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس، وكثرت «العوانية» (الجاسوسية) في أيامه لكثرة ما يصغي إليهم، وصاروا إذا شاهدوا أحداً توسع في دنياه وأظهر التجمل في ملبسه ومثواه وشوا به إلى السلطان

---

(١) عصر سلاطين المماليك: د. محمود رزق سليم: ١/ ٥٨، الطبعة النموذجية، القاهرة، ط: ٢/ ١٩٦٢م.

(٢) سَمط النجوم العوالي: ج٤/ ٦١.

فيرسل إليه يطلب القرض ويصفِّي أمواله...وأما الميراث فبطل في أيامه، فصار إذا مات أحد يأخذ ماله جميعه للسلطنة، ويترك أولاده فقراء...وكثر ظلمه في آخر أيامه"[1].

تَفاقَم خطر هؤلاء المماليك، بِخاصة في عهد الغوري، حتى ضجَّ الناسُ بالشكوى، وابتهلوا إلى الله أن يُخلِّصهم من شرِّهم فنظروا إلى العثمانيين على أنَّهم جند الخلاص الذي يقضي على الظالمين، وينصر المظلومين"[2].

وبقتل السلطان طومان باي الثاني يكون قد انتهى حكم المماليك الشراكسة على مصر، ويستقر الأمر للعثمانيين فيها بعدهم سنة (٩٢٣هـ) على يد السلطان العثماني سليم الأول الذي أصبح سلطاناً بعد تنازل أبيه بايزيد الثاني له عن الملك عام (٩١٨-٩٢٦هـ)، هو أيضاً أول من ملك مصر من سلاطين آل عثمان"[3].

وقد ذكره صاحب سمط النجوم العوالي فقال:

«ولم تطل سلطنته؛ لأنه كان سَفَّاكاً، وهذه عادة الله تعالى في السلاطين والأمراء إذا أكثروا من القتل،... يغير زِيَّه في لباسه، ويتجسس في الليل والنهار، ويطلع على الأخبار، وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفي الأسواق والمحافل والجمعيات، ومهما سمعوه ذكروه له فيعمل بمقتضى ما يسمعه... وكان عظيم الهيبة..، كثير المَبَرَّات، دائم الأسفار مستيقظاً للأمور الجليلة، نظره إلى معالي الأمور"[4]، ولما تولَّى السَّلطنة توجه لِمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتى يُمهِّد الأوضاع الداخلية حتَّى لم يَبقَ له منازع في الملك وكانت أيام ملكه أيام فتوحات خارجية، وتنظيمات داخلية إلا أنه كان ميالاً لسفك الدماء، فقتل سبعةً من وزرائه لأسباب واهية، وكان كل وزير مهدد بالقتل

---

(١) المرجع السابق: ج٤/ ٦٢ – ٦٣، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص١٤، والمرجع السابق بنفس الصفحات.

(٣) ينظر: سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٨٣، تاريخ الدولة العلية العثمانية لفريد بك المحامي: ص١٩٢-١٩٣.

(٤) سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٨٣، وينظر أيضاً: شذرات الذهب:ج٨/ ١٤٣-١٤٤.

لأقل هفوة، حتى صار يُدعَى على من يرام موته بأن يصبح وزيراً له»[1].

وفي سنة:(٩٢٦هـ) تولى الحكم السلطان سليمان الأول (القانوني) بن السلطان سليم، وبقي في الحكم إلى أن توفي سنة:(٩٧٤هـ)[2] أي بعد وفاة الإمام الشعراني بسنة واحدة، لأن الإمام توفي سنة (٩٧٣هـ).

وقد وُصِف عهده رحمه الله (من الناحية السياسية) عهداً زاهراً بالفتوحات، فقد وصلت سراياه إلى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية ذروتَها في التَّقدُّم والازدهار[3]. وقد أحدث السلطان سليمان عدة أنظمة داخلية في كافة فروع الحكومة، فأدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين، وجعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة المُفْتي[4].

وقد وُصِف سَيرُه في حكمه بأنه: سلك طريق المعدلة، وجادة الإنصاف، وتفقد أحوال الرعايا والعساكر، ورفع الظلم والاعتساف، وأعرض عن المنهيات، وله خيرات لا تُحصى معروفة في الآفاق[5].

وفي الخلاصة: من خلال ما عرضته عن الحالة السياسية في الفترة التي عاش فيها الإمام الشعراني من عام (٨٩٨-٩٧٣هـ) والتي تعاقب الحكم فيها دولتا المماليك الشراكسة، والدولة العثمانية، نجد بأن الحالة السياسية لم تكن مستقرة، بل كانت فترة

---

(١) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص١٨٨و١٩٧، وينظر: سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٨٣.

(٢) ينظر: شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٥-٣٧٦، سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٨٥ و١٠٤، تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص٢٥١.

(٣) ينظر: المراجع السابقة في نفس الصفحات.

(٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص٢٥١.

(٥) سمط النجوم العوالي: ج٤/ ٨٥، وينظر أيضاً: شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٦.

انقلابات - وإن تخللتها بعض فترات الاستقرار السياسي - وخاصة في فترة حكم المماليك، حيث رأينا أنه لا يتولى سلطان إلا وسرعان أن يقتل أو يسجن أو ينخلع، حتى جاءت فترة حكم العثمانيين، والتي عاش فيها الإمام الشعراني حكم سلطانين وهما سليم الأول وابنه سليمان القانوني، وقد لاحظنا أن فترة حكمهما كانت فترة حروب، وفتوحات خارجية فكانوا

كلما فتحوا بلداً توجهوا إلى بلد آخر، وهكذا، بالإضافة إلى التَّنظيمات والإصلاحات الداخلية.

المُطلَب الثَّاني
الحالة الاجتماعية

اتفق المؤرِّخون والباحثون قديماً وحديثاً على أن الحياة الاجتماعية في عصر المماليك الشراكسة كانت في غاية السوء والانحطاط، قد أوصلت المجتمع وخاصة المصري إلى طور من الضعف والفتور[1].

ويمكننا أن نقول: إن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الدولة العثمانية لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في أيام المماليك بل ربما ازدادت سوءاً[2].

- وقد تكلم المقريزي في خططه عن هذه الحالة فقال:

«الفقر والفاقة، وقلة المال، وخراب الضِياع والقرى، وتداعي الدور والقصور للسقوط، وشمول الخراب... واختلاف أهل الدولة وانقضاء مدتهم»[3]، **ثم يقول:...**

---

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فرُّوخ:ج٣/ ٨٨٠، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية لمحمد عنان: ص١٧٩، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث: للدكتور بديع اللحام:ص٣٧.

(٢) ينظر: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص١٥.

(٣) خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لأحمد المقريزي:ج١/ ٣٧٣.

تقلَّص ظل العدل، وسفرت أوجه الفجور، وكشَّر الجورُ عن أنيابه، وقلَّت المبالاة، وذهب الحياء والخشية من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء، تعددت منذ زمن المحن.... مقتاً من الله لأهل مصر وعقوبة بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»[1].

ونحن إذا أردنا أن نتعرف عن قرب، وبشكل دقيق على ملامح المجتمع المصري في القرن العاشر، فيمكن أن نعتبر ثلاثَ كتب من كتب الإمام الشعراني وهي: «لطائف المنن والأخلاق، ولواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، والبحر المورود في المواثيق والعهود» خير وثيقة اجتماعية تصوِّر حال المجتمع المصري في ذلك العصر.

وبالنظر إلى واقع المجتمع المصري في هذا القرن، يتبين لنا أن نظام هذا المجتمع كان نظاماً طبقياً، يتكوَّن من **الطبقات التالية وهي**:

١- **الطبقة الحاكمة**: وهي فئة قليلة تحكم الناس، متمثلة في السلطان وأعوانه من الوزراء والأمراء والولاة، وكانت هذه الطبقة في أغلب الأحيان، ظالمة، مستبدِّة في حكمها، تعيش حياة منفصلة عن الحياة العامة لباقي المجتمع وهذه الطبقة الحاكمة لم يكن فيها للشعب المصري حظ، لأن معظمهم كان من الفلاحين والصُّنَّاع والتجار، ولم يكونوا من أصحاب صنع القرار، ولا يطمحون في سلك السياسة، كما لا يسعون لتولي المناصب الكبرى[2]. **وقد قال الإمام الشَّعَرانِيُّ** في وصف حُكَّام عصره وحواشيهم: «أخذ علينا العهود أن نقضي حوائج الخلق في هذا الزمان.... فإن هذا الزمان قد صارت فيه بيوت الحكام من القضاة وغيرهم كأنها جمرة نار، وصِرتَ تقول لأحدهم ساعدني في

---

(١) المرجع السابق: ج٢/ ٢٢١.

(٢) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: للدكتور أحمد شلبي: ج٥/ ٢٨٤، الإمام جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث: للدكتور بديع اللحام: ص٣٨-٤٣.

حاجتي لله تعالى، ولأجل مُحَمَّد ﷺ يقـول لـك: معـك شيءٌ مـن الفلـوس. نـسأل الله اللطف»[1].

كما ذكر أيضاً طرق التعذيب التي كان يعانيها المصريون في القرن العاشر مـن قبـل حكامهم وأعوانهم بصورة مُخيفة بشعة، فقال:«أخذ علينا العهـد العـام مـن رسـول الله ﷺ أن لا نحضر قتل إنسان أو معاقبته ظلماً... هروباً من السؤال عنه يـوم القيامـة،... وهذا العهد يتعين العمل به على حملة القرآن ونحوهم من المـؤمنين، فـلا ينبغـي لأحـد منهم أن يحضر مع الأطفال مواطن الظلم، أو يخرج من بيته حتى ينظر من **شنقه الـولاة** أو **شنكلوه** أو **خوزقوه** أو **وسَّطوه**، أو **خَزَمُـوه في أنفـه**، أو **سَـمَّروا أذنيـه في حـائط**، أو **جرَّسوه على ثور**، أو **شَحطَطُوه في أذناب الخيـل**، أو **ضربـوه** في قَطـع الخلـيج، أو عـدم دفعه الفلوس الجدد التي تدخل عليه ونحو ذلك»[2].

٢- طبقة العلماء: وكان لأصحاب هذه الطبقة مكانة خاصـة ومتميِّـزة، يُكِـنُّ لهـا الحكام والعامَّة كلَّ احترام وتقدير فكان للأزهر وعلمائه المكانـة المرموقـة بـين النـاس، بالإضافة إلى كون علمائه الإجلاء مَحَلَّ ثقة الشعب والحكومـة، فالـسلاطين يعتـبرونهم زعامة روحية وشعبية يُخشى جانبُها، وعامة الناس يدركون لهم هذه المكانـة والزعامـة، فكانوا يلجؤون إلى الأزهر وعلمائـه كلـما حـزبهم أمـر أو اشـتد علـيهم جـور الحكـام والولاة، فيطالبون برفـع المظـالم عـنهم وإنـصافهم، وبهـذا أصـبح علـماء الأزهــر – والشعـراني واحـد منهم – وخاصة في العصر العثماني القوة التي تمثل الرأي العام[3].

---

(١) البحر المورود في المواثيق والعهود للإمام الشعراني: ص١٩٧.

(٢) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام الشعراني: ص٦٣٢.

(٣) ينظر: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٧٣ -٧٤.

- إلا أن هذه المكانة قد بدأت تهتز شيئاً فشيئاً في أيام الإمام الشعراني وقبلها بقليل، بسبب دخول بعض العلماء في أمور الدنيا وتهافتهم على أبواب السلاطين والحكام، واستجابتهم لأهوائهم، ورغباتهم في كثير مـن الأحيـان، ممـا

٣- **طبقة العامة**: وتمثل هذه الطبقة عامة، وسواد الشعب المصري بفئاته المختلفة من:

أ- **التجار**: الذين اجتمعت ثروة البلاد في أيديهم، واستطاعوا أن يجعلوا لأنفسهم مكانة اجتماعية بارزة، ومع ذلك كانوا يتعرضون للظلم والاضطهاد وإن كان ما تعرضوا له أقل مما كان يتعرض له غيرهم من فئات الشعب الأخرى كالفلاحين، وقد وصف الشيخ علي الخواص[1] رحمه الله **حالَ التجار بشكل خاص**، وحركة التجارة بشكل عام فقال - كما نَقَل عنه الشَّيخ الشَّعرانيُّ -: «قد تغيَّر التَّكسُّب اليوم على كل فقيرٍ وفقيهٍ؛ لعدم من يتفقدهم بالبِرِّ والإحسان في هذا الزمان؛ لقِلَّة المُكاسِب، فقد صار التاجر اليوم يَمكُثُ الثَّلاثة أيام أو أكثر لا يستفتح، فكيف يفتقد غيره، وهو لم يعمل بقوت نفسه وعياله وضيوفه، فضلاً عن الْمغارِم التي عليه من كراء بيت وحانوت، وعوائد للظلمة من غُفَرَاء، ورسل محتسِب، فالتاجر في أغلب أيامه ينفق من رأس ماله، أو مال

دعا الإمام الشعراني- وقبله شيخه الإمام السيوطي في رسالته المسماة بـ: مارواه الأساطين في عدم الدخول إلى السلاطين- إلى نقدهم، وكشف ابتعادهم عن منهج السنة، وأفرد لذلك كتباً منها: «تنبيه المغترين في أواخر القرن العاشر إلى ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» و«البحر المرود في المواثيق والعهود» وغيرهما، كما بيّن الكثير من أحوالهم في ثنايا كتبه الأخلاقية الفريدة ومثال ذلك قوله: « قال لي الأمير محمد دفتر دار مصر مرَّة: أنا لا أعتقد في مشايخ مصر الآن، ولو مشى أحدهم في الهواء، فقلت له: لماذا؟ فقال: لأني رأيتهم يجتهدون في طلب الدنيا أكثر مما نجتهد نحن فيها». ينظر: تنبيه المغترين للإمام الشعراني: ص١٤.

وللإنصاف: أنَّ هذا لا يجري على إطلاقه، فلقد كان في القرن العاشر علماءُ مخلصون، أفذاذٌ، لا يلتفتون إلى شيء من حطام الدنيا، من أمثال الإمام السيوطي، والشيخ زكريا الأنصاري، والإمام القسطلاني، والإمام شهاب الدين الرملي، وهؤلاء لم يَعنِهِم الإمام الشعراني بكلامه طبعاً، **لأنه يقول**: «فإياك يا أخي أن تظن بالمشايخ الذين أدركناهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في قلة الورع والقناعة فتسيء الظن بهم». تنبيه المغترين: ص١٤.

(١) ستأتي ترجمته قريباً إن شاء الله تعالى أثناء الكلام عن شيوخ الإمام الشعراني.

غيره الذي هو عامل فيه»[1].

ب- **فئة الموظفين**: الذين كانوا يقتتلون على الوظائف الدنيوية، كما يفهم ذلك من كلام الإمام الشعراني، حتى أنه قد نهى إخوانه الخاصِّين به عن السَّعي على الوظائف الدينية أو الدنيوية...؛ لئلا يَحصل للسَّاعي تكدير قلب كما كدَّر قلب مَن سعى عليه، وحرق قلبه أو قلب أولاده على تلك الوظيفة[2] وهذا أمر قد حدث في فقهاء زمانه، ولم يكن قطّ في علماء السلف[3]، كما أخبر أيضاً بأن بعض طلبة العلم من المدرسين كان يؤخِّر فريضة الحج لئلا يأتي أحد زملائه وينتهز الفرصة فيأخذ منه وظيفة تدريسه للعلم، لأجل المعلوم أي الراتب الذي فيها[4].

ج- **فئة الفلاحين**: الذين كانت تُرهقهم غالباً الضَّرائب والإتاوات المفروضة على أراضيهم، فإن عجزوا عن الدفع انتزعوا منهم أرضهم، وأذاقوهم العذاب ألواناً وأشكالاً، ويُفهم من كلام الإمام الشعراني بأن هذه الطبقة كانت طبقة مظلومة، يتحكم فيها الولاة، ومشايخ العرب، وقد نقل عن شيخه العارف بالله علي الخوَّاص رحمه الله وصفاً دقيقاً لحال الفلاَّح في القرن العاشر، **فقال**: «وقد سَمعتُ سيدي علياً الخوَّاص رحمه الله يقول: وأمَّا **الفلاح**: فهو طول سنته في شقاء وتَعَب وكُلَف لِقُصَادِ الكُشَّاف، والعُمَّال، والعرب، والعشير، وأتباعهم، فلا يزال يقدم لهؤلاء كل ما عنده من لَبَن، وسَمن، ودجاج، وغنم، حتى إنه ليبيع غزل امرأته لهم، وربَّما رَسَموا على زرعه من الجُرن فيطلب لأولاده منه طحيناً فلا يمكنوه من ذلك»[5].

---

(١) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام الشعراني: ص٢٢٨، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: البحر الورود في المواثيق والعهود للإمام الشعراني: ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) المرجع السابق: ص١٢٥.

(٤) ينظر: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: ١٦٥ - ١٦٦.

(٥) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية:ص٢٢٨.

المطلَب الثَّـالث
الحَالة العلميَّة والثَّقافِيَّة

يرى كثيرٌ من البـاحثين في تاريـخ التشريـع الإسلامي، وتاريـخ الأدب العربي أن الحالة العلميَّة والثَّقافِيَّة في مصر في القـرن العـاشر الهجـري، قـد أصـابَها الجمـودُ والانْحطاط، وتَمكَّنت روحُ التقليد المُحض من نفوس العلماء فلم يُرَ مـنهم مـن سَـمَت به نفسه إلى رتبة الاجتهاد إلا القليل النادر، من أمثال الإمـام جـلال الـدين الـسيوطي رحمه الله، وأُعلِن أنه لا يَجوز لفقيه أن يَختـار ولا أن يُرجِّح، وأنَّ زَمـن ذلك قد فات وحيل بين الناس وبين كتب المتقدمين، واقتصر الحال بهم على تلك الكتب التي بين أيديهم[1].

فأصاب الجامع الأزهر - وهو الذي يعتـبر الرَّكيـزة الأساسـية للحيـاة العلميـة في مصر بـل في العـالم الإسـلامي كلـه - والمعاهـد والمـدارس العلميـة الأخـرى الركـود والجمود[2]. وذلك راجع إلى تأثر الدولة الإسلامية عامة ومصر بشكل خاص بالأحوال السياسية المضطربة فدولة المماليك أخذت تضعف شيئاً فشيئاً، وأخذ التناحر على الحكم يشتد ويعنف فيما بين حكامها، وثارت بينهم الأحقاد والضَّغائن، حتى غابـت شـمس دولتهم، وبدأ العالم الإسلامي يتأهب لاستقبال الحكم العثماني، وغدت مصر هي المتأثر الأكبر بكل هذه الأحداث، فلقد فقدت زعامتها للعالم الإسلامي بزوال دولة المماليـك، وانتقال الخلافة منها إلى إسطنبول حاضرة الحكم العثماني، ممـا أدخلهـا في عزلـة علميـة

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: للشيخ محمد الخضري ص٢٤٩، تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد علي السايس: ص٣٦٣ وينظر **أيضاً**: تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ: ج٣/ ٨٨٧، تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (عصر الدول والإمارات - مصر) ص٤١.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق غاية المأمول شرح ورقات الأصول للإمام شهاب الدين الـرملي للأستاذ عـثمان يوسـف حاجي أحمد: ص٣٩.

وثقافية، بل أدخلها في سبات علمي، وثقافي، واجتماعي، واقتصادي وفي شتى نواحي الحياة[1].

وهذا الرُّكود العلمي في مصر لم يأتِ فجأة مع مَجيء الفتح العثماني فقط، بل أيضاً بسبب الضعف الذي دَبَّ في جسم دولة المماليك الشراكسة، فالمشاعل العلمية، والمْصابيح الإيمانية التي كانت تضيء لِمصر، وتُضيءُ من مصر إلى العالم أخذ نورُها يَخبو في عهدهم، بل أخذ نورها يفنى ويتبدد، وتخنقه الظلمات، وذلك لأن دولتهم كانت دولة عسكرية حربية، ولم يكن رجالها رجال فكر أو علم، بالإضافة إلى ما كان بينهم من أحقاد وفتن ومؤامرات من أجل الحكم، الأمر الذي جعلهم ينشغلون عن الاهتمام بالنواحي العلمية والثقافية لرعيتهم، كما مر في المبحث الأول والثاني من هذه الدراسة عن القرن العاشر[2].

وبدخول العثمانيين إلى مصر، أصيبت مصر بأقسى ضربة أصابت الحضارة المصرية، فتمَّ نقلُ وتصدير تراثها وثروتها الفنية إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تم قبض العديد من أكابر مصر وعلمائها ورجال المهن والحرف، ومن ثَمَّ أرسلوا إلى إسطنبول[3]، وقد ذكر **المؤرخ ابن إياس** أسماء كثير من العلماء والقضاة المصريين، بل وحتى النساء والصبيان، الذين قبض عليهم السلطان

---

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي:للشيخ محمد الخضري ص٢٤٩، التصوف الإسلامي والإمام الشعراني للدكتور طه عبد الباقي سرور: ص١٣٨-١٣٩، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر:ص١٥، مقدمة تحقيق كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود للأستاذ محمد أديب الجادر: ص٥.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود للأستاذ محمد أديب الجادر: ص٥، التصوف الإسلامي والإمام الشعراني للدكتور طه عبد الباقي سرور: ص ١٣٩ بتصرف.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف (عصر الدول والإمارات – مصر) ص٤١.

سليم الأول، وبعثهم رغماً عنهم إلى إسطنبول[1] فقال:«وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع المنكرة التي لم يقع على أهل مصر قط مثلها فيما تقدم من الزمان، وهذه عبارة عن أنه أسر المسلمين، ونفاهم إلى إسطنبول»[2] وبهذا تكون مصر قد جرِّدت من كثير من علمائها، وجرِّدت أيضاً من الكثير من ذخائرها العلمية والتي لا تزال تزخر بها مكتبات إسطنبول، بما فيها مؤلفات خَطِّية لكثير من أعلام ذلك العصر مما يندر وجوده بمصر ذاتها صاحبة هذا التراث العظيم[3].

وكان لكل ذلك أثره فيما بعد، فقد بدا على مر الأيام نور العلم يخبو، وشأنه يضعف شيئاً فشيئاً بفقدان مصادره ووسائله، وعدم التشجيع عليه حتى وصلت البلاد إلى حالة يرثى لها من الجهل والضياع[4].

وفي نهاية هذا المبحث أستطيع أن أقول؛ للإنصاف:

إنه بالرَّغم من الرُّكود والجُمود الذي أصاب الحركة العلمية والثقافية في مصر، وبالرَّغم من كل الظروف القاسية التي مرَّت بها، وحاولت إقصاءها عن المسار الريادي العلمي استطاعت أن تنجب لنا علماء أجلاء من جميع المذاهب، كانوا بمثابة النور الذي يضيء للناس دروبهم في عصر اشتدت ظلمته وظلمه من أمثال الإمام جلال الدين السُّيوطي والشيخ زكريا الأنصاري، والإمام عبد الوهاب الشعراني وغيرهم.

---

(١) ينظر: بدائع الزهور: لابن إياس الحنفي: ج٥ / ١٨٢– ١٨٤، ٢٢٩ – ٢٣٢ الهيئة المصرية للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة.

(٢) المرجع السابق: ج٥ / ١٨٣.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف (عصر الدول والإمارات – مصر) ص٤٢، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي: ج٧/ ٢٤٩، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص١٦.

(٤) ينظر: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص١٧.

المبحث الثاني

حياة الإمام عبد الوهاب الشعراني الشخصية

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول:** اسمه ونسبه، ومولده ونشأته.

* **المطلب الثاني:** أخلاقه وصفاته.

* **المطلب الثالث:** أسرته وأهل بيته.

المَطلَب الأول

اسْمه ونسبه ومولده ونشأته

هو: عبد الوهاب بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين علي الأنصاري[1] بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن زرفا (بفتح الزاي وسكون الراء)[2] ابن الشيخ موسى المكنى بأبي العِمران[3]، بن السلطان أبي عبد الله أحمد الزُّغلي[4] بن السلطان سعيد، ابن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زرقا بن ريان بن السُّلطان محمد بن موسى بن السِّيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب[5] ﷺ، أبو المواهب[6]،

---

(١) هو: الشيخ العارف بالله نور الدين عليّ الأنصاري، المتوفى سنة (٨٩١هـ) وهو رفيق الإمام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ولذلك لُقب الشعراني بالأنصاري نسبة إلى جده هذا. **ينظر**: تذكرة أولي الألباب:ص٢١ و٣٧.

(٢) الخطط التوفيقية: ج١٤/ ١٠٩.

(٣) الشيخ موسى أبو العِمران: اشتهر بهذه الكنية في بلاد البهنسا بصعيد مصر الأدنى، ولم يعرف فيها إلا بها، وكان من أصحاب الشيخ العارف بالله أبي مدين التلمساني المتوفى سنة (٥٩٤ هـ)، وهو الذي أرسله من المغرب إلى مصر وقال له: يا موسى إذا وصلت إلى مصر فاقصد ناحية (هور) بصعيدها الأدنى (بإقليم المنية) فإن فيها قبرك، وكان كذلك، توفي رحمه الله سنة (٧٠٧هـ). **ينظر**: لطائف المنن والأخلاق للإمام الشعراني: ص٦٦، تذكرة أولي الألباب:ص١٧، وعلى حسب تاريخ وفاته فإنه يعتبر من المعمرِّين لأنه صاحب الشيخ أبا مدين، وقد توفي سنة (٥٩٤هـ).

(٤) الزُّغلي: بضم الزاي وإسكان الغين: نسبة إلى قبيلة من عرب المغرب يقال لهم: بنو زُغلة، وكان أحمد الزغلي هذا سلطان تلمسان المغرب وما والاها. تذكرة أولي الألباب: ص١٧.

(٥) لطائف المنن والأخلاق (المنن الكبرى) للإمام الشعراني:ص٦٦، تذكرة أولي الألباب: ص٤٨، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للإمام نجم الدين الغزي:٣/ ١٧٦، دائرة المعارف الإسلامية: ج١٣/ ٣١١ مادة: الشعراني.

(٦) تذكرة أولي الألباب: ص٤٨، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩، طبقات الشاذلية للشيخ الحسن الكوهن:ص١٦٠، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:ج٨/ ٢٥٥، وهذه كنية مثالية، ويكنَّى أيضاً بأبي عبد الرحمن وأبي محمد نسبة إلى ولده. دائرة المعارف: ج١٣/ ٣١١.

الشَّعراني [1]، الأنصاريّ [2]، الإمام، الفقيه، المْحدِّث، الأصولِيّ، الشَّافعي، الأشعريّ، الصُّوفي المْربِّي، الشَّاذلي، المصري [3].

المَطلَب الثاني

مولده ونشأته

<u>مولده</u>: ولد الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله على أصحِّ الرِّوايات في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٨٩٨هـ) [4]، في دار جَدِّه لأمِّه بقرية من إقليم القليوبية بمصر، تسمى (قلقشندة) ثم جيء به بعد أربعين يوماً من مولده إلى قرية

---

(١) لُقِّب بالشَّعَراني: نسبة إلى بلد أبيه، وهي (ساقية أبي شعرة) بإقليم المنوفية على نهر النيل بمصر وهذه القرية عاش بها إلى أن هاجر إلى القاهرة سنة: (٩١١هـ) وكان عمره (١٢) عاماً، ولذلك انتسب إليها فيقال له: الشعراوي بالواو، والشعراني بالنون، كما وجد ذلك بخطه رحمه الله. **ينظر**: تذكرة أولي الألباب: ص٤٨-٤٩ وينظر أيضاً: الكواكب السائرة للغزي: ٣/ ١٧٦.

(٢) تذكرة أولي الألباب: ص٤٨، طبقات الشاذلية: ص١٦٠، دائرة المعارف: ج١٣/ ٣١١، تاريخ الأدب لبروكلمان: ج٨/ ٢٥٥.

(٣) **ينظر**: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى) للإمام عبد الرؤوف المناوي: ج٣/ ٦٩، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٢، الكواكب السائرة للغزي: ٣/ ١٧٦، فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني: ج٢/ ١٠٧٩، تذكرة أولي الألباب: ص٤٨ طبقات الشاذلية: ص١٦٠. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ج٦/ ٢١٨.

(٤) اختلف المؤرِّخون في تحديد تاريخ ولادة الشيخ الشعراني فقيل: أنه ولد سنة (٨٩٩هـ) كما قاله المليجي في تذكرة أولي الألباب: ص٤٨، وقيل: ولد سنة (٨٩٧هـ) كما جاء في دائرة المعارف: ج١٣/ ٣١١، والتاريخ الذي أثبتُّه هو ما أيده الإمام المناوي واختاره علي مبارك، وما أيداه هو الأرجح بنظري لأن الإمام المناوي يعتبر تلميذ الشعراني الأول وصفيه، وأعرف الناس بأحوال شيخه، بالإضافة إلى أنه يعد من أكبر المؤرخين الصوفيين بعد الإمام الشعراني. **ينظر**: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص٢٥، وقد أُثبت هذا التاريخ أيضاً في: فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩، الأعلام: ج٤/ ١٨٠، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ج٦/ ٢١٨.

أبيه (ساقية أبي شعرة)، وإليها انتسب فلقِّب بالشعراني[1].

نشأته: نشأ في قريته، وفي سنة:(٩٠٧هـ) توفي والده الشيخ شهاب الدين أحمد الشعراني[2] رحمه الله، وكانت أمه قد توفيت قبل ذلك أيضاً، فنشأ يتيم الأبوين، فقيَّض اللهُ تعالى له أخاه الشيخ عبد القادر الشعراني[3] الذي تولى كفالته، وتربيته بعد موت والده، فكان أقرب الناس إليه في مطالبه، وأشفق عليه من جميع أقاربه.

نشأ يتيم الأبوين ؛ ومع ذلك ظهرت عليه علامة النَّجابة، ومَخايل الرئاسة، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين في قريته وكان والده حياً، وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها، ثم حفظ متون الكتب، كأبي شجاع في فقه الشافعية، والآجرُّومية في النحو، وقد درسهما على يد أخيه الشيخ عبد القادر الذي كفله بعد أبيه، فكانت نشأته

---

(١) ينظر: الكواكب الدرية:ج٣/ ٦٩، الكواكب السائرة: ٣/ ١٧٦، تذكرة أولي الألباب:ص٤٨، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩، الأعلام:ج٤/ ١٨٠، معجم المؤلفين:ج٦/ ٢١٨، التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص٢٥، عبد الوهاب الشعراني : ص٣١.

(٢) هو: شهاب الدين أحمد بن نور الدين علي بن شهاب الدين الشعراوي الشافعي، اشتغل في العلم على والده، ووالده أخذ العلم عن الحافظ ابن حجر، وشيخ الإسلام صالح البلقيني والشرف يحيى المناوي، وكان رحمه الله عالماً، صالحاً، فقيهاً، نحوياً، مقرئاً، وله صوت شجي في قراءة القرآن يخشع القلب عند سماع تلاوته، وكان له شعر وقوة في الإنشاء، وربما أنشأ الخطبة حال صعود المنبر، قال الشيخ الشعراني: وصنف والدي عدة مؤلفات في علم الحديث والنحو والأصول والمعاني والبيان فنهبت مؤلفاته كلها فلم يتغير، وقال: لقد ألفناها لله فلا علينا أن ينسبها الناس إلينا أم لا. توفي رحمه الله (٩٠٧هـ) ودفن في بلدته بناحية ساقية أبي شعرة بزاويتهم إلى جانب قبر والده. ينظر: الكواكب السائرة: ١/ ١٣٨-١٣٩، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٤، تذكرة أولي الألباب: ص٣٨-٤٠.

(٣) هو: الشيخ العالم العلامة، والفقيه الصوفي عبد القادر بن أحمد الشعراني، الأخ الشقيق للإمام عبد الوهاب الشعراني، وهو الذي كفله بعد وفاة والده، فكان صاحب التأثير الأكبر في شخصية أخيه عبد الوهاب الصوفية العلمية، وكان له مناقب كثيرة في الزهد والورع والعفة، وترك الدنيا، ومع ذلك كان يقري الضيوف على اختلاف طبقاتهم، ويقوم بالأرامل، والأيتام، والمساكين، ويكسوهم، ويطعمهم، حتى شاع ذلك عنه، وعرف عند الخاص والعام، توفي رحمه الله (٩٥٦هـ)، ودفن بمقبرة بلده ساقية أبي شعرة. ينظر: تذكرة أولي الألباب: ص٤٠-٤٧.

زاخرة دائماً بعبادة الله تعالى، زاخرة بالتَّعليم[1]، فلم يكن من المْيسور عليه أن يَجِد وقتاً؛ لأنْ يعمل بأي عمل أو حرفة من الحرف الدُّنيوية لا بالنَّسيج ولا بغيره[2]، فقد ذكر هو - الشيخ الشعراني - عن نفسه فقال: «لم يكن لي بحمد الله عوائق دنيوية تعوقني عن المجاهدة والوصول إلى المقصود... وكانت القناعة من الدنيا باليسير سُدَاي ولُحمتي، فأغنتني بحمد الله عن وقوعي في الذل لأحد من أبناء الدنيا، **ولم يقع أني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوي منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا أحتسب إلى وقتي هذا**، وعرضوا عليَّ الألف دينار وأكثر، فرددتها ولم أقبل شيئاً منها»[3].

ثم انتقل إلى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة (٩١١هـ)، وأقام في جامع أبي العباس الغمري، مقبِلاً على العلم والعبادة، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى عن رحلته إلى القاهرة عند الكلام عن طلبه للعلم، ورحلته إلى القاهرة من أجله.

المَطلَب الثالث

أخلاق الإمام الشَّعراني وصفاته

وفَّر الإمام الشعراني رحمه الله جهداً وعناء كبيرين على قارئيه، ودارسي شخصيته بما تركه من آثار ضخمة تدل على صفاء صفاته ونقاء أخلاقه، فله في ذلك ثروة ضخمة

---

(١) ينظر: الكواكب الدرية: ج٣/ ٦٩، تذكرة أولي الألباب: ص٥٠، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٢، وقد حدَّث الإمام الشعراني عن نفسه فقال: ومِمَّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ وأنا صغير ببلاد الريف حفظ القرآن وأنا ابن ثمان سنين، وواظبت على الصلوات الخمس في أوقاتها من ذلك الوقت. **ويقول أيضاً**: ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي: حفظ متون الكتب، فحفظت أولاً أبا شجاع، ثم الآجرومية في بلاد الريف، وحللتها على أخي الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدي. لطائف المنن والأخلاق: ص٦٦ و٦٨.

(٢) جاء في دائرة المعارف الإسلامية (وهي تأليف مجموعة من المستشرقين) ج:١٣/ ٣١١: وكان أبو المواهب نساجاً يكسب معاشه من هذه الصنعة. وهذه الأقصوصة لم يروها أحد من العلماء الذين ترجموا للإمام الشعراني، كما أنها مناقضة لما جاء عن الشعراني نفسه.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص١٠١.

خَصَّص لها نصيباً وافراً في كتبه، فمنها ما نجده مبثوثاً في عدة أبحاث وأماكن متفرقة من كتبه، «ككتاب العهود المحمدية»، و«البحر المورود»، و«تنبيه المغترين»، و«شرح الوصية المتبولية» الذي يعتبر من أكبر الموسوعات الأخلاقية، ومنها ما أفرد لها كتاباً خاصاً بها وهو كتاب «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» والذي يقع في مجلد ضخم.

والذي يقرأ كتابه الأخير قراءةً واعيةً منصفةً متجردة من أي أسبقية فكرية عن الشَّعَراني يخرج منه بصورة دقيقة لأخلاقه السامية، التي تنبع من صميم تخلقه بأخلاق النبي ﷺ وأخلاق السلف الصالح ﷺ فهذه هي الأخلاق التي طبَّقها على نفسه أولاً من حيث تخلقه بها، والتي نادى بها طوال عمره ثانياً.

وتزكية الإنسان نفسَه تكون مقبولةً شرعاً ما كانت نيته سليمة ومقصده شريفاً، وليس مطلق التزكية منهياً عنها شرعاً، فإذا خلصت النية لله تعالى، وارتفع الإنسان عن نفسه، وانتصر على شهواتها ووساوسها، فإن الحديث عن النفس يصبح مقبولاً عند ذلك، ومن هذا الباب تكلم الشعراني عن نفسه وعن أخلاقه، ولم يكن قصده بذلك أن يحصل على شيء من حطام هذه الدنيا الزائل من مال، أو منصب دنيوي من وظيفة، أو جاه، أو غيرها كما يفعله بعض المُتزلِّفين في كل زمان، وهذا واضح لمن قرأ سيرة حياته وزهده في الأمور الدنيوية وتورعه عنها، ولم يكن حديثه عن نفسه مجرَّد إعلان شخصي يهدف إلى رفع القيمة في أعين الناس كما يفعل الداعون لأنفسهم في المحافل، وميادين الانتخابات لكسب الحشود والجماهير[1].

ولم يكن أيضاً حديثه عن نفسه مجرد مفاخرة برَّاقة الظاهر خاوية المضمون والداخل، بل كل ما صرَّح به عن أخلاقه ونطق به لسان قاله، **صدَّقه** لسان حاله، وقد قَطَعَ الطَّرِيقَ على كل من يَظُنُّ به سوءًا مِن وراء كلامه عن نفسه وعن أخلاقه، وذلك

---

(١) ينظر: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٨٤.

عندما بيّن سبب تأليفه لكتاب «لطائف المنن والأخلاق» «فقد أوضح قصده، وبيّنه في الأمور التالية فقال:

أحدها: «ليقتدي بي إخواني فيها، فيتخلقوا بها، ويشكروا الله على ذلك، وقد مكثت متخلقاً بها عدَّة سنين، ولا يشعر إخواني بذلك، وكنت آمرهم بالتخلق بها فلا يسمعون، فقال لي جماعة منهم: هذه الأخلاق التي تأمرنا بها لم نجد أحداً تخلق بها من أهل عصرنا حتى نقتدي به فيها، فاستخرت اللهَ تعالى، وأظهرت لهم تخلقي بها قطعاً لحجتهم، **وقلت** لهم: انظروا هذه الأخلاق التي أذكرها لكم، فكل خُلُقٍ رأيتموني متخَلِّقاً به فاتبعوني عليه، وما بقي لكم حجة في ترك التخلق به، **فلولا ذلك لربَّما كان الكتمان لها أولى، وكان ذلك من جملة شكر نعمة الله تعالى عليّ؛ إذ خلَّقني بهذه الأخلاق بعد أن كنت معرى منها، كما أن من أنقذه الله تعالى من الغرق يتأكد عليه أن ينقذ كلَّ مَن رآه غريقاً**»[1].

ثانيها: «قصدي بذلك دوام الشكر لله تعالى بعد موتي مدة بقاء الكتاب، فإن شكر اللسان ينقضي بموت العبد، وشكر الله في الكتاب قد يتأخر أثره بعده، فيكون كالنائب في الشكر عن المؤلِّف، وكأن ذلك الشاكر لم يمت»[2].

ثالثها: «إعلام أهل عصري بدرجتي في العلم والعمل؛ ليقتدوا بي في حفظ كتب الشريعة، والتخلق بها قسم لي من ذلك»[3].

رابعها: «استغناء مَن يريد من إخواني أن يذكر شيئاً من مناقبي عن الفحص عنها والتتبع لها، وربما زاد فيها أو نقص كما يقع فيه من يجمع مناقب العلماء والصالحين»[1].

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص١١.

(٢) المرجع السابق: ص١٢.

(٣) المرجع السابق: ص١٢.

خامسها: «اقتدائي في ذلك بالسلف الصالح ﷺ، وقد سبقني إلى مثل ذلك جماعة ذكروا مناقبهم في طبقاتهم تحدثاً بنعمة الله ﷻ»[٢].

وكما قال العلماء: إنَّ الحْديثَ عن النَّفْس مقبولٌ شرعاً إذا كان الْهَدَف منه الإصلاح، ورفع هِمَم المْسلمين للنُّهوض بأعمال الْخَيْر والبِرِّ، لا أنْ يكون القَصد منه التَّباهي والتَّفاخر والتَّعالي على عباد الله تعالى، فقد أمر الله نبيه ﷺ بالتحدث بنعمة الله عليه فقال له: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى: ١١) فقد أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه، وإظهارها للناس، وإشهارها بينهم، والظاهر أن النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها، أو نوع من أنواعها[٣].

ويَظهر من هذا الأمر أنه أمرٌ للنبيِّ ﷺ ولأمَّته من بعده؛ لأنَّ «المْسلمين كانوا في عهد السَّلف الصَّالِح يَرون: أنَّ مِن شُكْرِ النعم أن يُحدّثَ بها.»[٤] وقد قال إمام التَّابعين **الْحسن البَصْري**[٥] رحمه الله: «إذا أَصَبْتَ خيراً أو عَمِلْتَ خيراً فحدِّثْ به الثِّقةَ من إخوانك»[٦]. وقد تحدَّث النبيُّ ﷺ - وهو القُدوة الحسنة - عن نفسه أكثر من مرة، فقال: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[٧] وقال: «إنَّما بعثت لأتمم صالح

---

(١) المرجع السابق: ص١٢.

(٢) المرجع السابق: ص١٢.

(٣) فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني: ج٥/ ٤٥٩، دار الفكر - بيروت.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري: ج٣٠/ ٢٣٣.

(٥) مرَّت ترجمته.

(٦) أحكام القرآن للإمام أبي بكر بن العربي ج٤/ ٤١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٣١٧٨٢)، والدارمي في سننه: (١٥) كلاهما عن أبي صالح رحمه الله عن النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك، (١٠٠) وقال: «حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبول»، والطبراني في الأوسط: ج٣/ ٢٢٣، (٢٩٨١) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ

الأخـلاق»[1] وقال ﷺ أيضاً «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنـه القـبر، وأول شافع وأول مُشفَّعٍ»[2]. ومنها ما روي عن النبي ﷺ في حثِّه على التحـدُّث بنعمـة الله تعالى وشكرها وعدم كتمانها: «من لم يـشكر القليـل لم يـشكر الكثـير ومـن لم يـشكر الناس لم يـشكر الله التحـدث بنعمـة الله شـكر وتركهـا كفـر والجماعـة رحمـة والفرقـة عذاب»[3]. وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة، وقـد اقتـدى بـالنبي ﷺ في هـذا الأمر كثيرٌ من العلماء والصالحين، ذكر الإمام الشعراني عدداً مـنهم في معـرض حديثـه عن اقتدائه بعلماء الأمة الذين تحدثوا بنعم الله ﷻ عليهم من الأخلاق الفاضلة وغيرها منهم: الإمام الفقيه المُحدِّث عبد الغافر الفارسي[4] والإمام العالم العلامـة لـسان الـدين

مرفوعاً، وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٨/ ٢٥٧: «رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسـط، ورجـال البزار رجال الصحيح».

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٨٩٣٩) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعـاً، وابـن أبي شـيبة في مـصنفه، (٣١٧٧٣) مـن حديث زيد بن أسلم ﷺ مرفوعاً، قال الإمام الهيثمي: « رواه أحمـد ورجالـه رجـال الـصحيح. » مجمـع الزوائـد: ج٨/ ١٨٨، وكذلك قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: ص١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٢٧٨)، قال **الإمام النووي** رحمه الله عند شرحه لهذا الحـديث في بيـان سـبب قول النبي ﷺ ذلك: « وإنما قاله **لوجهين**:

أحدهما – امتثال قوله تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث).

والثاني – أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى. **ثم قال**: وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهـل الـسنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفـضل الآدميـين وغـيرهم». **ينظـر**: شرح النـووي عـلى صـحيح مـسلم: ج١٥/ ٣٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: (١٨٤٧٢)(١٨٤٧٣) والبزار في مسنده: (٣٢٨٢)، والقضاعي في مسند الـشهاب، (٤٤) (٤٥)، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٥/ ص٢١٨: «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات».

(٤) هو: أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي، الحافظ الأديب، ولد بنيـسابور سـنة (٤٥١ هـ) كان إماماً في الحديث واللغة والأدب، والبلاغـة، فقيهـاً شـافعياً، أكثـر الأسـفار، وهـو سـبط الإمـام

ابن الخطيب[1] ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشي[2] والإمام المجتهد الزاهد أبو شامة[3] ومنهم الشيخ الإمام المُحدِّث الحافظ ابن حجر، والإمام السيوطي فقد ذكر مناقب نفسه في طبقات الفقهاء وطبقات المحدثين، وطبقات المفسرين، وطبقات النحاة وطبقات الصوفية وله كتاب خاص في ذلك سماه: «التحدث بنعم

القشيري صاحب «الرسالة القشيرية» وقد حدّث عنه، وتفقه بإمام الحرمين، ولازمه أربع سنين، من كتبه «المفهم لشرح غريب مسلم» و«السياق» في تاريخ نيسابور، رحل فأكثر الأسفار، ولقي العلماء، ثم رجع إلى نيسابور، وتوفي فيها سنة (٥٢٩ هـ). **ينظر**: شذرات الذهب: ج٤/ ٩٣.

(١) **هو**: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، الوزير الشهير الكبير الطائر الصيت في المشرق والمغرب، والمؤرخ الأديب النبيل، ولد بغرناطة سنة: (٧١٣ هـ) ونشأ بها. واستوزره سلطانها وابنه، عظمت مكانته. وشعر بسعي حاسديه في الوشاية به، سُجِنَ، ووُجِّهَت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة حتى أفتى بعض الفقهاء بقتله، فجاء بعض الأوغاد، فدخلوا عليه السجن ليلاً، وخنقوه، ثم دفن في مقبرة (باب المحروق) بفاس سنة: (٧٧٦هـ). ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً، منها: الإحاطة في تاريخ غرناطة، وقد ترجم لنفسه في هذه الكتاب. **ينظر**: الدرر الكامنة لابن حجر: ج٥/ ٢١٣-٢١٩، شذرات الذهب: ج٦/ ٣٤٤-٣٤٧.

(٢) **هو**: محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي، الصوفي الزاهد، وأحد العارفين، وأصحاب الكرامات والأحوال، نزل بيت المقدس، وبه توفي سنة: (٥٧٢هـ) عن خمس وخمسين سنة، كان رَحِمَهُ اللهُ جليل القدر يعظم الفقراء، ويقول: إنهم انتسبوا إلى الله. **ينظر**: شذرات الذهب: ج٤/ ٢٤٢، والطبقات الكبرى للشيخ الشعراني: ج٢/ ٣٥٠ بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود.

(٣) **هو**: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي، الشيخ الإمام العلامة المجتهد ذو الفنون المتنوعة، الفقيه المقرىء النحوي المحدث المعروف بأبي شامة- لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر- ولد بدمشق سنة: (٥٩٩هـ)، وأخذ عن الشيخين عز الدين بن عبد السلام وابن الصلاح، وكتب الكثير من العلوم وأتقن الفقه ودرس وأفتى وبرع في فن العربية، ومن تصانيفه شرح الشاطبية ومختصر تاريخ دمشق وشرح القصائد النبوية للسخاوي، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وغيرها، وكان مع كثرة فضائله متواضعاً طارحاً للتكلف، توفي سنة: (٦٦٥ هـ) **ينظر**: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ج٨/ ١٦٥-١٦٧، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج٢/ ١٣٣-١٣٥، شذرات الذهب: ج٥/ ٣١٨-٣١٩.

الله»[1]. وغيرهم.

ثم قال بعد أنْ ذَكَر هذه الأسباب، وبيَّنها: «فلم أقصد بها ذكرته لك من هذه الأخلاق الافتخار على الأقران، مَعاذَ الله أن أهدي إلى حضرته تعالى كتاباً مشتملاً على ما أستَحِقُّ به اللعنة والطرد، هذا هو قصدي الآن، وأرجو من الله تعالى دوام هذه النية الصالحة إلى المهات، وما ذلك على الله بعزيز، فإياك يا أخي أن تبادر إلى الإنكار على أولئك القوم الذين اقتديت بهم، أو عليَّ في هذا الكتاب وغيره، وتقول: إنه ليس من الأدب أن يذكر العبد مناقبه في كتاب، فإنَّ ذاك جهل وسوء ظن بالعلماء والعارفين الذين ذكرناهم، بل الواجب عليك أن تحمل القوم على المحامل الحسنة»[2].

ثُمَّ قال: «وسمعت سيدي علياً الْخَوَّاص رحمه الله يقول: اذكر كمالاتِك ما استطعت فإن بذلك يَكثرْ شكرُكَ لله وإيَّاك والإكثارَ من ذكر نقائِصكَ فإنَّه بذلك يَقِلُّ شُكرُكَ، فما رَبِحتَه من جهة نَظرِكَ إلى عُيوبِك خَسرْتَه من جهة تَعَامِيك عن مَحاسِنِكَ التِي جَعَلَها اللهُ فيك»[3].

ولا يُمكنني في هذا المبحث الضَّيِّق أن أسرد كلَّ ما تخلَّق به الإمام الشعراني من أخلاق، أو ما اتَّصف به من صفات؛ لأنَّ الكلام في هذا يطول، وليس هذا مجال التفصيل فيه، ولكنْ حسبي في هذا المقام أن أشير إلى بعض ذلك مِمَّا يعتبر كالخطوط العريضة للجانب الأخلاقي في شخصيته، وهو مِمَّا أكَّدَ عليه في أكثر كتبه ليكون منهاجاً أخلاقياً يسير عليه الطلبة والمريدون، فمن ذلك:

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص١٣. وهذا الكتاب للإمام السيوطي رحمه الله هو رسالة من رسائله، سماها: «نزول الرحمة في التحدث بالنعمة» ذكر فيها أدلة جواز تحدث الإنسان بنعم الله عليه إذا خلصت فيه نيته لله تعالى. ينظر: ص٩-١٥ من هذه الرسالة.

(٢) المرجع السابق: ص١٣.

(٣) المرجع السابق: ص١٤، وينظر أيضاً: ص١٥.

* **قوله**:«ومِمَّا أنعم الله تبارك وتعالى به عَليَّ: أخذي بالأحوط في ديني، ولا أترخص في تركه إلا بطريق شرعي، فكما أن من أخذ بالأحوط فهو على هدى من ربه، كذلك من أخذ بالرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها، وكنت بحمد الله تعالى حال اشتغالي على الأشياخ أشدد على نفسي بالعمل على الخروج من الخلاف ما أمكن، وكل ذلك طلباً لتكون عبادتي صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها...»[1].

* **قوله**:«ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَليَّ: عدم تعصبي لمذهبي من غير علم ولا اجتهاد، فلم أتذكر أني قلت عن شيء من مذهب المخالف: هذا ضعيف جدّاً، بل سُداي ولُحمتي التسليم للمخالف، وقد كان الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول:«ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه تخيَّرنا» انتهى وكذلك نقول: ما جاءنا عن الأئمة المجتهدين تخيرنا اتباع مَن شئنا منهم، ثم إذا اخترناه لازمنا العمل بكلامه... وإنما كنا نسلِّم للمخالف لإمامنا؛لأنه مجتهد، وقد قرر الشارع وجوب العمل على المجتهد بما فهمه من السنة فكذلك مَن ألزم نفسه باتباع مجتهد يلزمه العمل بقوله»[2].

* **قوله**:«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَليَّ حال اشتغالي بالعلم على الأشياخ حفظي من دعوى العلم والتكبر على العامة، فلا أستحضر أنني رأيت نفسي قط على أحد من عوام المسلمين، وذلك لأن جميع ما بيدي من النقول ليس هو عِلمي حقيقة، وإنما هو علم مَن استنبطه، واستخرجه، وما بقي معي إلا الحكاية نحو قولي: رجَّح فلانٌ، قال فلان كذا، أفتى فلان بكذا، وهذا ليس بعلمي حقيقة، وكان سيدي عليٌّ الخوَّاص رحمه الله يقول: علمُ الرَّجل حقيقة هو ما لم يسبق إليه، وأما مَن كان علمه مستفاداً

(١) المرجع السابق: ص٧٥، وينظر تفصيل هذا الكلام في: ص٧٦.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٧٦، وينظر تفصيل هذا الكلام في: ص٧٦ و٧٧.

من النقل فليس ذلك له بعلم، إنما هو صاحب لصاحب العالم»[1].

* **قوله**: «ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ حال اشتغالي بالعلم: عدم المبادرة إلى القول بتعارض الأدلة أو كلام المجتهدين، إنما أبادر إلى حمل كل كلام على حال خوفاً أن أرمي مِن الشريعة شيئاً فيفوتني العملُ به... وسمعت شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول: ليس في كلام الشارع ﷺ تعارض لأن كلامه يجِلُّ عن ذلك، فإن أجوبته ﷺ كانت تختلف باختلاف السائلين ومقامهم، وإلا فأين ما يجيب به السيد أبو بكر رضي الله عنه عنه مما يجيب به آحاد الناس من الأعراب...»[2].

* **قوله**: «ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: حفظي أيام الاشتغال من الجدال ورفع الصوت على رفقتي، فضلاً عن شيخي، بل كنت أتلقَّى جميعَ ما أسمعُه بالأدب والتسليم من غير تأويل إلا في المواضع التي يتعين فيها التأويل فما أطلعني الله تبارك وتعالى عليه من المعاني، قلتُ به من غير حصرٍ للمعنى في ذلك، وما لم يطلعني الله تبارك وتعالى على عِلَّته أكل علمه إلى الله تعالى، ولا أقف أتفكَّر فيه، لأن المَحلَّ غيرُ قابل لذلك....»[3].

* **قوله**: «ومما أنعم الله تعالى به عَلَيَّ: انشراح صدري لاتباع السنة المحمدية قولاً، وفعلاً، واعتقاداً، وانقباض خاطري من ضدِّ ذلك، من حين كنت صغيراً، حتى إني بحمد الله تعالى أتوقف في بعض الأوقات عن العمل ببعض ما استحسنه بعض العلماء، حتى يظهر لي وجه موافقته للكتاب والسنة أو القياس، أو العرف المشار إليه بقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)... وهذا أمر لم أجد له فاعلاً من الناس إلا

---

(١) المرجع السابق: ص٧٩.

(٢) المرجع السابق: ص٨٠.

(٣) المرجع السابق: ص٨١-٨٢.

قليلاً، وأغلبهم يقدم على الفعل من غير توقف ونظر هل ذلك موافـق للـشريعة أو لا؟ بخلافي بحمد الله تعالى، فـإني إن لم أجـد ذلـك الفعـل موافقـاً للـشريعة، ولم يظهـر لي موافقته لها ولا للعرف توقفت عن العمل به.

فكذب والله وافترى، مَن أشاع عني من الحسدة أنني أشـطح في أفعـالي، وأقـوالي، وعقائدي عن ظاهر الكتاب والسنة، مع أن أحداً من هؤلاء الحسدة لم يجتمع بي قط، ولا ثبت عنده ذلك ببينة عادلة، إنما بعض الحسدة زيَّن له الـشيطان ذلـك لَمَّـا عجـز أن يجـد مطعنـاً في أفعـالي الظـاهرة، فـافترى عـليَّ بـبعض كلـمات ودار بهـا في جـامع الأزهـر، وأخبرهم بذلك فالله تعالى يغفر له»[1].

* **قوله**:«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَـليَّ: كثـرة شـفقتي عـلى جميـع المـسلمين، وولاة أمورهم، حتى إني ربما أمرض لمرض ولي أمري، وأشفى في وقـت شـفائه، ومـن شفقتي على المسلمين وولاة أمورهم أنني أحوطهم في كلِّ يوم وليلة بما ورد في الأخبـار والآيات مما يدفع عنهم الآفات المعلَّقة على ذلك، حتى إني أحوط جسورهم أيام زيـادة النيل خوفاً من أنها تنقطع قبل وقتها أو يقطعها العصاة، فيعدم الناس رَي أراضـيهم أو بعضها، وكذلك أحوط زروعهم من الدودة، والهيـاف، والفـأر، ونـزول المطـر الـذي يحرق الزرع بعد اشتداد حَبِّه ونحو ذلك، وكذلك أحوط زهـر الفواكـه والخـضراوات خوفاً من البرد والحر الشديدين لأنه يسقط الزهـر فيخـسر النـاس.. وأحـوط دورهـم وحوانيتهم خوفاً أن تسرق اللصوص ما فيها حال غيبتهم... وهـذا الخلـق مـن أعظـم أخلاق الفقراء (الـصوفية) ولم أرَ لـه فـاعلاً مِـن إخـواني في مـصر وقراهـا إلا قلـيلاً، وغالبهم إنما يحمل همَّ نفسه أو همَّ مَن يلوذ بـه فقـط... ومـن علامـة مَـن يحمِـل هـمَّ المسلمين أن لا يفطر أيام هومهم، ولا يضحك، ولا يبخِّر له ثيابـاً ولا غـير ذلـك، بـل

---

(١) المرجع السابق: ص٩٩- ١٠٠.

يكون حاله كحال صاحب المصيبة العظيمة يوم موت أعز أولاده أو إخوانه، أو عزله مِن ولايته»[1].

* **قوله**:«ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: عدم طلبي لشيء من مناصب الدنيا من حين وعيت على نفسي، فلم أزل بحمد الله تعالى أحب الزهد في الدنيا وشهواتها إلهاماً من الله تعالى.. فليس لي بحمد الله تعالى علاقة في الدارين تعوقني عن الاشتغال بربي جل وعلا، ولذلك لا يطلب مني أحد شيئاً إلا أعطيته إياه إلا أن يمنعني الشرع منه»[2].

* **قوله**:«ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: عدم مبادرتي إلى سوء الظن بأحد من المسلمين، وكثرة ستري لما تحققته من عوراتهم، وذلك لأن الظن أكذب الحديث....ولا يؤاخذ اللهُ تعالى في الآخرة عبداً أحسن الظن بعباده المؤمنين، إنما يؤاخذ من أساء الظن بهم»[3].

* **قوله**:«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ مِن صغري عدم مزاحمتي على شيء فيه رياسة دنيوية،..لا سيما إن كان مَن هو أولى بها مني، لكثرة علمه أو ورعه مثلاً.. فلا أنازع مَن يزاحمني في الرياسة قط، وإذا كنت أخطب للناس أو أصلي بهم، أو أدرِّسهم العلم، أو أعظهم..و جاءني شخص يريد أن يكون مكاني وهو أهل لذلك ترَكتُه له بانشراح صدر مع اتهام نفسي في الإخلاص وذلك لأن مقصود الصادقين إنما هو إقامة شعار الدين مِن حيث هو لا بشرط أن يكونوا هم الفاعلين لذلك إلا بطريق شرعي، ومتى نازَعَنَا مَن يطلب منا ذلك ولم نتركه بطريقه الشرعي فنحن محبون للرياسة وليس لنا في قدم الصدق نصيب، بل نحن محبون للدنيا التي زعمنا.... أنَّا تركناها»[4].

---

(١) المرجع السابق: ص١٢٨.

(٢) المرجع السابق: ص١٦٩.

(٣) المرجع السابق: ص٢٦٠.

(٤) المرجع السابق: ص٢٦٠.

* **قوله**:«ومِمَّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَليَّ: خفض جناحي لفسقة المسلمين كالحَشَّاشين والمقامرين والظلَّمة ولا أحتقر في نفسي أحداً منهم إلا من حيث ذلك الفعل المذموم حين التَّلبُّس به فقط، فإذا نزع منه وتوضأ وصلى مثلي حملته على أنه تاب منه وندم، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:١١)»[1].

* **قوله**:«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَليَّ: تعليمي الأدبَ للأمراء إذا اجتمعتُ بهم عند تعيُّن ذلك عَليَّ، فإن الناصحَ لهم أعزُّ من الكبريت الأحمر، وغالب الناس يستحي أن ينصَحَهم هيبةً لهم أو خوفاً من شرِّهم، أو لعدم اكتراثه بذلك، ولـمَّا دخلت على الوزير علي باشا مصر في خيمته حين برز للسفر سنة (٩٦٠هـ) تلقَّاني مِن خارج الخيمة وعضدني مِن تحت إبطي، وأجلسني على فراشه، وجَلَسَ هو دوني، وقال لي: مهما يكن لكم من الحوائج فأرسلوا لنا بها ورقة في إسطنبول نقضِهَا لكم... لقربنا هناك من السلطان، فقلتُ له: ليس للفقراء (الصوفية) بحمد الله تعالى عند الولاة حاجة، ولكن إن كان لكم أنتم حاجة فأعلمونا بها نسأل الله تعالى لكم فيها، فأطرق مليّاً، ثم قال: أستغفر الله، أنتم تعلقتم بالحق تعالى، ونحن تعلّقنا ببعض عبيده، فكان الصواب معكم لأن الحق تعالى بيده ملكوت كل شيء»[2].

* **قوله**:«ومِمَّا أنعم الله تبارك وتعالى به عَليَّ: عدم رؤيتي في نفسي أنني معدود من جملة علماء الزمان، بل لم يزل جهلي مشهوداً على الدوام، ولو أن السلطان رسم لأهل العلم والصلاح في مصر كلَّ واحد بألف دينار لا تحدِّثني نفسي بأنَّهم يعطوني من ذلك شيئاً، وهذا الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي، وغالب مَن يدعيه مُتَفَعِّلٌ فيه فيقول أحدهم: نحن لسنا من العلماء وإذا فرَّق السلطان على العلماء مالاً فلم يعطوه

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٢٩٥.

(٢) المرجع السابق: ص٢٩٨.

شيئاً تكدر، وتَمَيَّز من الغيظ، ففعله هذا يخالف دعواه....»[1].

* **قوله**:«ومِمَّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: نفرتي بالطَّبع مِمَّن يقبِّل يدي، لا سيما في المحافل، أو يَمشي معي إلى الباب إذا خرجت من الجامع الأزهر مثلاً إلا لغرض شرعي، كما أني أحب مَن لم يقبِّل يدي، ولم يقم لي، ولم يمشِ معي، ولم يعتقدني، كل ذلك خوفاً على أديان الحسدة أن تتمزق بسببي، فإنهم إن لم يتكلموا في حقي بلسانهم تكلَّموا بقلوبهم، ووقعوا في سوء الظن، فأثموا بسببي، ولو أن أحداً لم يقبِّل يدي، ولم يمشِ معي، لربَّما لَم يقعوا في شيء من ذلك، وأيضاً فإن النفس تحب مَن يعظِّمها في المحافل، فربما مالت إلى ذلك فأهلكت صاحبها، وربَّما قدَّم الناس الإنسان في صلاة الجنازة على أحد من أقرانه فقامت على الذي قَدَّموه القيامة»[2].

وكان الشعراني رحمه الله **يعتذر ممن يريد تقديمه للصلاة على الجنازة** ويقول:«كل ذلك مراعاة لأصحاب الرعونات الذين يحضرون غالباً الجنائز، **لا سيما الحال في جنائز الأكابر، فإن أصحاب الأنفس يتقاتلون على التَّقدُّم فيها.**»[3].

* **قوله**:«ومِمَّا أنعم الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: كثرة إكرامي لأهل الحِرَف النَّافعة، وعدم ازدرائي لأحد منهم إلا بطريق شرعي، ومرادي ازدراء أفعالهم لا ذواتِهم؛ لأنَّ الحمد والذَّم منوط بوجه نسبة الفعل للعبد من حيث التكليف لا من حيث كون ذلك خلقاً لله تبارك وتعالى، وانظر إلى قوله ﷺ في الثوم:«إنَّها شجرة أكره ريحها»[4] فلم يكره إلا صفتها لا ذاتَها»[5].

---

(١) المرجع السابق: ص٣٠٧.

(٢) المرجع السابق: ص٤١٦.

(٣) المرجع السابق: ص٤١٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: (٥٦٥).

(٥) لطائف المنن والأخلاق: ص٤١٧.

* **قوله**: «ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: مسامحة كل من اغتابني بعد موتي، أو في حياتي، ولم تبلغني غيبته، لأني وإن لم أعلمه فالله يعلمه، وإنما عيَّنت من اغتابني بعد موتي بالذكر؛ لأنني سَمعت بعضَ الناس يستغيب الميت بعد موته، وما بقي يتصور من ذلك الميت براءة ذمته له، ولا مسامحة، ولا عفو ولا صفح إلا يوم القيامة، فتصير ذمته مشغولة إلى يوم القيامة، والحق تبارك وتعالى يكون غير راض عنه، حتى يسامِحَه خصمه، أو حتى يصالح الحق تعالى بين عباده»[1].

* **قوله**: «ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عَلَيَّ: عدم تكدُّري ممن ناداني باسمي المجرَّد عن الكنية أو اللقب، أو الشياخة، والسيادة، أو نحو ذلك، لعلمي بأن نداء الإنسان باسْمه المجرَّد عمّا ذكَرنا هو الصدق المحض، بخلاف الألقاب والكنى فإنها ربما دخلها الكذب إلا بتأويل بعيد، وقلَّ مَن يقبلها من الناس... **وماذا يغني مَن يفرح بقول الناس** له: يا شمس الدين، يا نور الدين، يا سراج الدين، وقد يكون سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه يكون فحمة من فحم جهنم؟»[2].

وبعد هذا أستطيع أن أقول: إن الإمام الشعراني رحمه الله يعد بحق صاحب مدرسة أخلاقية فريدة، تعتبر واحدة من أبرز، وأهم المدارس الأخلاقية التي عرفها علماء المسلمين، قديماً وحديثاً؛ لأنها ناقشت جميع الأمور الأخلاقية بدقائقها وجزئياتها، ومشكلاتها، ومن ثَمَّ عَرضَتْها بطريقة سهلة مبسَّطة، وبعبارات شيقة جذابة، يفهمها كلُّ مَن اطلع عليها، ولو عنده أدنى درجة من الثقافة الدينية والأخلاقية.

وفي هذا القدر الذي ذكرته من هذه الأخلاق الفاضلة النادرة والغريبة، والصفات الحميدة، التي تخلَّق بها الشعراني كفاية، ولعلِّي أطلت، وعذري في الإطالة في ذلك إنما

---

(١) المرجع السابق: ص٧٨٣.

(٢) المرجع السابق: ص٦٩٨.

هو ضرورة التعرف على الناحية الأخلاقية في شخصية هذا الإمام الجليل، والتي تُمثِّل الناحية الكبرى من شخصيته، ورسالته الإصلاحية التي نادى بها، والتي أخذت نصيباً وافراً من كتبه ومؤلَّفاته.

المُطلَب الرَّابع
أسرة الإمام الشَّعَراني وأهل بيته

تنفَّس الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله أولَ ما تنفس الحياة في جو صوفي خالص، وفي بيت قوامه التبتل والتعبد فهو ينحدر من أسرة ترك رأسُها الأول مجدَ الملك ورفاهيته ونعيمه إلى منهج الزهد الصوفي، ومجاهداته، ومسارح تعبداته، ومجال تأمُّلاته[1]، فجدّه الشيخ موسى المكنى بأبي العِمران بن السلطان أبي عبد الله أحمد الزُّغلي، لما اجتمع بالشيخ العارف بالله أبي مدين التلمساني رحمه الله المتوفى سنة (٥٩٤ هـ)، قال له الشيخ أبو مدين: لمن تنتسب ؟ قال: والدي السلطان أحمد سلطان تلمسان، فقال له: إنما عنيت نسبك من جهة الشرف، فقال: أنتسب إلى السيد محمد بن الحنفية، فقال له: ملك، وشرف، وفقر (تصوف) لا يجتمعُنَّ، فقال له: يا سيدي قد خلعت ما عدا الفقر، فرباه فلما كمل في الطريق أمره بالسفر إلى صعيد مصر، وقال له اسكن بناحية (هور) بصعيد مصر الأدنى (بإقليم المنية) فإن فيها قبرك، وكان كذلك ، وقد توفي رحمه الله سنة (٧٠٧هـ)[2].

ويبدو أن الشيخ «موسى» قد عاش عمراً مديداً حافلاً بالخير والبركة، ومن خلال تاريخ وفاته يبدو أنه عاش إلى ما فوق مئة سنة، وكان ذا مروءة نادرة، وكرامات مشهورة وقد أعقب ذرية اشتهرت بالصلاح والتقوى[3]، وأعظم كرامة في نظري

---

(١) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص٣٥.

(٢) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٦٦، تذكرة أولي الألباب: ص١٧.

(٣) ينظر: تذكرة الألباب: ص١٨ — ٢٠، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٢٤.

تُنسَب له إنَّما هي هذه الذُّرِّية الطيبة الكريمة التي ظلَّت حفيظة على التَّقوى والصَّلاح، ومن تلك الذُّرِّية جدُّ الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وهو «**الشيخ أحمد شهاب الدين الشعراني**» وهو «ابن الشيخ محمد بن الشيخ موسى أبي العمران المتقدم ذكره»، الذي هاجر من بلده إلى ناحية ساقية أبي شعرة بالمنوفية، والذي كان أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، ولكنه كان يستدل بالآيات والأحاديث في وقائع الأحوال فيتعجب الناس من ذلك، وكان زاهداً، ورعاً، ذا صيانة وديانة، وقد توفي سنة (٨٢٨هـ)، ودفن بساقية أبي شعرة[1].

وجاء من بعده ابنه الذي ورث عنه حاله وزاد عليه: العارف بالله العالم العلامة «**نور الدين علي الأنصاري**» وكان من رفقة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله في طلب العلم في الجامع الأزهر حال الشباب، وكانت له أقوال مأثورة، وحكم مشهورة، منها قوله: «**الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم.**» وقد أخذ العلم عن علماء الأزهر، وأجازوه بالفتيا، وهو ابن عشرين سنة[2]، وكان كثير الجد في العبادة والتقرب إلى الله تعالى، ومرة قالت له زوجته: «أشتهي من الله أني أراك ليلة واحدة نائماً عندنا طول الليل كما يفعل الناس»، فيقول لها: «**نحن ما دخلنا هذه الدار للنوم، وإنما دخلناها للجد والتَّعب والاجتهاد في العبادة، وسوف ننام طويلاً في القبر إن شاء الله تعالى إذا متنا إلى قيام الساعة**»، توفي رحمه الله سنة: (٨٩١هـ) ودفن ببلدته ساقية أبي شعرة[3].

وأعقب بعده ابنَه «**الشيخ شهاب الدين أحمد**» والد الإمام عبد الوهاب الشعراني، وقد اشتغل في العلم على والده، ووالده أخذ العلم عن الحافظ ابن حجر، وشيخ

---

(١) ينظر: تذكرة الألباب: ص٢٠-٢١.

(٢) ينظر: تذكرة الألباب: ص٢١.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ص٣٦ – ٣٧.

الإسلام صالح البلقيني والشرف يحيى المناوي، وكان رحمه الله عالماً، صالحاً، فقيهاً، نحوياً، مقرئاً، وله صوت شجي في قراءة القرآن، يخشع القلب عند سماع تلاوته، وكان له شعر وقوة في الإنشاء، وربما أنشأ الخطبة حال صعود المنبر، **وكان مع ذلك لا يُخلُّ بأمر معاشه من حرث وحصاد**، وغير ذلك وكان رقيق القلب.

قال الشيخ الشعراني عن والده رحمه الله: «وقد كنت أقرأ عليه في سورة الصافات فلـمَّا بلغت قوله تعالى: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾ (سورة الصافات)، فبكى حتى أغميَ عليه، وصار يتمرَّغ في الأرض كالطير المذبوح، ثم قال: «وصنف والدي عدة مؤلفات في علم الحديث والنحو والأصول والمعاني والبيان فنهبت مؤلفاته كلها فلم يتغير، وقال: لقد ألفناها لله فلا علينا أن ينسبها الناس إلينا أم لا».

توفي رحمه الله سنة (٩٠٧هـ) ودفن في بلدته ساقية أبي شعرة بزاويتهم إلى جانب قبر والده[١].

وللإمام الشعراني أخٌ شقيق اسْمه: «**عبد القادر الشعراني، الشيخ العالم العلامة**»، وهو أول مَن قيَّضه الله تعالى لكفالة أخيه عبد الوهاب بعد وفاة والده، لعلمه تعالى بأنه أحق بكفالته من كل أحد وأقرب الناس إليه في مطالبه، وأشفق عليه من جميع أقاربه، فكان صاحب التأثير الأكبر في شخصية أخيه عبد الوهاب الصوفية العلمية، وكان له مناقب كثيرة في الزهد والورع والعفة، وترك الدنيا، ومع ذلك كان يقري الضيوف على اختلاف طبقاتهم، ويقوم بالأرامل، والأيتام والمساكين، ويكسوهم، ويطعمهم، حتى شاع ذلك عنه، وعرف عند الخاص والعام، توفي رحمه الله سنة: (٩٥٦هـ)، ودفن بمقبرة

---

(١) ينظر: تذكرة الألباب: ص٣٨-٤٠، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٤، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٢٥-٢٨.

بلده ساقية أبي شعرة[1].

فهذه هي الأسرة الصالحة التي ينتمي إليها الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله، وهي كما رأينا أسرة علم وفضل، وصلاح، فليس غريباً أن ينشأ فرع هذه الدوحة الهاشمية زاكياً، طيباً، عظيم البركة، والشيء من معدنه لا يُستغرَب[2].

وأما أولاد الشيخ الشعراني: فقد رزقه الله تعالى أولاداً كثر، ولكنَّ الله تعالى قد قبضهم إليه في حال حياة والدهم، ثم إن الله تعالى أخلف عليه منه بعدهم ولده الشيخ الأستاذ، والعالم الصالح عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراني، الذي كان لطيف الذات حسن الخِلال، يحب الخفاء، ويكره الظهور، ماهراً في علم التصوف، قام بعد وفاة والده بشؤون الزاوية، وتربية المريدين، توفي رحمه الله افتتاح سنة إحدى عشرة بعد الألف (١٠١١هـ)، ودفن بزاوية والده بباب الشعرية، وقد أخلف ولدين هُما: الشيخ إبراهيم الشعراني، والشيخ يحيى الشعراني[3].

---

(١) ينظر: تذكرة أولي الألباب: ص٤٠-٤٧.

(٢) ينظر: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٣٠، التصوف الإسلامي والإمام الشعراني:ص٢١-٢٤.

(٣) ينظر: تذكرة أولي الألباب: ص٤٠-٤٧ ، خلاصة الأثر للمحبي: ج٢/ ٣٦٤.

المبحث الثالث

حياة الإمام الشّعَراني العلميَّة

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول**: طلب الإمام الشَّعَراني للعلم و رحلته إلى القاهرة من أجله

* **المطلب الثاني**: شـيوخ الإمام الشعراني و تـلاميذه و بعض أقرانه

* **المطلب الثالث**: مطالعاتُ الإمام الشعراني و تبحُّـرُه في العلوم

المْطلَب الأوَّل

طَلَبُ الإمام الشَّعَرَانِيُّ للعلم ورحلتُه إلِى القَاهرة من أجْلِه

مرَّ معنا في المبحث الأول من حياة الإمام الشعراني الشخصية أنه نشأ في بلده ساقية أبي شعرة، وحفظ القرآن الكريم فيها في حياة والده وهو ابن ثَمانِي سنوات، وحفظ أيضاً بعض متون العلوم الشَّرعية على يد أخيه الشيخ عبد القادر الشَّعَرانِي رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

ثم بعد ذلك انتقل إلى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة (٩١١هـ)، وأقام في جامع أبي العباس الغمري، مقبلاً على طلب العلم والعبادة لله سبحانه وتعالى، **ويقصُّ علينا الإمام الشعراني تاريخ حضوره إلى القاهرة فيقول:**«وكان مَجيئي إلى مصر (القاهرة) سنة إحدى عشرة وتسعمئة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، **فأقمت في جامع سيدي أبي العباس الغمري**، وحنَّنَ الله تعالى عليَّ شيخ الجامع وأولاده، فكنت بينهم كأني واحد منهم، آكل مما يأكلون، وألبس مِمَّا يلبسون فلا يجازيهم عني إلا الله تعالى، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها وحللتها على الأشياخ»[2].

وكان حريصاً على اغتنام كل دقيقة من حياته في طلب العلم، فلم يكن يُرَى إلا قارئاً أو ناسخاً أو مصغياً أو سائلاً، وكان في أثناء طلبه للعلم يتجه أوَّلاً إلى الحفظ مباشرة؛ لأنَّ حفظ المْادَّة أدعى إلى بقائها في الذِّهن، وعَدم ذهابِها منه، **وكما قال العلماء:** مَن حفظ المْتون حاز الفنون، فحفظ عدة متون منها: كتاب منهاج الطالبين للإمام

---

(١) ينظر: ص٦٤ من هذه الدراسة.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٦٧.

النووي في الفقه الشافعي، ثم ألفية ابن مالك في النحو، ثم التوضيح لابن هشام[1]، ثم جمع الجوامع في أصول الفقه للإمام تاج الدين السبكي، ثم ألفية العراقي في مصطلح الحديث، ثم تلخيص المفتاح[2]، ثُمَّ الشاطبية في علم القراءات[3]، ثم قواعد ابن هشام[4]، وغير ذلك من المختصرات، فحفظها حتى صار يعرف متشابِهاتِها كالقرآن من جودة حفظه لها، ثُم ارتفعتْ هِمَّتُه إلى حفظ كتاب الروض[5] مختصر روضة الطالبين لكونه أجمع كتاب في مذهب الإمام الشافعي فحفظ منه إلى باب القضاء على الغائب، وطالع باقيَه أكثر من مئة مرة، ثم عرض ما حفظه من تلك المتون على مشايخ عصره الجامعين بين العلم والعمل، ثم شرح تلك المتون وعرض شرحها أيضاً على المْشايخ الذين عرضها عليهم[6].

---

(١) واسمه أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ثم اشتهر بالتوضيح للعلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي المتوفى سنة (٧٦٢هـ). ينظر: كشف الظنون: ج١/ ١٥٤.

(٢) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان: للشيخ الإمام جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة (٧٣٩ هـ) وهو متن مشهور. كشف الظنون: ج١/ ٤٧٣.

(٣) واسمها: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للسبع المثاني: وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي الضرير، المتوفى بالقاهرة سنة: (٥٩٠هـ) وأبياتها: (١١٧٣) بيتاً. كشف الظنون: ج١/ ٦٤٦.

(٤) واسمه: الإعراب عن قواعد الإعراب للإمام ابن هشام النحوي، المتوفى سنة: (٧٦٢هـ) وهو مختصر مشهور بقواعد الإعراب. كشف الظنون: ج١/ ١٢٤.

(٥) الروض مختصر الروضة في الفروع للإمام النووي وهو-أي الروض -: لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المعروف: بابن المقري اليمني الشافعي، المتوفى: سنة (٨٣٧ هـ). كشف الظنون: ج١/ ٩١٩.

(٦) ينظر: الكواكب الدرية: ج٣/ ٦٩، تذكرة أولي الألباب: ص٤٩ و٥١، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٢. وقد تحدث الإمام الشعراني عن رحلته إلى القاهرة وحفظه لهذه المتون، وشرحه لها وعرضه شرحه لها على مشايخ عصره في لطائف المنن: ص٦٨-٦٩.

وكان في هذه الأثناء يتردد إلى الجامع الأزهر، ويتلقى العلم على أيدي علمائه الأجلاء، فقرأ على الشيخ شمس الدين السمانودي[1] المفتي والخطيب بجامع الأزهر إلى النصف من شرح منهاج الطالبين للمحلي ثم مات رحمه الله، كما قرأ أيضاً على الشيخ الإمام العلامة الشيخ نور الدين السنهوري الضرير الإمام بجامع الأزهر عدة كتب منها شرح شذور الذهب، ومنها نظمه للآجرومية، وشرح نظمه لها وشرح الألفية، وغير ذلك[2].

وكان يحضر أيضاً مجالس الصلاة على النبي ﷺ التي كان يقيمها شيخه العارف بالله علي الشُّوني[3]، في الجامع الأزهر، وقد أحبه الشَّيخ الشُّوني، وقرَّبه واصطفاه، فحضر مَجلسه لِمدة خَمس سنوات، ثم إنه لَمَّا رأى أمْرَه قد تَمَّ وكمل في جامع الغمري أشار عليه - يعني الشَّيخ الشُّوني - بأن يقيم مَجلساً للصلاة على النبي ﷺ في جامع الغمري، وفعلاً صار الأمر كما أراد الشَّيخ الشُّوني، وحضره الكثير من الناس[4] وكانت مدة إقامته في جامع الغمري طويلة تُقدَّر بِحوالي سبعة عشر عاماً[5]، وقد وجد الإمام الشَّعراني في هذا الجامع كلَّ عناية كريمة من إمامه ومن أسرته، فأفسَحُوا له صدورهم قبل بيتهم فكانوا كما وصفهم حين قال: «حنن الله تعالى عليَّ شيخ الجامع وأولاده،

---

(١) هو: الشيخ الإمام، المحدِّث شمس الدين السمانودي الشافعي، المفتي والخطيب بجامع الأزهر، كان عالماً ورعاً زاهداً، لا يأكل من معلوم وظائفه الدينية، وإنما كان ينفقه على العيال، انتهت إليه الرئاسة في الفتوى مدة طويلة، ثم انتقل إلى المحلة الكبرى، فلم يزل يفتي ويدرس في العلم بها إلى أن مات سنة (٩٢١هـ). ينظر: الطبقات الصغرى للشعراني: ص٤٩-٥٠، الكواكب السائرة: ج١٣/ ٨٦.

(٢) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٧١ و٧٢.

(٣) سوف تأتي ترجمته في الكلام عن مشايخ الشعراني في العلم والسلوك إن شاء الله تعالى.

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني: ج٢/ ٨٠٠ نشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط: ١/ ٢٠٠١م، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، تذكرة أولي الألباب: ص١٥٣.

(٥) الخطط التوفيقية: ج١٤/ ١٠٩.

فكنت بينهم كأني واحد منهم، آكل مما يأكلون، وألبس مما يلبسون فلا يجازيهم عني إلا الله تعالى، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتِها، وحَلَلْتُها على الأشياخ»[1].

ومن جملة هؤلاء الأشياخ:

الشيخ أمين الدين الإمام والمُحدِّث بِجامع الغَمْري[2]. وهو أول من تلقَّى عليه الفقه والحديث والتفسير والأصول والنحو وغيرها، [3]والشيخ الإمام العلامة شَمس الدين الدَّواخلي[4] الذي كان فقيهاً صوفياً، أصولياً نَحوياً محقِّقاً للأَبْحاث، وقد تَلقَّى على يديه الفقه والأصول، والتفسير، والعربية. [5]

فأقام في ظلال هذا الجامع يراوح بين تحصيل العلم والعبادة، فحدثت له الفيوضات الروحية الكريمة، التي كان لها الأثر الأكبر في رسم مستقبله الروحي

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٦٧.

(٢) هو: الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الفقيه المقرئ الأصولي النحوي الصوفي، الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري بالقاهرة، كان كثير العبادة، وقته محفوظ لا يضيعه فيما لا يعنيه، وكان يقرأ بالقراءات السبع بصوت ما سمع السامعون بمصر مثله، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة: (٩٢٩هـ) في القاهرة، ودفن بها. ينظر: الطبقات الصغرى: ص٥١-٥٣.

(٣) ينظر: الطبقات الصغرى للشعراني: ص٥١، لطائف المنن والأخلاق: ص٦٩.

(٤) هو: الشيخ الإمام العلامة، المحقق المحدث، الشيخ شمس الدين الدواخلي - نسبة إلى دواخل وهي قرية من المحلة الكبرى - المصري الشافعي كان رَحِمَهُ اللَّهُ مخصوصاً بالفصاحة في قراءة الحديث، وكتب الرقائق، والسير، كريم النفس، حلو اللسان، وكان من خزائن العلم، أخذ عن البرهان بن أبي شريف، والكمال الطويل، والشمس بن قاسم، والزين عبد الرحمن الأنباسي، وغيرهم ودرس بجامع الغمري وغيره، وانتفع به خلائق، توفي في سنة: (٩٣٩هـ)، ودفن بتربة دجاجة، خارج باب النصر. الكواكب السائرة: ج٢/ ٧٤

(٥) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٧٠-٧١.

العلمي الزاهر..»[1]، وألَّف وهو في هذا الجامع العامر بالعلم وبذكر الله تعالى كتابه القيِّم الميزان الكبرى في الفقه المقارن الذي وفق فيه بين أقوال الأئمة المجتهدين، بيَّن فيه أن تلك الأقوال لا تخرج عن عين الشريعة الإسلامية، وهذا الكتاب يُعَدُّ بِمثابة الشرح والتوسيع لكتابه الميزان الخَضرية الذي أخذه عن الخضر ﷺ في رؤية رآها له في أثناء إقامته في الجامع الغمري، وهو صورة مصغرة عن كتاب الميزان[2].

ثُمَّ ترك جامع الغمري، وانتقل إلى مدرسة أم خوند - الكائنة بين السُّورَين في القاهرة - وكان ذلك على وجه التقريب سنة (٩٣٠هـ)، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته، فقد استقر به المقام في مكان هادئ يستطيع أن يفرغ نفسه لرسالته التعليمية الإصلاحية التي كرس جهوده لها، فأقام بهذه المدرسة هو وأهل بيته سبع سنين يوقد بها القناديل ويكنسها، ويَخدُم فيها؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ بغير معلوم، وربَّى بها المريدين، وبلغ عددهم عنده فيها نحو المئتين.[3]

وبدأ فيها يؤلِّف تآليفه النَّافعة، فقد ألَّف أثناء إقامته فيها كتابه القيِّم **كشف الغمة عن جميع الأمة**، وانتهى من تبييضه سنة (٩٣٦هـ)[4]، وقد شَحَنه بالآثار الكريمة من السُّنَّة النَّبويَّة المُطهَّرة، ورتَّبه على جَميع الأبواب الفقهية، مِمَّا يَجعله مرجعاً مهماً في أدلة المْذاهب الفقهية، وكان قد انتقل من جامع الغمري إلى مدرسة أم خوند بسبب الإيذاء الكثير الذي قد تعرَّض له من قِبَل جماعةٍ من أهل جامع الغمري بغير علمِ إمامه أبي

(١) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص٢٩-٣٠، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٥٤.

(٢) ينظر: الميزان الخضرية للإمام عبد الوهاب الشعراني: ص٩

(٣) تذكرة أولي الألباب: ص١٥٣.

(٤) ينظر: كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعراني: ج٢/ ٣٣.

الحسن الغمري[1] وخاصة عندما اشتهر ذكرُه، وعلا صيتُه فأكل الحسدُ قلوب تلك الجماعة، حتى إنهم صاروا يضربون كلَّ من جلس عنده ليحضرون مجالس الذكر التي يقيمها في ذلك الجامع، لذلك انتقل إليها[2].

يقول الإمام الشَّعَراني رحمه الله عن ذلك: «فأصبحتُ منتقلاً إلى مدرسة أم خوند فحصل فيها راحةٌ عظيمةٌ، وكان الشيخ أبو الحسن - يعني الغمري - بعد أن خرجتُ يقول لي: أنا أهاجر من الجامع، ويقول لي: انظر لي موضعاً، ولو في رَبع أسكن فيه، من شدة الأذى من الجماعة الذين تَحَزَّبوا عليك وأخرجوك»[3].

وفي تلك المدرسة بَزغَ نَجمُه، واشتَهر ذِكْرُه، وعلا صيتُه، وبَرَزَ في جميع العلوم الشرعية، وأصبح من العلماء الكبار المُشار إليهم بالعِلم والصَّلاح والورع، وفيها كانت مَجالِسُه العِلْمية والتَّعبُّدية، التِي غَدتْ قِبلَةً لِصفوة العلماء والعُبَّاد الذين يأتون إلى الشَّعراني يَنهلون من علمه، ويلتمسون النُّورَ في هديه وكَلِمِه[4].

وفي أثناء إقامته بمدرسة أم خوند بنى له القاضي محيي الدين عبد القادر

---

(١) هو: محمد بن العارف بالله تعالى أبي العباس أحمد الغمري المصري الشافعي الصوفي الصالح الورع قال الإمام الشعراني: جاورت عنده ثلاثين سنة ما رأيت أحداً من أهل العصر على طريقته في التواضع والزهد وخفض الجناح وكان لا يبيت وعنده دينار ولا درهم ويعطي السائل ما وجد حتى قميصه وكان يخدم في بيته ما دام فيه وكان جميل المعاشرة خصوصا في السفر وكان كثير التحمل للبلاء لا يشكو من شيء أصلاً، توفي سنة (٩٨٩هـ). ينظر: طبقات الشعراني الكبرى: ج٢/ ٧٤٧-٧٥٠، شذرات الذهب: ج٨/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: ج٢/ ٧٤٩ – ٧٥٠، تذكرة أولي الألباب: ص ١٥٣-١٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني: ج٢/ ٧٥٠.بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود.

(٤) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني:ص٥٢- ٥٣، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٥٩.

الرزمكي[1] مدرسة أصبحت فيما بعد المدرسة المشهورة التي اقترنت باسم الشيخ الشعراني، والتي لم تلبثْ أنْ أصبحتْ منارةً للعلم والمعرفَة والعبادة، وألْحَقَ بها مَكاناً للسَّكَن، وقد انتقلَ إليه هو وعيالُه، وتَركَ مدرسةَ أمِّ خوند بعد إقامته فيها سبع سنين[2].

وكان بهذه المدرسة والزاوية في حال حياة الشيخ الشعراني دروسُ العلم في الفقه والحديث والتفسير والنحو والقراءات، وغيرها من آلات العلوم الشرعية، وكان بها دروس علم التصوف والأدب، وكان بها مَجالس الذكر ليلاً ونهاراً، فكانت دائماً عامرة بذكر الله ﷻ وقراءة القرآن، بل لقد صارت مأوى للفقراء والمظلومين من أصحاب الحاجات الذين يأتون إليه، حتى قال تلميذه الإمام المُناوي رحمه الله: «واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بِهم من نفقة وكسوة، وكان يُسمع لزاويته دويٌّ كدويِّ النحل ليلاً ونهاراً، ما بين ذاكر، وقارئ للقرآن ومتهجِّد، ومطالع للكتب، وغير ذلك»[3].

---

(١) هو: القاضي، ورأس الكتاب بديوان القلعة بالقاهرة في بداية عهد السلطان سليم الأول. ينظر: تذكرة أولي الألباب: ص١٦٨.

(٢) ينظر: تذكرة الألباب: ص١٦٨، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٥٩.

- وسبب بناء هذه المدرسة هو: أن القاضي عبد القادر الرزمكي غضب عليه السلطان سليم الأول حين قدم مصر وأخذ منه الدفاتر وتوعده بالقتل، فخشي على نفسه واختفى، ثم جاء إلى الشيخ الشعراني، وهو مقيم في مدرسة أم خوند، وشكا إليه حاله وما وقع له، فقال له الشيخ: إن فرَّج الله عنك هذه القضية تبني لله مسجداً ؟ فقال: نعم، فكلَّم الإمامُ الشعراني السلطان سليم حين اجتمع به في مصر فعفا عنه، ووفَّى القاضي بوعده للشيخ، وبنى له المدرسة وجعل بها مسجداً للصلاة، وجامعاً لإقامة الخطبة فيه، ومدرسة لطلبة العلم وزاوية للمتهجدين والعابدين والفقراء وجعل لهم فيها أسمطة (موائد) في الفطور والغداء والعشاء. ينظر: تذكرة أولي الألباب: ص١٦٨.

(٣) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ج٣/ ٧٢.

المُطلَب الثاني

شيوخ الإمام الشعراني وتلاميذه وبعض أقرانه

أولاً - شيوخه:

تَتلْمَذ الإمامُ الشعرانِيُّ رحمه الله على كثير من علماء عصره الأجلاء، الذين ما زالت آثارهم العلمية باقية، ومنتفعاً بها حتى أيامنا هذه، تشهد لأصحابها بالنبوغ والتقدم العلمي، فكان يقرأ عليهم، ثم يحفظ ما قرأ، وكان يعقب الحفظ، أو يصاحبه شرحه لمحفوظاته على هؤلاء العلماء الذين تتلمذ عليهم، وقد أفاض في ذكر شيوخه في كتبه، وبيَّن مدى إجلاله لهم خاصة في كتابيه: الطبقات الكبرى والطبقات الصغرى، وذكر بأنهم نحو خمسين شيخاً منهم:

الشيخ أمين الدين، الإمام والمحدِّث بجامع الغمري، والشيخ الإمام شمس الدين الدواخلي، والشيخ شمس الدين السمانودي، والشيخ الإمام شهاب الدين المسيري، والشيخ نور الدين المحلي، والشيخ نور الدين الجارحي المدرس بجامع الغمري، والشيخ نور الدين السنهوري الضرير الإمام بالجامع الأزهر، والشيخ ملا علي العجمي، والشيخ جمال الدين الصاني، والشيخ عيسى الأخنائي، والشيخ شمس الدين الديروطي، والشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ، والإمام جلال الدين السيوطي والإمام الشيخ شهاب الدين القسطلاني «شارح البخاري»، والشيخ صلاح الدين القليوبي والشيخ العلامة نور الدين بن ناصر، والشيخ نور الدين الأشْموني، والشيخ سعد الدين الذهبي، والشيخ برهان الدين القلقشندي والشيخ شهاب الدين الحنبلي، والشيخ الإمام زكريا الأنصاري، والشيخ شهاب الدين الرملي، وناصر الدين اللقاني وغيرهم كثير، حيث قرأ عليهم عدة كتب في مختلف العلوم والفنون.

كما أنه أخذ طريق التَّصوّف الإسلامي عن:

الشيخ نور الدين علي المرصفي والشيخ محمد الشناوي، والشيخ العارف بالله تعالى

علي الخَوَّاص، وغيرهم[1]، وسألقي الضوء في هذا المبحث - إن شاء الله - بشيء من التفصيل على أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام الشعراني رحمه الله.

١-الإمام الكبير، الحافظ جلال الدين عبد الرَّحْمن السُّيوطيّ الشَّافعي رحمه الله[2]:

تلمذة الشعراني رحمه الله على الإمام السُّيوطي لم تكنْ تلمذةَ تَلَقٍ طويلة الأمد، ولكنها كانت تلمذة نسب وإجلال له؛ لأن الإمام السُّيوطي رحمه الله توفي في التاسع من جمادى الأول سنة:(٩١١هـ)، وهي السَّنة التي قدم فيها الشيخ الشعراني إلى القاهرة، فلقاؤهما لم يدم طويلاً، بل كان لمرة واحدة فقط، تلقَّى عليه فيها بعض الدروس العلمية في الفقه وغيره تَبَرُّكاً به، كما يفهم ذلك من كلام الإمام الشعراني نفسه، مع العلم بأن الإمام السُّيوطي أرسل ورقة للشعراني مع والده بإجازته له بجميع مروياته ومؤلفاته، وفي ذلك يقول **الإمام الشَّعراني** رحمه الله:

«شيخُنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ جلال الدين السُّيوطي رحمه الله أرسل إليَّ ورقة مع والدي بإجازته لجميع مروياتي ومؤلفاتي، ثم لَّما جئت مصر قبل موته اجتمعت به مرة واحدة، فقرأت عليه بعض أحاديث من الكتب الستة، وشيئاً من المنهاج في الفقه تَبَرُّكاً، ثُمَّ بعد شهر سَمعتُ نَاعيَه ينعي موتَه فحضرت الصلاة عليه»[3].

٢- الإمام شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحْمد بن زكريا الأنصاري الشافعي:

الشيخ الإمام العلامة زكريا بن مُحمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ، السَّنيكيّ، ثم القاهري الأزهري الشَّافعيّ، **ولد** سنة (٨٢٦هـ)في مصر في بلد يقال له: سنيكة، ونشأ بها وحفظ القرآن وأقام بالقاهرة، وأذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٦٩-٧٥، الكواكب الدرية: ج٣/ ٧٠-٧١، الكواكب السائرة للغزي: ج٣/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) طبقات الشعراني الصغرى: ص١٧-١٨.

منهم: شيخ الإسلام ابن حجر، وشرح عدة كتب وألّف ما لا يحصى كثرة، وولي تدريس عدة مدارس إلى أن رقي إلى منصب قضاء القضاة بعد امتناع كثير، وبقي إلى أن كُفَّ بصرُه، ولم يَزلْ ملازماً التدريسَ والإفتاءَ والتَّصنيفَ، وانتفع به خلائق لا يُحصَون، ودرَّس تلامذته في حياته وأفتوا وتَولَّوا المناصبَ الرفيعة، وصَنَّف في كثير من العلوم كالفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والتصريف والمْعاني والبيان والبديع والمنطق والطب وله في التصوف الباع الطويل، ومن تصانيفه **تحفة الباري شرح صحيح البخاري** وهو مطبوع بدار الكتب العلمية وفتح الباقي شرح منظومة العراقي في مصطلح الحديث وهو مطبوع أيضاً بدار الكتب العلمية بتحقيق الدكتور ماهر ياسين الفحل ومنهج الطلاب في الفقه الشافعي وهو مطبوع أيضاً، وغيرها.

وكانت مدة **تلمذة الشعراني على شيخ الإسلام زكريا طويلة**، قرأ عليه فيها الكثير من الكتب منها شرحه لكتاب الرسالة القشيرية كاملاً، وشرح مختصره لجمع الجوامع مع حاشيته على شرح الجلال المحلي، وشرح التحرير وقرأ عليه تفسير البيضاوي كاملاً، ولما شرح الشيخ زكريا صحيح البخاري كان يطالع له حال التأليف: فتح الباري وشرح العيني، وشرح البرماوي، والكرماني، والقسطلاني.. حتى يأخذ المعنى الذي يضعه في شرحه[1].

وكان بينهما ودٌّ متصل تحدث عنه الإمام الشعراني في كتبه كثيراً، وفي ذلك يقول الشعراني رحمه الله: «وكان - يعني **الشيخ زكريا**- أعظم أشياخي في العلم والعمل والهيبة، ولازمته عشرين سنة فكأنها من طيبها كانت جمعة وكان في بعض الأوقات يقول لي: هلا تذهب بنا إلى بحر النيل نشم الهواء، فأقول: يا سيدي مجالستكم عندي أعظم من شم الهواء، فيدعو لي»[2]. **وكان يقول أيضاً**: «ومِمَّن كان يبالغ في مَحَبَّتِي، ويَمنحني الفوائد

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ٧٣- ٧٤.

(٢) المرجع السابق: ٧٤.

والنُّكَت من العلوم؛ لِمكان أدبي معه شيخُ الإسلام زكريا، وكان يقول لي: والله إني أود أن لو أسقيك جميع ما عندي من العلوم في مجلس واحد»[1] قال:«ولَمَّا تُوفِّي ﷺ أظلمتْ مصر، فكان فيها كالشمس ﷺ فطوبى لعين رأته مرة»[2].

توفي رحمه الله بالقاهرة، ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الإمام الشافعي ﷺ وحزن الناس عليه كثيراً لمحاسنه الكثيرة وأوصافه الشهيرة[3].

٣- الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد القَسطلاني (شارح البخاري):

هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي، القسطلاني، المصري، الشافعي الإمام، العلَّامة، الحُجَّة، الرحلة، الفقيه، المقرِىء، المُسنِد، ولد سنة:(٨٥١هـ) بمصر ونشأ بِها، وحفظ القرآن وتلاه لسبع، وحفظ الشاطبية والجزرية، وغير ذلك، حج غير مرة، وجاور سنة:(٨٨٤هـ) وسنة (٨٩٤هـ) وأخذ العلم بمكة عن جماعة من علمائها، وكان يعِظُ بالجامع الغمري وغيره، ويجتمع عنده الجم الغفير، ولم يكن له نظير في الوعظ، ارتفع شأنه فأعطيَ السعادة في قلمه وكلمه، وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان في حياته، ومن أجلِّها شرحه على صحيح البخاري المسمى إرشاد الساري، ومنها المواهب اللدنية بالمنح المحمدية وهو كتاب جليل المقدار عظيم الوقع كثير النفع ليس له نظير في بابه، وبالجملة فإنه كان إماماً، حافظاً متقناً جليل القَدر، حسن التقرير والتحرير، لطيف الإشارة، بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف، زينة أهل عصره.

---

(١) المرجع السابق: ص٩٩.

(٢) الطبقات الصغرى: ص٣٩.

(٣) ينظر: الطبقات الصغرى: ص٣٢- ٣٩، النور السافر: ج١/ ١١١-١١٥، شذرات الذهب: ٨/ ١٣٤- ١٣٦.

صَحِبه الشيخُ الشعراني، وتتلمذ على يديه، وقرأ عليه غالب شرحه على البخاري، وقطعة من كتاب المواهب اللدنية له أيضاً[1]. **وقال عنه**: «شيخنا الصالح الشيخ شهاب الدين القسطلاني، كان عالماً، صالحاً، محدِّثاً.. **ولَمَا طالعتُ شرحه للبخاري سألني بالله أن أنبهه على كل موضع وقفتُ فيه**... وكان ﷺ من أزهد الناس في الدنيا، وأحسنهم وجهاً...، يقرأ القرآن بأربع عشرة رواية، وكان صوته بالقرآن يبكي الناس، وكان يقرأ في المحراب فيتساقط الناس من الخشوع والبكاء»[2].

توفي رحمه الله ليلة الجمعة سابع المحرم سنة (٩٢٣هـ) بالقاهرة، ودُفِن قريباً من الجامع الأزهر[3].

٤- الإمام شهاب الدين الرَّملي المِْصري الشافعي رحمه الله :

هو: أحمد الرملي، المنوفي، المصري، الأنصاري، الشافعي، الإمام، العلامة، الناقد، الجهبذ، شهاب الدين شيخ الإسلام والمسلمين، أخذ عن الشيخ زكريا الأنصاري، ولازمه، وانتفع به وكان يجلِّه، وقد أذن له بالإفتاء والتدريس، ألف عدة كتب منها: شرحه على صفوة الزبد في الفقه الشافعي[4]، وجَمَع الخْطيبُ الشِّربينِيُّ فتاويه، فصارت مُجلَّداً، وقد أخذ عنه ولده الإمام شمس الدين الرَّملي، والإمام الخطيب الشربيني، والإمام عبد الوهاب الشعراني، وغيرهم، وانتهت إليه الرياسة في العلوم الشرعية بمصر، حتى صار علماء الشافعية كلهم تلامذته إلا النادر، وجاءت إليه الأسئلة من سائر الأقطار، ووقف الناس عند قوله، وكان جميع علماء مصر، وصالحيهم يعظمونه[5].

---

(١) **ينظر**: لطائف المنن والأخلاق: ٧٢.

(٢) الطبقات الصغرى: ص٤٩.

(٣) **ينظر**: الطبقات الصغرى: ص٤٩، النور السافر: ج١/ ١٠٦-١٠٧، شذرات الذهب: ج٨/ ١٢١-١٢٣.

(٤) صفوة الزبد في فقه الشافعي للشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي المتوفى سنة (٨٤٤ هـ) **ينظر**: كشف الظنون: ج٢/ ١٠٧٩.

(٥) **ينظر**: الطبقات الصغرى: ص٥٩-٦٠، شذرات الذهب: ج٨/ ٣١٦

قرأ الشيخ الشعراني عليه الكثير من كتب الفقه الشافعي، منها كتاب الروضة للإمام النووي، وغيرها[1]، وكان بينهما ودٌّ متصل، وحب متبادل، ذَكَره الشعراني رحمه الله فقال: «**وكان رضي الله عنه يحبني أشد المحبة، وحصل لي مرة مرض أشرفت فيه على الموت، وجاءني عائداً هو وولده سيدي محمد- الشمس الرَّملي - فصار الشيخ يدعو وولده يؤمِّن، وأنا أشهد دعاء الشيخ صاعداً إلى السماء كالصَّواعق من شدة الهِمَّة والعزم فما فارقني حتى خلصت من ذلك المرض**»[2]. توفي رحمه الله يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة سنة: (٩٥٧هـ)، وصلوا عليه في الأزهر[3]، قال الإمام الشعراني: «وما رأيت في عمري جنازة أعظم من جنازته، ودفن بتربته قريباً من جامع الميدان، وأظلمت مصر وقراها يوم موته لكونه مراداً للعلماء في تحرير نقول المذهب»[4].

٥- الإمام، العلامة، المحقق، برهان الدين بن أبي شريف المقدسي رحمه الله [5]:

قال عنه تلميذه الإمام عبد الوهاب الشعراني: «شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى وكان من المقبلين على الله عز وجل ليلاً ونهاراً، وكان لا يتردد لأحد من الولاة أبداً، وكان له صبانة – صناعة صابون – بالقدس، يتقوت منها، ولا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً، وكان قوَّالاً بالحق، آمراً بالمعروف، لا يخاف في الله لومة لائم»[6].

٦- الإمام، العلامة، نور الدين علي الأشْموني الشافعي (شارح ألفية ابن مالك):

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ٧٣- ٧٤

(٢) الطبقات الصغرى: ص٥٩

(٣) ينظر: الطبقات الصغرى: ص٦٠، شذرات الذهب: ج٨/ ٣١٦

(٤) الطبقات الصغرى: ص٦٠.

(٥) تقدم ترجمته في الصفحة: ٤٢ من هذه الدراسة.

(٦) الطبقات الصغرى للإمام الشعراني: ص٣٩، طبع دار الكتب العلمية، بيروت ط:١/ ١٩٩٩م، تحقيق: محمد عبد الله شاهين.

هو نور الدين أبو الحسن على الأَشْموني الشافعي الفقيه الإمام، العالم الصالح، الورع الزاهد، المقرىء، الأصولي، أخذ القراءات عن ابن الجزري[1]، وقد استفاد منه الإمام الشعراني كثيراً من خلال ملازمته، وصحبته له مدة ثلاث سنوات، وفي ذلك يقول: «شيخنا الإمام العالم الصالح الورع الزاهد: نور الدين الأشْموني الشافعي ﷺ، كان متقشفاً في مأكله، وملبسه، وفراشه، صحبته نحو ثلاث سنين كأنها كانت سنة من حسن سمته، وحلاوة لفظه، وقلة كلامه، ولم يزل على ذلك حتى مات ﷺ، نظم المنهاج في الفقه وشرَحَه، ونظم جمع الجوامع في الأصول، وشَرَحَه، **وشرح ألفية ابن مالك** شرحاً عظيماً»[2]. قرأ عليه الشَّعرانِيُّ قطعة من كتاب المنهاج، وقطعة من ألفية ابن مالك، ونظمه لجمع الجوامع في الأصول[3]، توفي رحمه الله بعد التسعمائة هجرية[4].

٧- الشيخ العارف بالله تعالى علي الخوَّاص البُرُلُّسي[5] رحمه الله.

الشيخ، الإمام، صاحب الأحوال السنية المرضية بين أكابر الأولياء، علي الخواص البُرُلُّسِي، أحد العارفين بالله تعالى، وأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني، الذي أكثر اعتماده في مؤلفاته على كلامه وطريقه، الأمِّيّ المشهور بين الخوَاص بالخوَّاص كان عليه للولاية أمارة وعلامة، متبحِّراً في الحقائق، أشبه البحرَ اطلاعُه، والدُّرَّ كلامُه، وكان في ابتداء أمره يبيع الجمَّيز (ثمر حلو يشبه التين) والعَجوة (نوع من التمر)، ثم فتح دكاناً يبيع فيه الزيت أربعين سنة، ثم ترك، وصار يضفر الخُوص حتى مات، كان إذا نزل

---

(١) ينظر: الطبقات الصغرى: ص٤٢، شذرات الذهب: ج٨/ ١٦٥.

(٢) الطبقات الصغرى: ص٤٢.

(٣) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٧٣

(٤) كشف الظنون: ج٢/ ١٨٧١.

(٥) نسبة إلى مدينة بُرُلُّس إحدى مدن دمياط في جمهورية مصر العربية، كما أفادني به الدكتور محمد عبد القادر نصار حفظه الله.

بالناس بلاء لا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى ينكشف، كان أمِّياً لا يقرأ، ولا يكتب ومع ذلك كان يتكلم على معارف القرآن العظيم، والسنة المشرَّفة كلاماً نفيساً تحيَّرَ فيه العلماءُ[1].

وكان يُذعِن له ولكلامه جماعةٌ من أجلاء علماء مصر كالشيخ ناصر الدين اللقاني، والشيخ شهاب الدين الرملي، وقاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي، وكان يعجبه كلامه كثيراً[2].

توفي رحمه الله سنة: (٩٣٩هـ) ودفن بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح في القاهرة[3].

٨- الإمام المُتَّقي الهِنْدي (صاحب كتاب كنز العمّال) رحمه الله:

العالم الصالح، الولي الشهير، العارف بالله تعالى علي المتقي بن حسام الدين بن

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٥٥، الطبقات الكبرى:ج٢/ ٧٥٨، الكواكب الدرية:٣ / ٤١٧، شذرات الذهب: ج٨/ ٢٣٣.

(٢) الكواكب السائرة: ج٢/ ٢٢٠.

(٣) ينظر: شذرات الذهب: ج٨/ ٢٣٣، الكواكب السائرة: ج٢/ ٢٢٠. ولقد أودع الشيخ الشعراني رحمه الله الكثير من كلام الشيخ الخواص في مؤلفاته، ونقل عنه النقول العظيمة في كافة العلوم، فنقل عنه في كتاب الميزان الكبرى وغيره نقول كثيرة في أصول الفقه والفقه المقارن كالاجتهاد والقياس والتوفيق بين المذاهب بعبارات علمية رصينة تدل على علمه الغزير الذي علمه الله إياه، مع كونه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وألَّف الشعراني أيضاً كتابين ترجم فيهما علوم شيخه الخواص وهما: «درر الغوَّاص على فتاوى سيدي علي الخوَّاص» و«الجواهر والدرر» الذي قال فيه الشعراني: « له كلام نفيس ته في ته في كتابنا (الجواهر والدرر) كل جواب يعجز عنه فحول العلماء حتى تعجَّبَ مَن كتب مِن العلماء كسيدي الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه وسيدي الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي رضي الله عنه وسيدي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله عنه والشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه» ينظر: الطبقات الكبرى:ج٢/ ٧٦١ بتحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، وترجم له في كتابه الطبقات الكبرى ترجمة حافلة، وذكر الكثير من أحواله وأقواله. ينظر: الطبقات الكبرى:ج٢/ ٧٥٨-٧٩٣.

القاضي عبد الملك بن قاضي خان القرشي، وُلِد رَحِمَهُ اللهُ ببرهان فور في الهند سنة (٨٨٨هـ)، رحل إلى مكة المكرمة، وجاور بها مدة طويلة، ومن ثَمَّ اشتهر بها، وصار يقصده وفود بيت الله الحرام، حتَّى ارتفع ذِكْرُه، وعلا صِيتُه، وشهرته في الهند وجهاتها أضعاف شهرته بمكة، وكان من العلماء العابدين وعباد الله الصالحين على جانب عظيم من الورع، والتقوى والاجتهاد في العبادة ومحاسنه جَمَّة، ومناقبه ضخمة، ومؤلفاته كثيرة نحو مائة مؤلَّف ما بين صغير وكبير، من أشهرها كتاب: **كنز العمال**.

وبالجملة: فقد كان رَحِمَهُ اللهُ من حسنات الدهر، وخاتمة أهل الورع، ومفاخر أهل الهند، وشهرته تغني عن ترجمته، وقد توفي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الثلاثاء وقت السحر سنة (٩٧٤هـ) بمكة المشرفة، ودفن في صبح تلك الليلة ومدفنه بالمعلاة بسفح جبلٍ محاذٍ تربة الإمام الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.[١]

اجتمع به الإمام الشعراني في مكة المكرمة عندما ذهب لأداء فريضة الحج، وقال في ترجمته[٢]: «الشيخ الصالح الورع، اجتمعت به في سنة:(٩٤٧هـ) بمكة المشرفة مدة إقامتي بها للحج، وانتفعت برؤيته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولَحْظِه، وكان كثير الصمت والعبادة هو وجماعته، ورأيت له عدة مؤلفات منها: ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ، فَرَتَّبَها كلَّها على أبواب الفقه... واختصر نهاية ابن الأثير في غريب الحديث، وأطلعني على مصحف بخطه في ورقة ستين سطراً، كل سطر حزب، ودعا لي بدعوات حول البيت، وقال: اللهم اجعل حركاته، وسكناته كلها مرضي عندك يا أرحم الراحمين».

٩- الشيخ نور الدين علي الشُّوني الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) ينظر: النور السافر ج١/ ٢٨٣-٢٨٦.

(٢) في الطبقات الكبرى للشعراني: ج٢/ ٨٢٤، بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود.

الشيخ الصالح، المُجْمَع على جلالته وصلاحه، شيخ مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ في الجامع الأزهر، وفي مكة، والقدس والشام، وقرى مصر وغيرها، وهو أول من عمل مجلس الصلاة على النبي ﷺ بمصر، ولد بشونى قرية بناحية طندتا من غربية مصر، ونشأ في الصلاة على النبي ﷺ وهو صغير ببلده، حتى أنه لمَّا كان يسرح بالأغنام في صغره يعطي غداءه للأطفال الصغار، ويقول لهم: «تعالوا صلوا معي على النبي ﷺ» ثم انتقل إلى مقام السيد أحمد البدوي رحمه الله، فأقام فيه مجلس الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة ويومها فكان يجلس في جماعة من العشاء إلى الصبح ثم من صلاة الصبح إلى أن يخرج إلى صلاة الجمعة، ثم من صلاة الجمعة إلى العصر، ثم من صلاة العصر إلى المغرب، فأقام على ذلك عشرين سنة، ثم دخل مصر فأقام بالتربة البرقوقية بالصحراء، وكان يتردد إلى الأزهر للصلاة على النبي ﷺ فاجتمع عليه خلق كثير منهم الشيخ عبد الوهاب الشعراني حيث لازمه وخَدَمه خمساً وثلاثين سنة، ثم أذن له أن يقيم الصلاة في جامع الغَمْري ففعل، وكان الشيخ عبد القادر بن سوار الدمشقي يتردد إلى مصر للتجارة والطلب، فلازم الشيخَ الشوني، ورجع إلى دمشق بهذه الطريقة، ثم اصطلح على تسمية هذه الطريقة بالمُحْيا، وانتشرت طريقة الشيخ الشوني في الآفاق، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة: (٩٤٤هـ)، ودفن بزاوية مريده الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمهما الله تعالى[1].

ثانياً – تلاميذه:

تلاميذ الإمام الشعراني كُثُر[2]، فقد أنشأ زاوية فيها مدرسة تبثُّ التعاليم الدينية، والعلوم الشرعية، فتقاطر إليه المئات من طلاب العلم والمعرفة، فكان يسمع لزاويته

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: ج٢/ ٧٩٥-٨٠١ بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود، شذرات الذهب: ج٨/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ذَكَر معظَمَهم الشيخُ أبو الأنس المليجي في كتابه تذكرة أولي الألباب عند الكلام عن أصحاب الشعراني وأتباعه: ص٢١٢-٢٢٠.

دويٌّ كدويِّ النَّحل ليلاً ونهاراً ما بين ذاكر، وقارئ، ومتهجد ومطالع للكتب، وكان الطلاب يتلقون فيها على الشيخ الشعراني رحمه الله دروسَ العلم في الفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والقراءات، وغيرها من آلات العلوم الشرعية بالإضافة إلى علم التصوف، والأدب[1].

وسأتكلم هنا - إن شاء الله - بشيء من التفصيل على أبرز التلاميذ الذين أخذوا العلم عن الإمام الشعراني رحمه الله.

١ - الإمام الكبير عبد الرؤوف المُناوي الشافعي رحمه الله:

هو: عبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الملقب بزين الدين الحْدَّادي، المُناوي، القاهري، الشافعي الإمام الكبير، الحجة، الثبت، القدوة، صاحب التصانيف السائرة.

وُلِد رحمه الله في سنة:(٩٥٢هـ) ونشأ في حِجْر والده، وحفظ القرآن قبل بلوغه ثم حفظ البهجة[2] وغيرها من متون الشافعية وألفية ابن مالك في النحو وَألفيَّتَي العراقي في الحديث والسيرة، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده علوم العربية، وتفقه بالإمام شمس الدين الرملي الشافعي، وبه برع وأخذ علم التصوف عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله، وكان رحمه الله إماماً فاضلاً، زاهداً، عابداً، قانتاً لله، خاشعاً له، كثيرَ النفع، جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره، وتقلد النيابة الشافعية

---

(١) ينظر: الكواكب الدرية للمناوي: ج٣/ ٧٢، تذكرة أولي الألباب: ص١٧١.

(٢) البهجة: هي منظومة في فقه الشافعية، نظمها زين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ)، سماه البهجة الوردية وهي (٥٠٠٠) بيت، ولها عدة شروح منها شرح الشيخ زكريا الأنصاري وسماه الغرر البهية. كشف الظنون: ج١/ ٦٢٦. وهو مطبوع بدار الكتب العلمية بتحقيق: الشيخ محمد عبد القادر عطا.

ببعض المجالس فسلك فيها الطريقة الحميدة وكان لا يتناول منها شيئاً، ثم رفع نفسه عنها، وانقطع عن مخالطة الناس، وانعزل في منزله، وأقبل على التأليف فصنف في غالب العلوم، ثم ولي تدريس المدرسة الصالحية في القاهرة، **فحسده بعض أهل عصره، فدسوا له السُّمَّ، فتوالى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوي، ولَمَّا عجز صار ولده تاج الدين محمد يستملي منه التآليف ويسطرها**، وتآليفه كثيرة منها: شرحه لمتن نخبة الفكر سَمَّاه: نتيجة الفكر، وشرحه على الجامع الصغير للإمام السيوطي سَمَّاه فيض القدير، وهو مطبوع عدة طبعات، ثم اختصره وسَمَّاه التيسير وهو مطبوع أيضاً، وكتاب الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور ﷺ جَمَع فيه ثلاثين ألف حديث، وبيَّن ما فيه من الزيادة على الجامع الكبير، وعقَّب كل حديث ببيان رتبته، وكتاب كنز الحقائق في حديث خير الخلائق جَمَع فيه عشرة آلاف حديث، وكتاب الطبقات الكبرى المُسمَّى الكواكب الدرية في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة، وبالجُملة فهو أعظم علماء عصره آثاراً، ومؤلفاته غالبها متداولة، كثيرة النفع، توفي رحمه الله في (٢٣) من صفر سنة (١٠٣١هـ) وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر يوم الجمعة، ودُفِن بجانب زاويته التي أنشأها، وقيل في تاريخ موته: **مات شافعيُّ الزمان** رحمه الله[(١)].

٢- الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله:

هو عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، المصري، الأستاذ، العالم، الصالح، العابد الزاهد، كان لطيفَ الذات، حَسَنَ الخِلال، ولَمَّا مات والدُه في سنة: (٩٧٣هـ) قام بعده بزاويته، فقام عليه أولاد عمه وفي مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف الشعراني الذي سلك سبيل عمه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الكرم والبذل، فمال فقراء الزاوية عليه مع عبد اللطيف، وكاد أمرُهُم أن يَتمَّ، فلم يلبث عبد

---

(١) ينظر: خلاصة الأثر: ج٢/ ٤١٢-٤١٦، فهرس الفهارس: ج٢/ ٥٦٠-٥٦٢، تذكرة أولي الألباب: ص٢١٣.

اللطيف أن مات، واستقر الأمر للشيخ عبد الرحمن رحمه الله، فصار معظَّماً عند الحكام، وانتظم أمر الزاوية له بانتظام، لكنه ولكثرة عياله وأطفاله ترك المدرسة، إلى مكان آخر، وصار لا يأتي إلى الزاوية إلا يوم الجمعة غالباً، توفي رحمه الله سنة (١٠١١هـ)، ودفن بزاوية والده بباب الشَّعْرية في القاهرة[1].

٣- الإمام، العلامة، شهاب الدين أحمد الكلبي المالكي رحمه الله:

الشيخ أحمد بن عيسى بن عَلاب بن جميل شهاب الدين الكلبي المالكي، شيخ مجلس الصلاة على النبي ﷺ بالجامع الأزهر بعد وفاة الشيخ العارف بالله نور الدين علي الشوني، الإمامُ العلامة خاتِمة الفقهاء والْمحدِّثين، ومربِّي الُمريدين، وُلِد في قرية منفلوط بمصر، ونشأ بها، ثُمَّ تَحَوَّل مع أبيه إلى القاهرة، فحفظ القرآن وعدة متون وأخذ عن والده، ولازم العلماء الأعيان كالإمام عبد الوهاب الشعراني الذي أخذ عنه علم التصوف، والإمام الشمس محمد الرملي وغيرهما، وجَدَّ واجتهد حتى عَلَتْ درجَتُه وسَمَتْ رُتبتُه وعنه أخذ جَمعٌ غفير من العلماء الأجلاء، توفي رحمه الله سنة:(١٠٢٧هـ) بِمصر ودفن بالقرافة الكبرى رحمه الله[2].

٤- الإمام محمد حجازي بن عبد الله القلقشندي الواعظ رحمه الله[3]:

هو: أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله القلقشندي «بلداً» الشعراني الخلوتي «طريقةً» الشهير بحجازي الواعظ، المصري الإمام، المحدِّث، المسنِد، المقرئ، شيخ المحدثين وخاتمة علماء عصره، ولد رحمه الله سنة:(٩٥٧هـ)، مات والده وهو صغير فرباه خاله، وحفظ القرآن، وأخذ عن أعلام علماء مصر الأجلَّاء: كالإمام أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي، والإمام الشعراني، والإمام الشمس الرملي، وغيرهم، بلغ عدد

---

(١) ينظر: الكواكب الدرية:ج٣/ ٧٢ – ٧٣، خلاصة الأثر: ج٢/ ٣٦٤، تذكرة أولي الألباب:ص١٧٧-١٨٥.

(٢) ينظر: الكواكب الدرية للمناوي: ج٤/ ١٣٨-١٣٩، خلاصة الأثر: ج١/ ٢٦٦.

(٣) ينظر: فهرس الفهارس: ج٢/ ١١٢٥-١١٢٨، هدية العارفين:ج٦/ ٢٧٤.

شيوخه نحو:(٣٠٠) شيخ، وأخذ عنه عامة شيوخ مصر وغيرها في زمنه كالحافظ البابلي، وعبد الباقي الحنبلي، والشهاب أحمد العجمي، والإمام محمد بن عِلاَّن الصِّدِّيقي المكي، من مؤلفاته: فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير، وشرح ألفية السيوطي في الاصطلاح، وشرح مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري، وغير ذلك.

ثالثاً- بعض أقرانه الذين صاحبهم وصاحبوه:

١- الإمام شهاب الدين ابن حجر[1] الهيتمي المُكِّيّ رحمه الله:

هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، السعدي، الأنصاري، الحافظ شهاب الدين، شيخ الإسلام، أبو العباس، ولد سنة (٩٠٩هـ) في بلدة محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) ومات أبوه وهو صغير، ثم نقل سنة (٩٢٤هـ) إلى الجامع الأزهر وهو في الرابعة عشر من عمره، فاجتمع بعلماء مصر في صغر سنه، فأخذ عنهم، وكان قد حفظ القرآن العظيم في صغره، **ومن مشايخه الذين أخذ عنهم**: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ الإمام عبد الحق السنباطي، والإمام شمس الدين السمهودي، وغيرهم وبرع في علوم كثيرة كالتفسير، والحديث، وعلم الكلام، وأصول الفقه وفروعه، والفرائض والحساب، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق والتصوف، **ومن مؤلفاته**: شرح القصيدة الهْمزية البوصيرية والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحفة المحتاج، شرح منهاج الطالبين الذي يعد من أفضل شروح المنهاج، والزواجر عن اقتراف الكبائر، والمنهاج القويم في مسائل التعليم شرح المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي، وغيرها، توفي رحمه الله سنة:(٩٧٤هـ) بمكة ودفن بالمعلاة في تربة الطَّبَريين.[2]

---

(١) قيل في سبب تسميته بابن حجر: أن أحد أجداده كان ملازما للصمت لا يتكلم إلا عن ضرورة أو حاجة فشبهوه بحجر ملقى لا ينطق فقالوا: حجر ثم اشتهر بذلك. النور السافر:ج١/ ٢٦٢.

(٢) ينظر: النور السافر: ج١/ ٢٥٨-٢٦٣.

وقد صحبه الإمام الشعراني رحمه الله صحبة طويلة دامت قرابة الأربعين عاماً، وأثنى عليه ثناء عاطراً، وفي ذلك يقول: «صحبْتُه رضي الله عنه نحو أربعين سنة فما رأيته قط أعرض عن الاشتغال بالعلم والعمل... ومن صغره إلى الآن لَمْ يُزاحِم أحداً على شيء من أمور الدنيا، ولا تردَّد إلى أحد من الولاة إلا لضرورة شرعية، فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله وينفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة»[1].

٢- الإمام الخطيب الشربيني رحمه الله صاحب كتاب «مغني المحتاج»:

شَمس الدين محمد بن محمد الشربيني، القاهري، الشافعي، الخطيب، الإمام، العلاّمة، أخذ عن الشيخ أحمد البُرُلُّسي الملقَّب بعميرة، والنور المحلي، والإمام شهاب الدين الرملي، وغيرهم، وأجازه مشايخه بالإفتاء والتدريس فدرس، وأفتى في حياة أشياخه وانتفع به خلائق لا يحصون، وأجمع أهل مصر على صلاحه، وكثرة العبادة، **له عدة تصانيف منها:** السراج المنير في تفسير القرآن وهو مطبوع، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ومغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي وغير ذلك. **وبالجملة:** فقد كان آية من آيات الله تعالى، وحجة من حججه على خلقه، توفي رحمه الله يوم الخميس (٢) شعبان سنة: (٩٧٧هـ)[2].

صحبه الإمام الشعراني رحمه الله صحبة طويلة، كان بينهما خلالها حب ووُدٌّ، يظهران من خلال ثناء الإمام الشعراني عليه، ونقل الكثير من أقواله في العديد من كتبه لا سيما في العهود الْمحمَّدية ولطائف المنن، وترجم له في كتابه الطبقات الصغرى ترجمة حافلة، **وكان مِمَّا قاله فيه:** «الأخ الصالح، العالِم المُقبِل على عبادة ربه ليلاً ونهاراً شَمس الدين الخطيب الشربيني رضي الله عنه، صَحَبْتُه نحو أربعين سنة، ما رأيت عليه شيئاً يشينه في دينه..

---

(١) الطبقات الصغرى: ص١١٠ -١١١.

(٢) ينظر: الطبقات الصغرى:ص٩٩-١٠١، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٨٤، الأعلام:٦/ ٦.

وما رأيته قط سعى على شيء من أمور الدنيا، ولا على شيء فيه رئاسة.... وتفضَّلَ عليَّ بزيارتِي ما لا أحصي له عدداً.. وما رأيت أخف زيارة منه ولا أكثر أدباً، **وبالجملة:** فأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفي، فأسأله تعالى أن يزيده من فضله، ويَحْشُرَنا في زمرته مع العلماء العاملين»[1].

٣- الإمام العلامة شَمس الدين الرَّمْلي الشافعي صاحب كتاب «نهاية المحتاج»:

شمس الدين محمد بن الإمام شهاب الدين أحمد بن أحمد بن حمزة الأنصاري، المُنوفي الرَّملي- نسبة إلى رملة قرية صغيرة في المنوفية- الشَّهير بالشَّافعيِّ الصَّغير، ولد سنة (٩١٩هـ)، وأخذ عن والده الإمام شهاب الدين، وبه استغنى عن التردد إلى غيره، حتى قال عنه والده: «**تركت محمداً بحمد الله تعالى لا يحتاج إلى أحد من علماء عصره إلا في النادر**»، وأخذ أيضاً عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ الإمام برهان الدين بن أبى شريف، وكان عجيب الفهم، جَمع الله تعالى له بين الحفظ والفهم، والعلم والعمل، وكان موصوفاً بِمحاسن الأوصاف، **حتى ذهب جماعة من العلماء إلى أنه مجدد القرن العاشر**، ألَّف عدة مؤلفات، من أشهرها كتاب نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي، وهو من أهم كتب الفتوى عند الشافعية المتأخرين وكتاب الفتاوى، وغير ذلك، جلس بعد وفاة والده للتدريس في الجامع الأزهر، فأبدى لعلمائه من علوم والده العجب العجاب، فأقرأ التفسير، والحديث، والأصول والفروع والنحو وبرع في العلوم النقلية والعقلية، وحضر درسه أكثر تلامذة والده، توفي رحمه الله بمصر سنة: (١٠٠٤هـ)[2].

تَرجَم له الإمامُ الشَّعراني، وأثنى عليه ثناء عاطراً جداً، وذكر صحبتها الطويلة والتي ابتدأت من حين كان الشيخ شمس الدين الرملي طفلاً صغيراً، فقال

---

(١) الطبقات الصغرى: ص١٠٠-١٠١.

(٢) ينظر: خلاصة الأثر ج٣/ ٣٤٣- ٣٤٨، الطبقات الصغرى: ص١٠٣-١٠٤، هدية العارفين: ج٦/ ٢٦١.

عنه[1]: «الشيخ الإمام، العالم العلامة، المحقق صاحب العلوم المحرَّرة، والأخلاق الحسنة والأعمال المرضية، سيدي محمد، ولد شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي، صحبْتُهُ من حين كنتُ أحْمِلُه على كتفي إلى وقتنا هذا، فما رأيت عليه ما يشينه في دينه، ولا كان يلعب في صغره مع الأطفال، بل نشأ على الدين، والتقوى، والصيانة، وحفظ الجوارح، ونقاء العرض، رَبَّاه والده فأحسن تربيته، ولَمَّا كنتُ أحْمِلُه وأنا أقرأ على والده في المدرسة الناصرية **كنتُ أرى عليه لوائحَ الصَّلاح والتوفيق، فحقَّقَ اللهُ رجائي فيه، وأقَرَّ عين المحبين به، فإنَّه الآن مرجع أهل مصر في تحرير الفتاوى**...وما تخلَّف عن درسه إلا مَن جهل مقداره، أو عمَّه الحسد والمقت...، وأجمعوا على دينه وورعه وحسن خلقه وكرم نفسه، ولم يزل بحمد الله في زيادة من ذلك فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين».

المُطلب الثالث

مطالعاتُ الإمام الشعراني وتبحُّرُه في العلوم

طالع الإمام الشعراني رحمه الله من كتب الشريعة الإسلامية، وآلاتها ما لا يُحصى له كثرةٌ، هذا فضلاً عن محفوظاته الكثيرة لكتب الشريعة عن ظهر قلب، وكان في أثناء مطالعاته يراجع علماء عصره لكل ما يُشكِل عليه منها وكان يثبت على هوامش الكتاب الذي يطالعه كلَّ ما يلاحظه، ويستفيده من مشايخه وقراءاته، ونقوله، حتى تصبح هذه الإضافات أكثر من الكتاب نفسه، وكان مشايخه يستعجبون من سرعة مطالعته لهذه الكتب، حتى قال له أستاذه **الإمام شهاب الدين الرملي رحمه الله مرة ما معناه: «لولا أنك تكتب لي تعليقاتك، وتلخيصَك على هذه الكتب التي طالعتها ما صَدَّقتك في أنَّك اطلعت على بعضها فضلاً عن تحرير ما تكتبه منها، وكان يقول له مرات عديدة: بدايتك**

---

(١) في الطبقات الصغرى: ص١٠٣-١٠٤.

نهاية غيرك، فإني ما رأيت أحداً تيسَّرَ له مطالعة هذه الكتب كلها في هذا الزمان أبداً»[1].

وممَّن كان يتعجب أيضاً من سرعة مطالعته لكتب الشريعة، وكتابته التعليقات والإضافات على هوامش الكتاب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ويقول له: **«لولا أنك تلخص زوائدها لقلت: إنك لم تلحق تطلع على بعضها»**[2].

وعندما كتب بعضُ الحَسَدة سؤالاً، وقدَّمه إلى **شيخ الإسلام أحمد الفتوحي الحنبلي**[3] في كلام يتعلق ببعض كلمات في كتاب العهود المحمدية للإمام الشعراني فردَّ السؤال، وقال: **«كيف أكتب على سؤال يتعلَّق بشخص طالع من الكتب كتباً لا نعرف أسماءها فضلاً عن الخوض فيها ؟! بل لو ادعى بعضها لم يجد له منازعاً في دعواه»**. مع أن ما سئل عنه ليس في شيء من كتب الشعراني رحمه الله، وإنَّما هو افتراء عليه كما ذكر هو[4].

وقد عَدَّ كثرةَ مطالعاتِه لكتب الشريعة من جملة النعم التي أنعم الله بها عليه، فقال: «ومما أنعم الله تعالى به عليَّ: **كثرة مطالعتي لكتب الشريعة**، وآلاتها بنفسي، ثم مراجعة العلماء لما أشكل عليَّ منها دون الاستقلال بفهمي، لاحتمال **الخطأ فطالعتُ**

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٧٥ و٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص٧١

(٣) هو: أحمد بن عبد العزيز بن علي، الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية، شهاب الدين الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، ولد سنة (٨٦٢هـ) ومشايخه تزيد على (١٣٠) شيخاً كان عالماً عاملاً، متواضعاً، طارحاً للتكلف، انتهت إليه الرئاسة في تحقيق منقول مذهبه، وفي علو السند في الحديث، وفي علم الطب والمعقولات، وكان في أول عمره ينكر على الصوفية، ثم لما اجتمع بالشيخ علي الخواص أذعن لهم واعتقدهم وصار بعد ذلك يتأسف على عدم اجتماعه بالقوم من أول عمره توفي سنة (٩٤٩هـ). ينظر: الطبقات الصغرى: ص٦٩-٧١، شذرات الذهب: ج٨/ ٢٧٦-٢٧٧، وهو والد صاحب كتاب شرح الكوكب المنير في أصول الفقه.

(٤) لطائف المنن والأخلاق: ص٨٩، تذكرة أولي الألباب: ص٦١.

بحمد الله تعالى..»[1]، ثم بدأ رحمه الله بسرد تلك المطالعات، والمقروءات جميعها، والتي تُذهل القارئَ لها لكثرتها، وتنوُّعها، وكانت مطالعاته كالتالي:

أولاً - كتب تفسير القرآن الكريم، وإعرابه: فقد طالع من كتب التفسير للقرآن غالب التفاسير المشهورة، فمنها ما طالعه مرة، ومنها ما طالعه ثلاث مرات، ومنها ما طالعه سبع مرات، كما طالع الكثير من كتب إعراب القرآن المعتمدة[2].

ثانياً - كتب الحديث الشريف وأدلة المذاهب: طالع منها ما لا يحصي له كثرة - على حد تعبيره - فمن جملة ما طالعه الكتب الستة وهي: صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان، ومسند الإمام أحمد، ومسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة، وموطأ الإمام مالك، ومعاجم الطبراني الثلاثة والسنن الكبرى للإمام البيهقي ثم اختصرها، وجامع الأصول للإمام ابن الأثير، والجامع الكبير، والصغير وزيادته للإمام السيوطي، وغير ذلك من المسانيد والأجزاء، وكذلك طالع كتاب المنتقى من الأحكام للإمام ابن تيمية الجد[3].

ثالثاً- كتب شروح الحديث النبوي: فطالع منها كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني مرة واحدة، وشرح الإمام الكرماني[4] مرتين،

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٨٢.

(٢) ينظر تفصيل هذه الكتب في كتاب: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٤-٨٦، الميزان الكبرى للشعراني: ج١/ ٢٥٧ بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

(٣) **ينظر**: لطائف المنن: ص٨٦-٨٧، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٧-٢٥٨.

(٤) المسمَّى:«الكواكب الدراري» للعلامة شمس الدين محمد الكرماني المتوفى سنة: (٧٩٦ هـ)، وهو شرح وسط مشهور جامع لفرائد الفوائد وزوائد الفرائد، وفرغ منه بمكة المكرمة سنة: (٧٧٥هـ) **ينظر**:كشف الظنون:ج١/ ٥٤٦.

وشرح الإمام البرماوي[1] الـذي طالعـه خمـس مـرات، وشرح الإمـام العينـي[2] مـرتين وشرح الإمام القسطلاني[3] مرة ونصف، وشرح صحيح مسلم للقـاضي عيـاض[4] مـرة واحدة، وشرح الشيخ زكريا الأنصاري على صـحيح مـسلم، وغالـب مـسودته بخـط الإمام الشعراني[5] وقد طالعه نحو خمس مرات[6].

رابعاً-كتب السيرة النبويـة: طـالع منهـا كتـاب سـيرة ابـن اسـحاق وسـيرة ابـن هشام[7]وسيرة ابن سيد الناس[8] والسيرة الشامية للشيخ محمد الشامي، التي قـال عنهـا الشعراني:«إنه جمعها من ألف كتاب، وهي أجمعُ كتاب في السَّير فيما أظنُّ»[9].

---

(١) المسمَّى:«اللامع الصبيح» للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم البرمـاوي الـشافعي المتـوفى سنة: (٨٣١ هـ) وهو شرح حسن ذكر فيه مؤلفـه: أنـه جمـع بـين شرح الكرمـاني وبـين شرح الزركـشي المسمى بالتنقيح، ومن أصوله أيضا مقدمة فتح الباري، ولم يبيض إلا بعد موته. ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٥٤٧.

(٢) المسمَّى: عمدة القاري للإمام العلامة بدر الدين محمود العيني الحنفي المتـوفى سـنة: (٨٥٥هـ)، وهـو شرح كبير مشهور، شرع في تأليفه سنة: (٨٢١هـ) وفرغ منه سنة (٨٤٧ هـ).ينظر:كشف الظنون: ج١/ ٥٤٨

(٣) المسمَّى:«إرشاد الساري» للإمام شهاب الدين أحمد القسطلاني المصري الشافعي صـاحب المواهـب اللدنيـة المتوفى سنة (٩٢٣ هـ) وهو شرح كبير ممزوج. ينظر:كشف الظنون:ج١/ ٥٥٢.

(٤) المسمَّى:إكمال المعلم في شرح مسلم للقاضي عياض المتوفى سنة:(٥٤٤ هـ)، أكمل به شرح الإمام أبي عبد الله المازري المتوفى سنة:(٥٣٦ هـ) المسمى:«المعلم بفوائد كتاب مسلم». ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٥٥٧.

(٥) ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٥٥٨، لطائف المنن والأخلاق: ص٨٤.

(٦) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٤.

(٧) سيرة ابن اسحاق: وهي أول ما صنف في السيرة للإمام المعروف بمحمد بن إسحاق المتوفى سنة:(١٥١ هـ)، وهذبه الإمام عبد الملك بن هشام، المتوفى سنة: (٢١٨ هـ)، فأحسن وأجاد. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٠١٢

(٨) المسماة «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»: للإمام محمد بن محمـد المعـروف بـابن سـيد النـاس، المتوفى سنة (٧٣٤ هـ)، وهو كتاب معتبر جامع لفوائد السير، ثم اختصره، وسماه نـور العيـون في تلخـيص سـير الأمين المأمون ﷺ. ينظر:كشف الظنون: ج ٢/ ١١٨٣.

(٩) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٨، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٩.

خامساً-كتب أصول الفقه والجدل: طالع منها الكثير، ومن جملة ذلك: شرح العضد[1] وشرح منهاج البيضاوي[2]، وكتاب المستصفى للإمام الغزالي، وشرح المقاصد للإمام التفتازاني[3]، وكتاب شرح الطوالع والمطالع[4] وكتاب سراج العقول للإمام القزويني[5]، وشرح العقائد للإمام التفتازاني[6]، وغير ذلك[7].

قال الشَّعَرانِيُّ رحمه الله عن مطالعاته هذه:«طالعت من كتب أصول الفقه والدين نحو سبعين مؤلفاً، وأحطت بِما عليه أهل السنة والجماعة، وبما عليه المعتزلة والقدرية، وأهل الشطح من غلاة المتصوفة المتفعّلين في الطريق»[8].

---

(١) شرح العضد: هو شرح لكتاب:«منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل» للشيخ الإمام ابن الحاجب المالكي المتوفى سنة: (٦٤٦هـ) وهو المشهور بمختصر المنتهى، أو مختصر ابن الحاجب، وقد شرحه العلامة عضد الدين الأيجي المتوفى سنة (٧٥٦ هـ)، وفرغ من تأليفه سنة (٧٣٤ هـ) ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٨٥٣.

(٢) المسمَّى:«منهاج الوصول إلى علم الأصول» للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة: (٦٨٥هـ) وله الكثير من الشروح. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٨٧٨-١٨٧٩.

(٣) المقاصد في علم الكلام للإمام سعد الدين التفتازاني رحمه الله ، المتوفى سنة(٧٩١هـ)، وله عليه شرح جامع. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٧٨٠.

(٤) هذا الشرح للإمام محمود الأصفهاني، المتوفى سنة(٧٤٩هـ) وهو مشهور متداول بين الطالبين على متن طوالع الأنوار في الكلام للإمام البيضاوي، وهو متن اعتنى به العلماء وشرحوه. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١١١٦.

(٥) وهو شرح لكتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول» للقاضي البيضاوي، تأليف الإمام محمد بن طاهر القزويني وسماه:«سراج العقول إلى منهاج الأصول». ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٨٧٩.

(٦) شرح العقائد: من تأليف العلامة سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة(٧٩١هـ) على كتاب العقائد النسفية النَّسَفي المتوفى سنة:(٥٣٧ هـ) وهو متن متين اعتنى به جم من العلماء. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١١٤٥.

(٧) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٧.

(٨) الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٨.

سادساً - **كتب الفقه الإسلامي بِمذاهِبه الأربعة، وغيرها، وكانت مطالعته لِهذه الكتب كالتالي:**

أ: **كتب المذهب الشافعي** - الذي ينتسب إليه - وقواعده: فطالع من كتبه الشيء الكثير من كتب المتقدِّمين، والمتأخِّرين والناظر في مطالعاته لكتب الفقه الشافعي يرى أنه طالع معظمها بالقراءة المتكررة، واستظهر غالب نصوصها حتى صارت كلها كأنَّها أمام ناظريه، مع مراجعته لعلماء عصره في كل ما يشكل عليه منها[1].

ثم ارتقتْ هِمَّتُه بعد ذلك إلى مطالعة إلى كتب أئمة المْذاهب الثلاثة زيادة على مذهبه، بل إنه عَدَّ اطلاعه على هذه الكتب من النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه، فقال: «**ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ: مطالعتي لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على** مذهبي، وذلك لَمّا تبحَّرتُ في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه احتجت إلى معرفة المسائل المُجمَع عليها بين الأئمة أو التي اتفق عليها ثلاثة منهم، وذلك لأجتنب العمل بما منعوه، وأمتثلُ أمْرَهم فيما أمرونا به....»[2]

ب: **كتب المذهب الْحنفي:**

فطالع من كتبهم: كتاب شرح كنز الدقائق[3] وشرح مجمع البحرين[4] وفتاوى

---

(١) ينظر تفصيل هذه الكتب التي لم أذكرها خشية الإطالة لكثرتها في: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٢-٨٤، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٦.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٨٩.

(٣) كنز الدقائق في فروع الحنفية للشيخ الإمام أبي البركات المعروف بحافظ الدين النسفي، المتوفى سنة: (٧١٠هـ) واعتنى به الفقهاء، فشرحه الإمام فخر الدين الزيلعي، المتوفى سنة: (٧٤٣هـ)، وسماه تبيين الحقائق. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ص١٥١٥.

(٤) مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية للإمام مظفر الدين المعروف بابن الساعاتي البغدادي الحنفي، المتوفى (٦٩٤هـ) وقد شرحه الكثير من العلماء. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٥٩٩-١٦٠٠.

قاضي خان[1] ومختصر القدوري[2] والبَزَّازية[3]، وخلاصة الفتاوى[4]........... وشرح الهداية[5] وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعي[6]، وكان يراجع في مشكلات هذه الكتب أئمة المذهب الحنفي في عصره[7].

ج- كتب المالكية:

طالع من كتبهم المدونة الكبرى، ثُمَّ اختصرها[8]، وطالع موطأ الإمام مالك،

---

(١) فتاوى قاضيخان: وهو الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني، المتوفى سنة: (٥٩٢ هـ) وهي مشهورة مقبولة معمول بها متداولة بين العلماء، والفقهاء، وكانت هي نصب عين من تصدر للحكم، والإفتاء. **ينظر**: كشف الظنون: ج٢/ ١٢٢٧.

(٢) مختصر القدوري في فروع الحنفية: للإمام القدوري، البغدادي، الحنفي المتوفى (٤٢٨ هـ) وهو الذي يطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب، وهو متن متين معتبر متداول بين الأئمة الأعيان. **ينظر**: كشف الظنون: ج٢/ ١٦٣١.

(٣) البَزَّازية في الفتاوى للإمام ابن البَزَّاز الكردي، الحنفي، المتوفى سنة (٨٢٧هـ)، كتاب جامع لَخَّص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة، ورجَّح ما ساعده الدليل، وذكر الأئمة أن عليه التعويل. **ينظر**: كشف الظنون: ج١/ ٢٤٢.

(٤) خلاصة الفتاوى للإمام طاهر بن أحمد البخاري، المتوفى سنة: (٥٤٢ هـ) وهو كتاب مشهور معتمد. **ينظر**: كشف الظنون: ج١/ ٧١٨.

(٥) الهداية: لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة: (٥٩٣ هـ)، وهو شرح على متن له سماه «بداية المبتدي» وقد اعتنى به الفقهاء فشرحوه عدة شروح منها شرح الشيخ الإمام الكمال ابن الهمام المتوفى سنة: (٨٦١ هـ) والذي سَمَّاه «فتح القدير» وشرح الشيخ أكمل الدين البابرتي الحنفي، المتوفى سنة: (٧٨٦ هـ) سَمَّاه «العناية» وقد أحسن فيه وأجاد. **ينظر**: كشف الظنون: ج٢/ ٢٠٣١-٢٠٣٦.

(٦) وسَمَّاه «نصب الراية لأحاديث الهداية» **ينظر**: كشف الظنون: ج٢/ ٢٠٣٦.

(٧) **ينظر**: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٠، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٦٠.

(٨) المدونة في فروع المالكية: للإمام عبد الرحمن بن القاسم المالكي، المتوفى سنة: (١٩١ هـ) وهي من أجل الكتب في مذهب الإمام مالك وقد اعتنى بها العلماء بالشرح والتهذيب والاختصار. **ينظر**: كشف الظنون ج٢/ ١٦٤٤

وشروح رسالة ابن أبي زيد[1] وشرح مختصر الشيخ خليل[2] وبداية المجتهد للإمام ابن رشد، وغير ذلك من الكتب، وكان يراجع في مشكلات هذه الكتب أئمة المذهب المالكي في عصره[3].

د- كتب الحنابلة:

طالع من كتبهم شرح مختصر الخِرَقي[4] وعدة مختصرات غيره، وكان يراجع في مشكلات هذه الكتب أئمة المذهب الحنبلي في عصره[5].

هـ المذهب الظاهري: طالع فيه كتاب المحلى للإمام ابن حزم، ومختصره للشيخ محيي الدين بن عربي رحمهما الله[6].

---

(١) رسالة ابن أبي زيد في فقه المالكية: للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني، المتوفى سنة: (٣٨٩ هـ) شرحها الإمام عبد الله بن طلحة المتوفى سنة:(٥١٨ هـ)، وشرحها أيضاً الإمام جلال الدين التباني، وشرحها الإمام ابن الفاكهاني المالكي، المتوفى سنة: (٧٣١ هـ)، وسَمَّاه التحرير والتحبير. ينظر: كشف الظنون ج١/ ٨٤١.

(٢) مختصر الشيخ خليل في فروع المالكية: وهو الإمام خليل بن إسحاق الجندي المالكي، المتوفى سنة:(٧٦٧ هـ) شرحه كمال الدين محمد المعروف بابن الناسخ الطرابلسي المتوفى سنة:(٩١٤هـ)، وسَماه «الدرر في توضيح المختصر»، وشرحه الشيخ بَهرام بن عبد الله المالكي الدميري، المتوفى سنة:(٨٠٥ هـ)، وشرحه العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي المتوفى سنة:(٩٤٢ هـ) وسماه «فتح الجليل في شرح مختصر الخليل»، وشرحه أيضاً العارف بالله محمد الخطاب الرعيني المالكي، المتوفى سنة: (٩٥٤هـ)وسماه «مواهب الجليل في شرح مختصر الخليل» ينظر:كشف الظنون:ج٢/ ١٦٢٨.

(٣) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٠، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٦٠.

(٤) مختصر الخرقي في فروع الحنبلية: للشيخ أبي القاسم عمر بن الحسين الحنبلي المتوفى سنة: (٣٣٤ هـ) شرحه الإمام موفق الدين بن قُدَامة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة:(٦٢٠هـ). ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٦٢٦.

(٥) ينظر: الميزان الكبرى: ج١/ ٢٦٠.

(٦) المحلى في الخلاف العالي: للإمام أبي محمد بن حزم الظاهري، المتوفى سنة: (٤٥٦ هـ)، وقد اختصره الشيخ محي الدين بن العربي المتوفى سنة(٥٤٦ هـ) وسماه كتاب «المُعلَّى في مختصر المُحَلَّى» واختصره أيضاً الحافظ الذهبي. ينظر:كشف الظنون:ج٢/ ١٦١٧، والميزان الكبرى:ج١/ ٢٥٦.

سابعاً- كتب الفتاوى بأنواعها للعلماء المتقدمين، والمتأخرين: فطالع منها الكثير كفتاوى الإمام ابن الصباغ[1] وفتاوى الإمام ابن الصلاح[2] وفتاوى الإمام العز بن عبد السلام[3] وفتاوى الإمام الغزالي[4] وفتاوى الإمام النووي الصغرى والكبرى[5] وفتاوى الإمام تقي الدين السبكي[6] وفتاوى الشيخ زكريا الأنصاري وفتاوى الإمام شهاب الدين الرَّملي وغير ذلك[7].

ثامناً -كتب اللغة: كتاب الصحاح[8] والقاموس المحيط[9] والنهاية في غريب

---

(١) للإمام أبي نصر عبد السيد البغدادي الشافعي، المتوفى سنة:(٤٧٧ هـ).كشف الظنون: ج٢/ ١٢١٨.

(٢) فتاوى ابن الصلاح: وهو الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، الشهرزوري الشافعي، وهي من محاسنه المتوفى سنة (٦٤٣ هـ) جمعها بعض طلبته، وهو الكمال إسحاق المعزى الشافعي.ينظر:كشف الظنون:ج٢/ ١٢١٨.

(٣) فتاوى الإمام العز بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة (٦٦٠هـ) وقد سئل عنها بالموصل، ويقال عنها أيضاً الفتاوى الموصلية. ينظر:كشف الظنون:ج٢/ ١٢١٩.

(٤) فتاوى الإمام الغزالي مشتملة على (١٩٠) مسألة غير مرتبة، وله فتاوى غير ذلك ليست مشهورة.كشف الظنون: ج٢/ ١٢٢٧.

(٥) فتاوى الإمام النووي كبيرة وصغيرة وهي المسماة بعيون المسائل المهمة، لم يرتبها، لكونها على حسب الوقائع والتزم فيها الإيضاح وتقريبها إلى أفهام المبتدئين، ثم رتبها تلميذه علاء الدين العطار على ترتيب الفقه.ينظر:كشف الظنون: ج٢/ ١٢٣٠.

(٦) فتاوى الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة:(٧٥٦هـ)، جمعها ولده الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي، المتوفى سنة: (٧٧١ هـ). ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٢٢٣.

(٧) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٨، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٨) الصحاح في اللغة: للإمام إسماعيل الجوهري الفارابي المتوفى سنة(٣٩٣ هـ)كان من فاراب أخذ عن السيرافي والفارسي، ودخل بلاد ربيعة ومضر، فأقام بها مدة في طلب علم اللغة ثم عاد إلى خراسان، وأقام بنيسابور مدة، فبرز في اللغة وتعلم الكتابة وحسن الخط، مات رَحِمَهُ اللَّهُ متردياً من سطح داره، ويعد الجوهري أول من التزم الصحيح مقتصراً عليه في كتابه الصحاح. ينظر:كشف الظنون: ج٢/ ١٠٧١.

(٩) القاموس المحيط: للإمام مجد الدين الفيروز آبادي، المتوفى سنة: (٨١٧هـ). ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٣٠٦-١٣٠٧.

الحديث[1] وكتاب تهذيب الأسماء واللغات[2] الذي طالعه خمس عشرة مرة[3].

تاسعاً - كتب التَّصوُّف الإسلامي: طالع منه الشيء الكثير حتى صار من الأئمة المحققين في هذا العلم، وهذا يظهر جلياً في مؤلفاته الكثيرة فيه، ومن تلك المطالعات كتاب قوت القلوب[4] والرعاية[5] وحلية الأولياء[6] والرسالة القشيرية[7] وعوارف

---

(١) النهاية في غريب الحديث: للإمام ابن الأثير الجزري المتوفى (٦٠٦هـ). كشف الظنون: ج٢/ ١٩٨٩.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة: (٦٧٦ هـ)، وهو كتاب مفيد مشهور، جمع فيه الألفاظ الموجودة في مختصر المزني، والمهذب، والوسيط، والتنبيه، والوجيز، والروضة. ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٥١٤.

(٣) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٧، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٨.

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب للشيخ أبي طالب محمد بن علي بن عطية العجمي ثم المكي المالكي الواعظ، المتوفى سنة: (٣٨٦ هـ) ببغداد، قالوا: لم يصنف مثله في دقائق الطريقة، ولمؤلِّفه كلام في هذه العلوم لم يسبق إلى مثله، وقد اختصره الإمام محمد بن خلف الأموي الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ) وسماه «الوصول إلى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب». ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٣٦١، هدية العارفين: ج٦/ ٥٥.

(٥) الرعاية في التصوف للشيخ الحارث المحاسبي، الزاهد، المتوفى سنة: (٢٤٣هـ). ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٩٠٨.

(٦) حلية الأولياء في الحديث: للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، المتوفى سنة: (٤٣٠هـ)، وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسماء جماعة من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين، والصوفية، ، وبعض أحاديثهم وكلامهم، اختصره الإمام أبو الفرج بن الجوزي اختصاراً حسناً وسماه «صفة الصفوة». ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٦٨٩.

(٧) الرسالة القشيرية في التصوف: للإمام الأستاذ أبي القاسم القشيري، المتوفى سنة: (٤٦٥هـ) وشرحها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري سماه «أحكام الدلالة على تحرير الرسالة» والإمام ملا علي القاري. ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٨٨٢.

المعارف[1] وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي[2] وكتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن العربي[3] ثم اختصرها، وحذف المواضع المدسوسة على الشيخ فيها، إلى غير ذلك من كتب التصوف والأخلاق[4].

وبعد: فإنَّ هذه المطالعات بمختلف أنواعها تشهد للإمام الشعراني بالغزارة العلمية، والتبحر في جميع العلوم الشرعية تنوعت اطلاعاته وتعددت لتشمل سائر العلوم والفنون، يشهد لذلك كثرة تآليفه وتنوعها، وقد داخلني في أثناء كتابتي لهذا المبحث عجب شديد ودهشة كبيرة من كثرة هذه المطالعات وتنوّعها، وكيف كان يتسنى الوقت للشيخ رحمه الله حتى يطَّلع عليها، مع كثرة أشغاله وأعبائه، فكان مع الناس في همومهم ومشاكلهم، ومَظالِمهم، ومع مشايخه ملازماً لهم يتلقى العلم على أيديهم،

---

(١) عوارف المعارف في التصوف: للشيخ شهاب الدين السهروردي، المتوفى سنة (٦٣٢ هـ) علَّق عليه الإمام الجرجاني، واختصره الإمام محب الدين الطبري المكي الشافعي، المتوفى سنة: (٦٩٤ هـ)، وخرَّج أحاديثه الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، المتوفى سنة: (٨٧٩ هـ). ينظر: كشف الظنون:ج٢/ ١١٧٧.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي المتوفى سنة(٥٠٥ هـ)، وهو من أجلِّ كتب المواعظ وأعظمها ولأهمِّيته وجلالته اعتنى به الكثير من الأئمة، منهم الحافظ زين الدين العراقي المتوفى سنة (٨٠٦ هـ) الذي خَرَّج أحاديثه في كتابه المسمى «المغني عن حمل الأسفار بالأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، ثم استدرك تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني عليه ما فاته، وصنف الشيخ قاسم ابن قطلوبغا الحنفي كتاباً سماه «تحفة الأحياء فيما فات من تخاريج أحاديث الإحياء» وقد اختصره غير واحد من العلماء، **ينظر**: كشف الظنون: ج١/ ٢٣-٢٤.

(٣) الفتوحات المكية: للشيخ محي الدين بن عربي الطائي المالكي المتوفى سنة:(٦٣٨ هـ) وهو من أعظم كتبه وآخرها تأليفاً، وقد اختصرها الإمام الشعراني، وسماه «لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية» ثم لَخَّص ذلك التلخيص ثانياً وسماه «الكبريت الأحمر من علوم الشيخ الأكبر» بَيَّن فيهما العقائد التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة مما دس على الشيخ بن عربي رحمه الله ، وحذفها، ثم عثر على نسخة بخط الشيخ محي الدين لا توجد فيها كل تلك المخالفات العقائدية. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٢٣٨.

(٤) **ينظر**: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٨، الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٩-٢٦٠.

ومع تلاميذه ومريديه يعلمهم، ويربيهم، ومع أهل بيته وأولاده الزوج، والأب والقريب، كل ذلك لم يشغله عن خلواته الطويلة مع العلم وكتبه، وهذا من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء من عباده، فبارك اللهُ له في أوقاته، وفي علومه، **قال** رَحِمَهُ اللهُ **بعد سرده لكل تلك المطالعات**: «كل هذه المطالعات كانت بيني وبين الله تعالى، وبارك الله تعالى في وقتي.. ومن شكَّ في مطالعتي لها من الأقران فليأتني بأي كتاب شاء من هذه الكتب ويقرؤه عليَّ، وأنا أحلُّه له بغير مطالعة، فإن الله تعالى على كل شيء قدير»[1].

وصَدَقَ شيخ الإسلام أحمد الفتوحي الحنبلي عندما قال في معرِض إجابته عن سؤال قدمه له بعض الحسدة عن الشعراني فردَّ السؤال، وقال: «**كيف أكتب على سؤال يتعلَّق بشخص طالع من الكتب كتباً لا نعرف أسماءها فضلاً عن الخوض فيها؟! بل لو ادعى بعضها لم يجد له منازعاً في دعواه**»[2].

(١) الميزان الكبرى: ج١/ ٢٦١.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٨.

المبحث الرابع

الإمام عبد الوهاب الشَّعراني و العلوم الشرعية

وفيه سبعة مطالب:

* المَطلَب الأول: صِلَة الإِمام الشَّعَراني بعلوم القرآن والسُّنَّة
* المَطلَب الثاني: صلة الإمام الشَّعَراني بعلم العقيدة الإسلامية
* المَطلَب الثالث: صِلَة الإِمام الشَّعَراني بعلم أصول الفقه
* المَطلَب الرابع: صِلَة الإِمام الشَّعَراني بعلم الفقه و قواعده
* المَطلَب الخامس: صِلَة الإِمام الشَّعَراني بالعُلوم الأُخرى
* المطلَب السَّادس: مؤلَّفات الإمام الشَّعَراني وآثاره العلمية
* المطلَب السَّابع: الدَّسُّ في كتبه، سببُه ، و تبرُّؤه منه، و سبب بقائه

المُطلَب الأول
صِلَة الإِمام الشَّعَراني بعلوم القرآن والسُّنَّة

أولاً - علوم القرآن:

أوتي الإمام الشعراني رحمه الله الفهم لكتاب الله تبارك وتعالى، وكان على صلة قوية به وبعلومه، وعدَّ ذلك نعمة من النعم التي أكرمه الله بها فقال: «ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليَّ: أنه تعالى أعطاني الفهم في القرآن العظيم، وهو مقام عظيم قلَّ من أعطيه من الفقراء»[1].

وقد اعتنى الإمام بعلوم القرآن الكريم، تفسيراً وغيره، وألف فيه كتاباً جامعاً، بتصنيف عجيب، وأسلوب غريب لم ينسج على منواله، سمَّاه: (**الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون**) يشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن الكريم، ولقد كتب العديد من العلماء تقريظاتهم على هذا الكتاب، والمشتملة على استحسانهم ومدحهم إياه، ومن جملة الذين كتبوا عليه **شيخ الإسلام الفتوحي الحنبلي**، فقال:

«فقد وقفتُ على هذا المؤلَّف العظيم الشأن، المشتمل على فوائد حسان، وروضة ذات أفنان، من علوم القرآن، ومعان مقصورات في الخيام لم يطمثها من قبل إنس ولا جان، فسبحان مَن سهَّل على مؤلِّفه طرق العلم والعرفان، حتى أتى فيها بما لم يكن في جَنان»[2].

وكتب عليه **الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي**[3] رحمه الله: «فقد وقفت على هذا

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٩١.

(٢) المرجع السابق: ص٩٦.

(٣) هو: شهاب الدين أحمد بن يونس المصري الحنفي، المعروف بابن الشلبي، الإمام العالم العلامة الأوحد المحقق المدقق الفهامة، كان عالماً، كريم النفس، كثير الصدقة، له اعتقاد في الصالحين، ذا حياء وحلم وعفو، أخذ

المؤلَّف السعيد والجوهر المصون التليد، المستنبط من كتاب الله العزيز، فإذا هو مؤلَّف لم يصنع أحد شَكله، ولا جمع أحد في علوم القرآن مثله»[1]. وله أيضاً كتاب: **لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن**[2].

ثانياً - السُّنَّة النبوية وعلومها: كانت صلة الإمام الشَّعَراني بالسُّنَّة النبوية المطهَّرة وعلومها قوية، وارتباطه بها وثيقاً، فقد اطلع على الكثير من كتبها، وحبب إليه الحديث فلزم الاشتغال به، والأخذ عن أهله، وكان جيد النظر، صوفي الخبر، له دربة بأقوال السلف، ومذاهب الخلف[3]، وقد وصفه أكثر الذين ترجموا له بأنه كان من المحدِّثين الفقهاء، وأنه واسع الاطلاع، ملمّاً بأدلة المذاهب الفقهية[4]، وقد ألّف في الحديث النبوي وعلومه عدَّة مؤلفات، كلها تدل على سعة اطلاعه على كتب السنة منها:

١ - **كشف الغمة عن جميع الأمة**، الذي جمع فيه أدلة المذاهب الأربعة في الحديث وهو من أنفع كتبه إلا أنه يسوق الحديث من غير تخريج، وذلك اكتفاء بعلم أهل كل مذهب بِمن خرج دليلهم[5]. حيث جمعه من كتب الحفاظ المعتمدة التي تيسرت له حال

عن الإمام شرف الدين ابن الشحنة والبرهان الطرابلسي الفقه، وأخذ عن الشيخ خالد الأزهري النحو، وتوفي بالقاهرة سنة: (٩٤٧هـ). **ينظر**: شذرات الذهب: ج٨/ ٢٦٧-٢٦٨.

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٧.

(٢) المرجع السابق: ص٩٢.

(٣) ينظر: الكواكب الدرية للإمام المناوي: ج٣/ ٦٩ و٧٢.

(٤) ينظر: الكواكب الدرية: ج٣/ ٦٩، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٢، الكواكب السائرة للغزي: ٣/ ١٧٦، هدية العارفين: ج١/ ٦٤١ فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩، تذكرة أولي الألباب: ص٤٨، طبقات الشاذلية: ص١٦٠، معجم المؤلفين: ج٦/ ٢١٨.

(٥) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢. وقد ذكر الإمام الشعراني أن من جملة مطالعاته لكتب السنة كتاب: المنتقى من الأحكام للإمام ابن تيمية الجد، ثم قال: وهو أصل مسودة كتابي المسمى كشف الغمة عن جميع الأمة. **ينظر**: المصدر المذكور: ص٨٧.

جمعه في البلاد المصرية: كموطأ الإمام مالك ومسانيد الأئمة الثلاث (أبي حنيفة والشافعي وأحمد) والصحيحين والسنن الأربعة ومستدرك الحاكم وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومعاجم الطبراني الثلاثة، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي ومجاميع الإمام السيوطي، وغير ذلك من كتب المحدثين[1].

وقد شحنه بالآثار الكريمة من السنة النبوية المطهرة ورتَّبه على جميع الأبواب الفقهية مما يجعله مرجعاً مهماً في أدلة المذاهب الفقهية.

٢- ثم أَلَّف بعده **المنهجَ المبين في بيان أدلة المْجتهدين**، الذي قال عنه الشعراني: «عزوتُ فيه كل حديث إلى من خرجه فكان كالتخريج لأحاديث كشف الغمة»[2]. وهو نفسه: **مُختَصر السنن الكبرى للبيهقيِّ** الذي اختصره لَّما طالع سنن البيهقي الكبرى، اختصره بِحذف السند والمْكرر دون الأحكام؛ لأنه أجمع كتاب للأدلة وقال: «وهو من أعظم أصولي التي استمدَّيت منها الجمع بين الأحاديث في كتاب الميزان»[3].

وقد استحسن العلماء هذين الكتابين، وأبدوا إعجابهم بهما، وكتبوا عليهما كتابات المدح والثناء، مما يدل على عِظَم نفعهما، وفوائدهما[4].

---

(١) ينظر: مقدمة كشف الغمة للشعراني: ج١/ ٧-٨.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢.

(٣) ينظر: الميزان الكبرى: ج١/ ٢٥٨. وقد أخطأ بعض المحققين عندما جعلهما كتابين منفصلين، مع أنهما كتاب واحد، وقد صرَّح الشعراني رحمه الله بذلك، فقال: « ولم يزل بعض الناس يطعن في مذهبه (الإمام الشافعي) حتى جاء الإمام البيهقي، فتتبع كلامه ونصره بتأليف كتابه المسمى بالسنن الكبرى الذي اختصرته أنا وسَمَّيتُه: بالمنهج المبين في بيان أدلة مذاهب المجتهدين.» ينظر: الأجوبة المرضيَّة عن أئمة الفقهاء والصوفية للإمام الشعراني: ص٣٤٩، مكتبة أم القرى، القاهرة، ط:١/ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، تحقيق: د: عبد الباري داود.

(٤) ينظر ما كتبه العلماء على هذين الكتابين في: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٣-٩٥.

٣- وله أيضاً: **البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير**، قال في مقدِّمته:

«فهذه أحاديث غريبة قلَّ أن يطلع على تخريجها عالم من أهل عصرنا، عدتها نحو من **ألفين وثلاثمائة** حديث انتخبتها من كتاب «الجامع الكبير» وكتاب «الجامع الصغير»، وكتاب «زوائد الجامع الصغير» والكتب الثلاثة للإمام الحافظ الشيخ جلال السيوطي، خاتَمة الحفاظ بِمصر المحروسة، وأضفت إليه جميع ما في كتاب السخاوي رحمه الله، المُسمَّى **بالمقاصد الحسنة**...»[1].

٤- وله أيضاً كتاب: **مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**، الذي جمع فيه أحاديث الترغيب والترهيب، وجعله على قسمين مأمورات، ومنهيات، وهو كتاب نفيس جداً[2]، امتدحه العلماء، وأثنوا عليه، وكتبوا عليه خطوطهم وتقاريظهم[3].

٥- وصنَّف أيضاً كتاب: مِنَح المِنَّة في التَّلبُّس بالسُّنة، وهو مطبوع عدة طبعات.

٦- وألَّف في مصطلح الحديث كتاب: **معرفة أصول الحديث** وقد قال في مقدمته: «فهذه مقدمة نفيسة في علم الحديث يشرف الإنسان بفهمها على معظم العلم لخصتها من كلام الحفاظ...»

المُطلَب الثاني

صِلة الإمام الشَّعَراني بعلم العقيدة الإسلامية

يُعَدُّ الإمامُ الشعرانيُّ رحمه الله رائداً من رواد هذا العلم وفارساً من فرسانه، الذين لهم فيه الخبرة الواسعة واليد الطولى، في توضيح العقيدة الصحيحة التي اعتقدها أهل السنة

---

(١) البدر المنير للإمام الشعراني: ص٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.

(٢) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، والكتاب مطبوع عدة طبعات.

(٣) ينظر ما كتبه العلماء على هذا الكتاب في: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٥-٩٦.

والجماعة على مرِّ العصور، مع بيان ما يخالفها ويناقضها من مذاهب وعقائد أخرى، ومؤلفاته الكثيرة في هذا العلم لتدل دلالة ظاهرة على العلم الغزير الذي آتاه الله تعالى له في هذا المجال، ولا أريد أن أسرد كل مؤلفاته هنا، وإنَّما يكفيني أن أذكر أهَمَّها؛ لأبين جانباً هاماً من مكانة الإمام الشعراني العالية في علم التوحيد والعقيدة، وصلته القوية به، فألَّف في ذلك:

١- **كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر**: تنطلق فكرة هذا الكتاب من الرسالة التي تبناها الإمام الشعراني والتي شغلت باله فترة طويلة من الزمن، وهي فكرة التوفيق بين الآراء المتشعِّبة، والأفكار المختلفة، والمذاهب المتباينة فحاول بكلِّ جهده أن يسدَّ هذه الفرجة الواسعة التي شقَّت صَفَّ المسلمين، وفَتَّتت وحدتَهم وأوجدت بينهم روح التضاغن والتطاحن؛ لذلك عكف على تأليف الكتب التي توحِّد بين آراء الفقهاء والمتكلمين والصوفيين، ووضع في ذلك مؤلفات من بينها هذا الكتاب، وبيَّن في مقدمته سبب تأليفه فقال: «هذا كتاب ألَّفته في العقائد حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف[1] وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك؛ لأنَّ المدارَ في العقائد على هاتين الطائفتين، إذ الخلق كلهم قسمان: إما أهل نظر واستدلال، وإما أهل كشف وعيان، وقد ألَّف كلٌّ من الطائفتين كتباً لأهل دائرته فربَّما ظَنَّ من لا غَوصَ له في الشريعة أنَّ كلام إحدى الدائرتين مُخالِفٌ للأخرى فقصدتُ في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما؛ ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالأخرى، **فرحم الله تعالى مَن عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولتُه والتزمتُه فإن منازع الكلام دقيقة جداً،... وأُوصي كل من عجز عن الوصول إلى تَعقُّل كلام أهل الكشف، أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعدَّاه... والنفس تَجِد القُوَّةَ في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف؛ لِقلَّة**

---

(١) **الكشف لغة**: رفع الحجاب أو رفع الساتر. **وفي الاصطلاح**: هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية الحقيقية وجوداً أو شهوداً. التعريفات للجرجاني: ص٢٣٧، التعاريف: ص٦٠٤.

سالكي طريقهم»[1].

والكتاب حافل بالأسرار الطريفة والموضوعات القيمة التي يجد القارئ فيها زاداً وافراً يعينه على دينه ودنياه، ومطرَّزٌ في نهايته بتقريظات شعرية ونثرية بقلم علماء عصره وأدبائه[2].

ومن جملة الذين كتبوا عليه من العلماء وقرَّظوا له[3]:

أ- شيخ الإسلام الفُتوحي الحنبلي رحمه الله، فقال عنه: «لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلا معاند مرتاب أو جاحد كذاب، كما لا يسعى في تَخطئة مؤلِّفه إلا كل عارٍ عن علم الكتاب، حائد عن طريق الصواب، وكما لا ينكر فضل مؤلِّفه إلا كل غَبِيٍّ حسود أو جاهل جحود».

ب- وقال عنه أيضاً الإمام شهاب الدين الرَّملي الشافعي: «هو كتاب لا ينكر فضله، ولا يختلف اثنان بأنه ما صُنِّف مثله». إلى غير ذلك من الأقوال في مدح هذا الكتاب ومدح مؤلِّفه رحمه الله، مِمَّا يدلُّ على اعتراف كامل بفضله، ومكانته الرَّاسخة في هذا العلم، قيمة كتابه هذا الذي لا يَخلو من الفوائد القيمة».

٢- **كتاب القواعد الكَشْفية الموضِّحَة لمعاني الصِّفات الإلهية**، ومِمَّا قاله الإمام الشعراني في مقدمة هذا الكتاب عن باعث تأليفه لهذا الكتاب: «وهذا كتاب ذكرتُ الأجوبة عن صفات الحق جل وعلا، وردّ ما يتوهَّمه الملحدون وضعفاءُ الحال في العلم بحسب مقامي غيرةً على جناب الحق جل وعلا أن يَتوهَّم أحدٌ فيه ما لا يليق بجنابه تعالى»[4].

---

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر للإمام الشعراني: ج١/ ١٥ - ١٦، دار إحياء التراث العربي.

(٢) الإمام الشعراني إمام القرن العاشر: ص١٩٣.

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر: ج١/ ٦٧٧-٦٧٨.

(٤) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية للشعراني: ص٦٣.

وجعل موضوعاته على هيئة أسئلة وأجوبة، تكاد تلتقي على موضوع واحد عريض، وهو تنزيه الحق سبحانه من الأوهام الواردة على النفس البشرية الضعيفة في حق الذات الإلهية وصفاتها العليَّة، كرفْعِ ما قد يقفز إلى النفس من توهُّم التشبيه والتجسيم أو الحلول والاتحاد نسأل الله السلامة، وإنَّ الناظر في أجوبته رحمه الله على هذه الأسئلة والتوهُّمات ليرى فيها الدِّقة والأفق العلمي الواسع الذي كان يتمتع به، وخاصة عندما يعالِج قضية الآيات المتشابِهة، وما يَرِد عليها من أفكار وإشكالات[1]، فكانت إجابات كافية شافية، وجاء هذا الكتاب مختَصراً لأمهات كتب عقائد الأكابر من أهل السُّنَّة والجماعة، ورَدّاً علمياً قوياً على كلام المُلحِدين المتوهِّمين في ذات الله وصفاته، ما لا يَليق بِهما[2].

٣- **مختصر عقيدة الإمام البيهقي**[3] رحمه الله، وهو كتابنا هذا، وقال في مقدمته: «فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التي رواها الإمام أحمد البيهقيُّ بسنده في كتابه المُسمَّى «بالاعتقاد» انتقيتُها منه؛ رجاءَ نفع الإخوان بها؛ فإنَّ الهِمَم قد قصرت عن مطالعة المطولات»[4]. وهذا الاختيار من الإمام الشعراني لكتاب الاعتقاد يدلُّنا على عظم قدر هذا الكتاب ومكانته المرموقة في كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) ينظر على سبيل المثال: ص٢٤١ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق القواعد الكشفية ص٣٣-٣٤ للدكتور مهدي أسعد عرار حفظه الله تعالى وزاده فهماً وتوفيقاً.

(٣) واسمه: كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى سنة: (٤٥٨ هـ) ذكر فيه أنه صنفه فيما يفتقر المكلف إلى معرفته في الأصول والفروع، وأنه كتاب مشتمل على بيان ما يجب اعتقاده على المكلف، وهو مرتب على الأبواب. ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٣٩٣.

(٤) من مقدمة مخطوط مختصر عقيدة الإمام البيهقي للإمام الشعراني: الورقة الأولى.

٤- وله أيضاً كتاب **فرائد القلائد في علم العقائد**، وهو كتاب جامع لكل أبواب العقيدة على مذهب أهل السنة بأسلوب سهل بسيط يفهمه من له أدنى اطلاع على علم التوحيد، ثم قام باختصاره تيسيراً على طلاب العلم، ومما قاله في مقدمة المختصر: «فهذا كتاب اختصرت فيه جملة صالحة من كتابنا المسمى بفرائد القلائد في علم العقائد، وجعلتها خاصة بعقائد أهل السنة والجماعة القائمين بشعار الدين»(١).

وقد قسَّم هذا الكتاب على فقرات، ابتدأ كلَّ فقرة بقوله: «ونعتقد أن..». **ومن أمثلة ذلك قوله**: «ونعتقد أن ربنا تبارك وتعالى منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملِك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجِد يوجِده، بل كل موجود سواه مفتقِر إليه في وجوده... وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه...»(٢) وهكذا إلى آخر أبحاث الكتاب.

وبالرغم من أهمية هذين الكتابين، والذان يعتبران من درر الإمام الشعراني وكنوزه العلمية، إلا أنهما - على حَدِّ علمي - لا يزالان في ظلمة أدراج دور المخطوطات، ولم يُخدما حتى الآن، أسأل الله ﷻ أن يهيِّئ لهما ولغيرهما من كتب تراثنا العظيم من يطبعه وينشره.

المُطلَب الثالث
صِلَة الإمام الشَّعَراني بعلم أصول الفقه

يعتبر الإمام الشعراني رحمه الله من كبار علماء الأصول في عصره، فقد أخذ هذا العلم من أكابر علماء الأصول في القرن العاشر، من أمثال الإمام الشيخ زكريا الأنصاري، والإمام برهان الدين بن أبى شريف، والإمام شهاب الدين الرَّملي وغيرهم، بالإضافة إلى مطالعاته الكثيرة والمُتنوِّعة لكتب أصول الفقه، فأثْمر من ذلك مجموعة من

---

(١) [ق١/ أ] من مقدمة مختصر فرائد القلائد.

(٢) [ق٧/ ب] من مختصر فرائد القلائد.

الأبحاث والكتب الأصولية القيمة، مما يدل على دقة النظرة العلمية التي كان يتمتع بها رحمه الله ، وإنَّ الناظر في تلك الأبحاث والكتب التي أَلَّفها ليدرك ذلك جيداً، ويمكن لي أن أقسم مؤلفات الإمام الشعراني الأصولية إلى قسمين:

القسم الأول: الكتب الأصولية التي تكلم فيها عن الأصول بكافة أبحاثه وموضوعاته وهي الكتب التالية[1]:

١- الفصول في علم الأصول.

٢- منهاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول - وهو بحثي الذي قدَّمتُه لنيل درجة الماجستير- الذي جمع فيه بين شرح الإمام جلال الدين المحلي لجمع الجوامع، وحاشية الإمام ابن أبي شريف المقدسي.

٣- وملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع في الأصول.

٤- الاقتباس في علم القياس.

٥- مفحم الأكباد في مواد الاجتهاد.

القسم الثاني: الأبحاث الأصولية التي عالَج فيها بعض الأخطاء العلمية التي كانت سائدة عند بعض الناس في القرن العاشر الهجري، وردّها إلى ما كان عليه الخيرة من علماء هذه الأمة، وهذه الأبحاث التي أَلَّفها في هذا المجال هي:

١- البُرُوق الخَواطِف لبصر من عمل بالهواتف.

٢- التتبع والفحص على حكم الإلْهام إذا خالَفَ النَّصّ.

٣- حَدُّ الحُسام على من أوجب العمل بالإلهام.

٤- مقدمة في بيان ذَمِّ الرأي، وبيان تبَرِّي الأئمة المجتهدين منه.

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، تذكرة أولي الألباب: ص٨٠.

وإنَّ الناظر في هذه الأبْحاث وخاصة (١-٢-٣) يدرك تَماماً ما هو الْهدف منها، ففيها يُحارب الإمامُ الشَّعراني الفكرة التي سادت في بعض القرون من أنَّ الإلْهام حجة من الحجج الشرعية، التي تقابل الكتاب والسُّنَّة، والتي يصحُّ اتِّباعُها، والأخذ بها، أما الكتاب (٤) فهو يهدف إلى إثبات أن الأئمة المجتهدين ﷺ لم يقولوا في دين الله برأيهم، وإنَّما قالوا ذلك عن دليل شرعي ثابت من الأدلَّة المعتبَرة.

المُطلَب الرابع

صِلَة الإمام الشَّعَراني بعلم الفقه وقواعده

عندما نقف أمام الإمام الشعراني رحمه الله فإننا نقف أمام عالِم مُجتهد متبحِّر في علوم الشريعة، خبير بِمداخلها ومخارجها، عارف بمذاهب مجتهديها، يضع كل مُجتهد في مكانه الصحيح، ويَحترِم كلَّ مذهب وصاحبه، ولا يَتعَصَّب لواحد دون آخر، بل الكل في نَظَره على الخير والهدى، فقد آثر العمل بما أجمع عليه الأئمة الأربعة، أو اتَّفق عليه ثلاثة منهم- ولو خالف مذهب الإمام الشافعي الذي هو مذهبه، وذلك على وجه الاعتناء والتأكد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان، مع احترامه وتصحيحه لرأي الواحد منهم، وعدم تَخطئته له، إلا أنه يأخذ برأي الأكثر، إنما اتفق عليه الأربعة أو الثلاثة أقرب في نظره إلى أن يكون نصَّاً ملحقاً بالنصوص الشرعية، **وفي هذا يقول** رحمه الله:

«ومِمَّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به علي: مطالعتي لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبي، وذلك لَمَّا تَبحَّرْتُ في مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، احتجْتُ إلى معرفة المسائل المُجمَع عليها بين الأئمة، أو التي اتَّفق عليها ثلاثة منهم، وذلك لأجتنب العمل بما منعوه وأمتثل أمرهم فيما أمرونا به، وإن لم يكن مذهبي، فأعمل بما أجمعوا عليه، أو اتفق عليه ثلاثة منهم على **وجه الاعتناء والتأكد** أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان؛لأنَّ ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع عليه السلام»[1]. **ويقول**

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٨٩.

أيضاً: «ومِمَّا أنعم الله تبارك وتعالى به علي: كثرة توجيهي وتقريري لمذاهب المجتهدين حين تَبحَّرْتُ في علومهم، حتى كأني في حال تقريري لها واحد منهم، وربَّما ظَنَّ الدَّاخِلُ عَلَيَّ وأنا أُقَرِّر في مذهب ذلك الإمام أنني حنفيٌّ أو حنبليٌّ أو مالكيٌّ، والحال أنني مقلِّد للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وذلك لإحاطَتِي بِمنازع أقوال الأئمَّة ﷺ، واطِّلاعي على أدلَّتها وربَّما قال بعض المتهوِّرين عَنِّي: إنَّ فلاناً لا يَتقيَّد بِمذهب- على وجه الذَّمِّ والتنقيص- والحال أَنَّنِي أُقَرِّر مذاهبَ الأئمَّة؛ لوسع اطِّلاعي، لا تَهوُّراً في الدين وتتبُّعاً للرُّخَص»(1).

وبعد كل هذا الاطلاع الواسع للإمام الشعراني على كتب الأئمة المجتهدين ومعرفته لجميع أدلتهم الشرعية التي استدلوا بها على أقوالهم، ومن ثَمَّ تأليفه في أدلتهم من السُّنَّة النبوية كتاب: كشف الغمة، وكتاب المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين، صار عنده تصور شامل لِخُطوة تَجديديَّة في الفقه المقارن لَم يُسبَق إليها ألا وهي التَّوفيق بين المذاهب الفقهية، وأنَّها غير متعارضة أو متناقضة؛ لأنَّ التَّناقض غير وارد في الشريعة الإسلامية، وأنَّ أقوال الأئمة على مرتبتين تخفيف وتشديد، ثُمَّ انطلق يُبَرْهن على أصل هذه الخطوة التوفيقية، فيقول في ذلك: «أصلُ ذلك أني لَمَّا صنَّفتُ كتب أدلة المذاهب، رأيت جميع المجتهدين لا يخرجون عن السنّة في شيء، إنما هم بين مشدِّد ومُخَفِّف فمنهم مَن أخذ بصريح الحديث أو القرآن، ومنهم مَن أخذ بمفهومها، ومنهم مَن أخذ بما استُنبِطَ منهما، ومنهم مَن أخذ بما استُنبِطَ من ذلك المفهوم، ومنهم مَن أخذ بالقياس الصحيح على الأصل الصحيح، فكأنَّ مذاهبهم ﷺ منسوجة من الشريعة المطهَّرة، سُدَاها ولُحمتها منها، وقد وضعتُ في الجمع بين أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ميزاناً ترجع جميع مذاهب المجتهدين، وأقوال مقلِّديهم إلى الشريعة المطهَّرَة، لم أجد لها ذائقاً من أهل عصري.

---

(1) المرجع السابق: ص91.

وقد استعارها الشيخ شهاب الدين شلبي الحنفي فمكثت عنده أياماً ثم أتاني بها، وقال: هذه خصوصية لك، فإني لم أقدر أخرج عن دائرة كلام مذهبي، فقلت له: هي باطلة ؟ فقال: صَولة كلامها ليست بِصَولَة مُبطِل»[1].

وهذا الميزان الذي يعنيه الإمام الشعراني رحمه الله هو كتابه **الميزان الكبرى**[2] وكان قبل أن يؤلِّف هذا الكتاب قد ألف قبله كتاب الميزان الصغرى أو **الميزان الخضِرية**، ثُم بدا له أن يشرحه، ويوسعه ويوضِّح جوانبه فأخذ في تأليف كتاب الميزان الكبرى، وقد طبع الكتابان أكثر من مرة، وترجما إلى أكثر من لغة.

- **يقول فضيلة الشيخ عبد القادر أحمد عطا**:«أرأيتَ لو أنَّ عالِمَاً معاصِراً خَرَجَ علينا بنظريةٍ تقول: إنه لا خلاف بين الأئمة الأربعة في الحقيقة، وإنَّما هم جميعاً يدورون حول عين الشريعة بِما فيها من نصوصِ التشديد والتخفيف رعاية لقدرات الإنسان في كل حال من أحواله، ثُمَّ أثبت نظريته هذه بأدلتها ومصادرها، وحقق صحَّتها بأمثلتها

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٩١ -٩٢.

(٢)**كتاب الميزان الكبرى**:كتاب عظيم في الفقه المقارن، وفيه أصول أيضاً قصد الإمام الشعراني الجمع بين الأدلة المتغايرة في الظاهر، وأقوال جميع المجتهدين، وذكر أنه لا يعرف أحداً سبقه إلى ذلك، فقدَّم بمقدمات في تاريخ التشريع والأصول مركِّزاً على أن الأئمة المجتهدين لا يقولون في دين الله تعالى بالهوى وأنهم لا يقصدون إلى مخالفة النصوص، ثم جمع بين الذم الوارد على الرأي، وعمل المجتهدين به، وأكثَرَ من الدفاع عن الإمام أبي حنيفة بشرح أصوله ومنهجه وذكر من أطنب في مدحه- مع كونه شافعي المذهب- ثم ذكر الأحاديث المتعارضة في الظاهر في جميع الأبواب الفقهية، ثم وَفَّق بينها، ثم أورد بعد ذلك المسائل الفقهية بحسب الأبواب مبيناً المتفق المجمع عليه من المختلف فيه ناسباً الأقوال إلى أصحابها موجِّهاً كلَّ قول بتوجيه صوفي رفيعٍ، مع الاحترام الفائق والأدب الجَمِّ مع كل مذهب.

- **قال في مقدمة الكتاب**:« فهذه ميزان نفيسة عالية المقدار حاولت فيها ما بنحوه يمكن الجمع بين الأدلة المتغايرة في الظاهر، وبين أقوال جميع المجتهدين ومقلديهم...وصنفتها بإشارة أكابر أهل العصر من مشايخ الإسلام، وأئمة العصر بعد أن عرضتُها عليهم قبل إثباتها، وذكرت لهم أني لا أحب أن أثبتها إلا بعد أن ينظروا فيها، فإن قبلوها أبقيتها، وإن لم يرتضوها محوتها، **فإني بحمد الله أحب الوفاق وأكره الخلاف لا سيما في قواعد الدين**.» الميزان الكبرى: ج١/ ٦٤-٦٥.

على منهج الاستقراء الشامل، لو أن أحداً صنع ذلك الآن **لاستحق أرفع الدرجات العلمية**، وتسلطت عليه الأضواء من كل جانب وتبوأ أرفع المناصب، وأطلقت عليه أعظم الألقاب، وما ذاك إلا لأنَّها فكرة لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحقه بها لاحق، وقصارى ما كتب العلماء من قبل هو عرض اختلاف الفقهاء، وأدلة كل قول، وترجيح دليل على دليل، كتب في ذلك ابن جرير، وابن رجب، وابن جزي، وغيرهم من الأصوليين والمفسرين، وكان مقياس البراعة أن يجيد المؤلِّف الانتصار لأدلة مذهبه كما فعل الجصاص الحنفي، والهْرَّاسي الشافعي وغيرهما، **أمَّا أن يثبت عالم من العلماء أنه لا خلاف، وإنَّما المسألة تدور حول التخفيف والتشديد- وكلاهما من مقاصد الإسلام - في دائرة من صريح النص أو مفهومه أو الاستنباط من ذلك المفهوم، أو القياس الصحيح، أو غير ذلك من وسائل الاستنباط، فهذا ما لم يدركه أحد، ولم يفطن إليه أحد قبل الشعراني على الإطلاق... وإن أحداً لم يقل إلى الآن: إنَّ الشَّعراني قد أخذ فكرته هذه عن غيره**»[1].

إن الإمام الشعراني فكَّر طويلاً قبل أن يخرج إلى العالم الإسلامي بهذه النظرية الفريدة، بل بهذه الحقيقة الإسلامية الثابتة، وهي القول بوحدة الشريعة المطهَّرة وثرائها وعدم الاختلاف والتناقض بين أدلتها ونصوصها، وبالتالي عدم التناقض والتضاد بين أقوال لأئمة في الحقيقة؛لأننا نلحظ من مؤلفاته - وخاصة منها: الميزان الكبرى والصغرى، وكتاب كشف الغمة، ولطائف المنن والأخلاق، وبيان ذم الرأي وبيان تبري الأئمة المجتهدين منه- أنَّه كان مشغولاً بهذه النظرية زمناً طويلاً، **ويُعِدُّ لها منهجاً علمياً أصيلاً لا يقل قيمة عن مناهج البحث الحديث في إعداد الرسائل العلمية**[2].

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب: أسرار أركان الإسلام للإمام الشعراني للشيخ عبد القادر عطا: ص ١٠.

(٢) المرجع السابق: ص١١ بتصرف.

- **وقد تكلم الإمام الشعراني عن هذه النظرية ودليلها، فقال في مقدمة كتابه القيِّم كشف الغمة عن جميع الأمة**: «الحمد لله الذي جعل الشريعة المطهرة بحراً يتفجر منه جميع بحار العلوم والخلجان، وأجرى جداوله على أرض القلوب حتى روى منها قلب القاصي والدَّان، ومنَّ على مَن شاء مِن عباده المختصِّين بالإشراف على ينبوع الشريعة بجميع أخبارها، وآثارها المنتشرة في البلدان حتى شهدها بعد جمع أحاديثها في قلبه فجاءت شريعة واسعة جامعة لمراتب الإسلام والإحسان، لا حرج فيها ولا ضيق على أحد من المسلمين، ومَن شهد ذلك فيها فشهوده تنطع وبهتان، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨) ومن ادَّعى الحَرَج في الدِّين فقد كذَّب القرآن، فإن الشَّريعة كالشَّجرة العظيمة المُنتَشِرَة وأقوال علمائها كالفروع والأغصان، وكل من شهد تناقضاً في أخبارها أو خطأً في أقوال علمائها فإنما هو لقصوره عن درجة العرفان، فإن الشريعة جاءت على مرتبتين تخفيفٍ وتشديدٍ، لكل منهما رجال لا على مرتبة واحدة...فمن قوي منهم خوطب بالتشديد، وحكم عليه به في الحقوق ونحوها ومن ضعف منهم خوطب بالرخصة فلا يكلف الضعيف بالصعود لمرتبة الأقوياء ولا يؤمر القوي بالنزول لمرتبة الضعفاء سواء كان ذلك المأمور به مندوباً أو واجباً.... **فما دخل الخلاف والنِّزاع بين أهل المذاهب ومقلديهم إلا في شهودهم أن الشريعة إنَّما جاءتْ على مرتبة واحدة، وأنَّ المُصيب واحد في نفس الأمر من أصحاب تلك الأدلة أو الأقوال والباقي مخطئ،..فالحقُّ الذي نعتقده أنَّ الشريعة جاءت على مرتبتين**، ولو كانت جاءت على مرتبة واحدة إما تخفيف فقط، أو تشديد فقط لكانت عذاباً في قسم التشديد، ولم يظهر الشعار في قسم التخفيف والتسهيل... فمن دخل لفهم الشريعة من باب هذا الميزان ارتفع الخلاف عنده من الشريعة جملة[1]، ورأى جميع علماء الشريعة في

---

(١) قال الإمام الشعراني رحمه الله في معنى هذا الكلام فيمن اعتقد صحة هذا الميزان من أنه: «ارتفع التناقضُ والخلافُ عنده في أحكام الشريعة وأقوال علمائها؛ لأنَّ كلام الله تعالى ورسوله يجل عن التناقض، وكذلك كلام

بحرها يسبحون لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة، وقرر جميع أدلة المجتهدين وأقوالهم، ولم يجد شيئاً من أدلتهم ولا أقوالهم خارجاً عن الشريعة المطهرة وعلم أن مجموع المذاهب هي بعينها الشريعة»[1].

- ومن آثار الإمام الشعراني الفقهية أيضاً كتاب **مختصر المدونة الكبرى في فقه المالكية**، وقد اختصره لما طالع كتاب المدونة[2].

فلم تكن إذاً علاقة الإمام الشعراني بعلم الفقه مُجَرَّدَ علاقة عادية بل كانت صلته به صلة تجديد وجمع، وتوفيق بين أقوال الأئمة، وإثبات أن كل مذاهب المجتهدين من السلف الصالح كالأئمة الأربعة غير خارجة عن الشريعة بل هي متصلة بها اتصال الشجرة بالأغصان، واتصال الظل بالشاخص والأصابع باليد، **وقد اعتُبر في كتابيه**: الميزان الكبرى والصغرى مجدداً في الفقه، فقد وفَّق فيهما بين أئمة الفقه الإسلامي، واعتبرا أول دراسة توفيقية مقارنة للمذاهب الفقهية، وقد تُرجِم كتاب الميزان الكبرى إلى أكثر من لغة من اللغات الحية[3].

و أما بالنسبة لعلم القواعد الفقهية: فلم يكن بعيداً عن مضماره، بل كانت له فيه مشاركات واسعة، واهتمام بالغ فقد ألّف فيه كتابين هما: **مختصر قواعد الإمام الزركشي**

الأئمة عند من عرف مقدارهم واطلع على منازع أقوالهم ومواضع استنباطاتهم، فما مِن حُكمٍ استنبطه المجتهد إلا وهو متفرِّع من الكتاب أو السنة أو منهما معاً، ولا يقدح في صحة ذلك الحكم الذي استنبطه المجتهد جهل بعض المقلِّدين بمواضع استنباطاته، وكل من شهد في أحاديث الشريعة أو أقوال علمائها تناقضاً لا يمكن ردُّه فهو ضعيف النظر، ولو أنّه كان عالماً بالأدلة التي استند إليها المجتهد ومنازع أقواله لحمل كل حديث أو قول ومقابله على حال مَن احتذى مرتبتي الشريعة، فإن من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ومقامهم في حضرة الإسلام أو الإيمان أو الإحسان». الميزان الكبرى: ج١/ ٦٩.

(١) كشف الأمة عن جميع الأمة: ص١٢-١٣. وانظر: كلام الإمام الشعراني عن كتابه الميزان، وبيان دواعي تأليفه له، وشرح فكرته كاملة مع أدلته باستفاضة في مقدمة كتابه الميزان الكبرى:ج١/ ٥٩-١٩٠.

(٢) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٩٠.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة على كتاب الميزان الكبرى: ج١/ ١٩.

وقد اختصره من غير حذف شيء من أحكامه الصحيحة وقد وصف الشعراني رحمه الله قواعد الزركشي بأنها: أجمع القواعد وأوضحها عبارة[1].

ثم قام بعد مطالعته لأمهات كتب القواعد الفقهية: كقواعد الشيخ العز بن عبد السلام الكبرى، والصغرى، وقواعد الإمام العلائي، وقواعد الإمام تاج الدين السبكي، وقواعد الإمام الزركشي، **قام بجمع هذه القواعد كلها** في كتاب واحد وحذف المتداخل منها فجاء – كما قال – كتاباً نفيساً[2].

المُطلَب الخامس

صِلَة الإمام الشَّعَراني بالعُلوم الأُخرى

أولاً - صلته بعلم التَّصوُّف[3]:

الإمامُ الشعرانِيُّ رحمه الله آية من آيات الله تعالى في العِلم، والتَّصوُّف[4] وقد اجتمعَ بكثير من العلماء والأولياء والصالحين، فأخذ عنهم الشيء الكثير، وتَخلَّق بأخلاقهم، وتأدَّب بآدابهم، ويُعَدُّ الشعراني رحمه الله لسان صدق من ألسنة التصوف التي أبدعت آياته الكبرى ومنارة من مناراته العظمى التي قامت على مفترق الطرق الروحية والعقلية ترشد السائرين إلى الله، وتَهدي الحائرين المتعبين إلى شواطئ السلام واليقين.

وقد خَصّص جهدَه الأكبر لتنقية التصوف من الدَّس ومن الدَّخيل والدخلاء وتَجليته نَهجاً إيْمانيّاً خالصاً لله تعالى هدفه الطاعة الكاملة، والعبودية الصادقة لله تعالى

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عُرِّف علم التصوف بتعريفات عديدة، منها أنَّ:التصوف هو: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً – فيرى حكمها من الظاهر في الباطن – وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر – فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ، وقيل:هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا، وقيل: هو الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل غير ذلك. ينظر: التعريفات للإمام الجرجاني:ص٨٣–٨٤، التعاريف للإمام المناوي: ص١٨٠.

(٤) الكواكب السائرة للغزي:ج٣/ ١٧٧.

والاتباع الحقيقي التَّامّ لرسول الله ﷺ، لا يعرف الجدل ولا المِراء، ولا يقرُّ الشَّطحَ[1] والسَّبحَ الفلسفي، فحاول الخروج بالأمة في عصره من الجدليات والخلافات إلى روح الدين وجوهره، إلى اليقين الثابت، والعمل الصَّالِح، والوحدة القلبية والفكرية وإقامة أسس الحياة على الرحمة والمُحبَّة كما أراد ذلك منا الله تبارك وتعالى، لا على الشِّقاق والجدل البغيض»[2].

ويُمكنني القول:

بأن صلة الإمام الشعراني بعلم التصوف هي صلة إمامة وريادة، وذلك بشهادة كبار العلماء الذين عاصروه وشاهدوا أحواله، وخَبِروا أخلاقَه، فكانت صلته بعلم التصوف صلةَ تَجديد وتنقية له مِمَّا علق به عَبر السِّنين والأيام من الأفكار المُنحرفة والهَدَّامة، فكان مثلاً يَعيب على متصوِّفة زمانه الذين انتسبوا للتصوف ظاهراً فقط، ولَصقوا به لِمَكْسَب من المكاسب الدُّنيوية الرَّخيصة، فقد كان يهاجِمُهم في مؤلفاته كلما أتيحت له الفرصة، ويثبت أن التصوف الذي وضع الصوفية فيه كتبهم ومسائلهم إنَّما هو نتيجة العمل بالكتاب والسنة، فمن عمل بِما عَلِمَ تكلَّم بِمَا تَكَلَّموا[3].

ومن الأمثلة التي انتقدها أيضاً الإمامُ الشَّعرانِيُّ الجَهلَ الفاضح بعلوم الشريعة المُطهَّرة عند بعض الذين تَصدَّروا للمشيخة زوراً، فما تَعَلَّموا شيئاً من علومها، ومع ذلك راحوا يَتكلَّمون في علوم الصُّوفية وأذواقهم، ويَتصَدَّرون لتربية المريدين

---

(١) الشَّطح عرفه الإمام الجرجاني بأنه: «عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب وهو من زلات المحققين..» التعريفات: ص١٦٧، وعرفه الإمام المناوي: «كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً». التعاريف: ص٤٢٩-٤٣٠.

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص٦٨.

(٣) ينظر: الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة للإمام الشعراني: ص١٠٠، بتحقيق: الدكتور عبد القادر عطا.

والطلاب، ويزعمون أن علوم الشريعة حجاب عن الله تعالى، فقال عندما تكلم عن أخلاق السَّلف الصالح:

«ومن **أخلاق السلف الصالح** ﷺ: ملازمة الكتاب والسنة كلزوم الظل للشاخص، ولا يتصدر أحدهم للإرشاد إلا بعد تبحره في علوم الشريعة المطهرة بحيث يطلع على جَميع أدلة المذاهب المندرسة والمستعملة.. وكتب القوم (الصوفية) مشحونة بذلك كما يظهر من أقوالهم وأفعالهم..وهذا الخلق قد صار غريباً في فقراء (صوفية) هذا الزمان فصار أحدهم يجتمع بمن ليس له قدم في الطريق، ويتلقف منه كلمات في الفناء والبقاء والشطح مما لا يشهد له كتاب ولا سنة ثم يلبس له جُبَّةً ويرخي له عَذَبَةً، ثم يسافر إلى بلاد الروم مثلاً ويظهر الصمت والجوع فيطلب له مرتباً ويتوسل في ذلك بالوزراء والأمراء فربما رتَّبوا له شيئاً فيصير يأكله حراماً في بطنه لكونه أخذه بنوع تلبيس على الولاة واعتقادهم فيه الصلاح، وقد دخل علي شخص منهم فصار يخوض بغير علم ولا ذوق في الفناء والبقاء ومعه جماعة يعتقدونه فواظبني أياماً، **فقلت له يوماً: أخبرني عن شروط الوضوء والصلاة ما هي؟فقال لي: أنا ما قرأت في العلم شيئاً فقلت له: يا أخي، إن تصحيح العبادات على ظاهر الكتاب والسنة أمرٌ واجبٌ بالإجماع، ومن لم يفرق بين الواجب والمندوب، ولا بين المحرَّم والمكروه فهو جاهل، والجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ولا في طريق الباطن فخرس ولم يردَّ جواباً، ثم انقطع عني من ذلك اليوم، وكان قد دأبني شراً من سوء أدبه فأراحني الله منه**»[1].

ثم يبيِّن في أكثر من موضع من كتبه بأن طريق الصوفية نابعة من هدي الكتاب والسنة المحمدية، وحقيقة الصوفي ينبغي أن تكون كذلك، وإلا فليس له من التصوف إلا اسمه فيقول:«فإن حقيقة الصوفي عند القوم: هو عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص لا غير، وغاية ما يطلبه القوم من تلامذتهم بالمجاهدات بالصوم والسَّهر

---

(١) تنبيه المغترين للإمام الشعراني: ص١٩.

والصمت والورع والزهد وغير ذلك أن يصير أحدهم يأتي بالعبادات على الوجه الذي يشبه ما كان عليه سلفهم الصالح لا غير، ولكن لما اندرست طريق السلف باندراس العاملين بها ظَنَّ بعضُ الناس أنَّها خارجة عن الشريعة لقلَّة من يتخلَّق بصفات أهلها»[1].

وله العديد من المؤلّفات في علم التصوف، بل إنَّ جُلَّ نتاجه العلمي كان لبيان حقيقة التصوف كما هي من ابتنائه على الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح وهذا هو هدفه في العديد من مؤلفاته هذه، ومن أعظمها في هذا المجال:

١ - كتاب لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: إن المتصفح لهذا الكتاب ليرى أنه دعوة إلى الأخلاق المحمدية، ونداء قوي لجمع الشاردين إلى حظيرة الدين، ونفير يجلجل في آذان الحيارى ليعودوا إلى رحاب الشريعة، بل إنه النموذج والقدوة لأصحاب الهمم العالية[2].

فألَّف الإمام هذا الكتاب ليضع أمام أدعياء التصوف، بل وأمام الأمة الإسلامية التي خدعت بِهؤلاء الأدعياء المثَلَ العليا للأخلاق المُحَمَّدية، والمُثُل العُلْيا للآداب الرَّبَّانية، لا لِيتَحدَّثَ عن نفسه، ولا ليباهي بأخلاقه وأعماله ومقاماته كما ظَنَّ بعضُ المستشرقين والسائرين تحت ألويتهم من الكُتَّاب المعاصرين.

وإنَّ هذا الكتاب ليُعَدُّ من الناحية الموضوعية أعظم كتاب أخلاق في تاريخ العربية، بل لعله أعظم كتاب للمثاليات الإيمانية الصوفية في تاريخ التعبد الإسلامي، فلقد رسم فيه الإمام الشعراني الخطوط العليا والعريضة للآداب الإسلامية كما رسم فيه الخطوط العريضة الواضحة لما يقابلها من سيئات منحدرة هابطة إلى الأسفل، وما يحفُّ بها من شهوات، وما يلوذ بها من أحقاد النفس ووساوس القلب، وما يعترك في

---

(١) تنبيه المغترين للإمام الشعراني: ص١٩ - ٢٠.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب الميزان الكبرى للشعراني بتحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة: ج١/ ٤٧.

الطبع الإنساني من غلٍّ وحسد وشهوات، فكان هذا الكتاب فيصلاً بين التصوف الصادق الذي يرتكز على الخلق المُحمَّدي، وبين أدعياء التصوف الهَابِطين بأخلاقهم وأعمالهم إلى ما ينكره الإسلام، ويبرأ منه الإيمان ولا يرضى عنه الخلق الكريم»[1].

٢- وكتاب **تنبيه المغترين في القرن العاشر إلى ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر**: وكان الباعث له على تأليف هذا الكتاب كما قال في مقدمته: «ما رأيته من تفتيش جماعة مولانا السلطان سليمان بن عثمان (القانوني) في النصف الثاني من القرن العاشر على ما اختلسه العمَّال وغيرهم من ماله نصرة له، وما رأيت أحداً من علماء الشرع يفتش على ما اندرس من معالم الشريعة المحمَّدية نصرة لرسول الله ﷺ - كما فعل جماعةُ مولانا السلطان نصره الله - فأخذتني الغيرة الإيمانية على الشريعة، وألَّفتُ هذا الكتاب كالمُبيِّن لما اندرس من معالم أخلاقها...فهو نافع لكل فقيه وصوفي في هذا الزمان... وهو كالسيف القاطع لعنق كل مدَّعٍ للمشيخة في هذا الزمان بغير حقٍ؛ لأنَّه يرى نفسه منسلخةً من أخلاق القوم (الصوفية) كما تنسلخ الحية من ثوبها، وإني أعرف بعض جماعة بَلَغهم أمرُ هذا الكتاب فتكدَّروا، ولو أمكنهم سرقته وغسله لفعلوا خوفاً أن ينظر فيه أحد ممن يعتقدهم، فيتغير اعتقاده فيهم حين يراهم بِمَعزلٍ عن التَّخلُّق بأخلاق القوم الذين يزعمون أنَّهم خُلفاؤهم، وكان الأَولى بِهم الفرحَ والسُّرورَ به فإنه كلَّه نصحٌ، ولا يَجدُ أحدٌ منهم مَن ينصحه في هذا الزمان»[2].

- **ثم ذكر بعض الأمثلة لبعض الذين يَدَّعون انتسابهم للتصوف، وهو منهم براء وكيف يتسابقون في الشَّهوات بِخلاف ما كان عليه أهل الطَّريق الصَّادقون، وقال**: «فإياك أن تظن بالمشايخ الذين أدركناهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في قلة الورع والقناعة فتسيء الظن بهم، وإياك يا أخي أن تتظاهر بالمشيخة في هذا الزمان إلا إن كنتَ

(١) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص١٤٢-١٤٣.

(٢) تنبيه المغترين: ص١٠-١١.

محفوظ الظاهر والباطن من التخليط كأكل أموال الكُشَّاف[1]، ومشايخ العرب والظَّلَمَة، فإن تظاهرتَ بذلك وظاهرك غير محفوظ فقد خنتَ اللهَ ورسولَه وأهلَ الطَّريق، وأتلفتَ دين من يتبعك، وكان عليك إثم الأئمة المضلِّين زيادة على إثْمك، لا سيما إن ادعيتَ أنك أعلى مشايخ مصر مقاماً»[2].

ثُمَّ بعد ذلك بدأ بذكر الأخلاق التي تخلَّق بِها السَّلف الصَّالِح ﷺ من الصُّوفية وغيرُهم بقوله: «ومن أخلاقهم ﷺ كذا وكذا...».

ومن ذلك قوله على سبيل المثال قوله: «**ومن أخلاقهم ﷺ توقُّفُهم عن كل فعل أو قول، حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسُّنَّة أو العرف؛ لأن العُرْف من جُملة الشَّريعة،** قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف)، فعُلِمَ أن القوم (الصوفية) لا يكتفون في أقوالهم وأفعالهم بمجرَّد فعل الناس بها؛ لاحتمال أن يكون ذلك الفعل أو القول من جملة البدع التي لا يشهد لها كتاب ولا سُنَّةٌ... فعليك يا أخي باتِّباع السنة المحمَّدية في جميع أفعالك وأقوالك وعقائدك، ولا تُقدِم على فعلِ شيء حتى تعلم موافقته للكتاب والسنة، فكذب - والله - وافترى مَن يقول: إنَّ طريق القوم بدعة، وإذا كان مَن يَهاب مُخالفَةَ الشَّريعة ويتوقَّف عن العمل حتى يعلم موافقته للشرع مبتدِعاً، فما بَقِيَ على وجه الأرض سُنِّي»[3].

٣- وكتاب **لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: والعهود التي عناها** الإمام الشعراني في كتابه هذا هي خلاصة الدين الربـاني، وصفوة الأخلاق المحمّدية

---

(١) الكُشَّاف جمع كاشف، من الكَشف، وهي وظيفة كانت موجودة في العصر العثماني تشبه ما يسمى في عصرنا الحاضر بالمفتِّش، وتنفير الشعراني وغيرُه من أكل أموالهم لظلمهم الناس من تجار وفلاحين وأخذ الرشاوى منهم. والله أعلم.

(٢) المصدر السابق: ص١٤، وينظر أيضاً: ص١٣.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠-٢١.

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وكل أخلاقه ﷺ صفوة، لقد وضع الإمام الشعراني هذا الكتاب ليُظهِرَ الفرقَ الشاسع بين أخلاق رسول الله ﷺ وهو المثل الأعلى لكل مسلمٍ، وهو الإمام الأكبر لكل صوفي، وبين أخلاق الشيوخ المتصدِّرين لقيادة مواكب التصوف، حتى يتبين الحق من كون هؤلاء المشايخ المتصدرين لقيادة الصوفية هل هم أدعياء جهلة أم مؤمنون بررة؟[1] **فيقول في مقدمته لهذا الكتاب:**

«فهذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثاله، ولا أظن أحداً نسج على منواله ضمَّنتُه جميعَ العهود التي بلغتنا عن رسول الله ﷺ من فعل المأمورات وترك المنهيات، وسَمَّيته: **لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية، وكان الباعث لي على تأليفه:** ما رأيته من كثرة تفتيش الإخوان على ما نقص من دنياهم، ولم أرَ أحداً منهم يفتش على ما نقص من أمور دينه إلا قليلاً فأخذتني الغيرة الإيمانية عليهم وعلى دينهم فوضعت لهم هذا الكتاب المنبِّه لكل إنسان على ما نقص من أمور دينه، فمن أراد من الإخوان أن يعرف ما ذهب من دينه فلينظر في كل عهد ذكرتُه له في هذا الكتاب، ويتأمل في نفسه يعرف يقيناً ما أخلَّ به من أحكام دينه، فيأخذ في التدارك أو الندم والاستغفار إن لم يمكن تداركه... ثم اعلم يا أخي **أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد تَوَعَّرت في هذا الزمان، وعزَّ سالِكُها؛ لأمور عرضت في الطريق يطول شرحها حتى صار الإنسان يرى الأخلاق المحمَّديَّة فلا يقدر على الوصول إلى التخلُّق بشيء منها،** فلذلك كنت أقول في غالب عهود الكتاب: وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق، ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به أو نحو ذلك من العبارات»[2].

وكان يبتدئ كلَّ عهد بقوله: «**أخذ علينا العهدُ العام من رسول الله ﷺ كذا وكذا**» ثم يذكر العهد كله ، مع ذكر أقوال العلماء والصالحين فيه، ويختمه ببيان الأحاديث التي

---

(١) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني: ص١٤٥ .بتصرف يسير.

(٢) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام الشعراني: ص٥-٦ .دار الكتب العلمية.

استنبط منها هذا العهد، ويقول في سبب ذلك:

«وإنما شَيَّدتُ كلَّ عهد منه بالأحاديث الشريفة إعلاماً لك يا أخي بأن عهود الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصاً واستنباطاً ؛ لئلا يطعن طاعن فيها، وسداً لباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب، كما وقع لي ذلك في كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود.... فهذا كان سببَ تشييدي لعهود هذا الكتاب بالأحاديث والآثار، فإن الحاسد لو دَسَّ فيه شيئاً يخالف الأحاديث التي أذكرها لا يروج له أثرٌ عند الناس، وكيف يستدل مؤلِّفٌ لكلامِه بالأحاديث التي يخالفه منطوقُها أو مفهومُها ؟، هذا أمر بعيد، فالله يحفظ هذا الكتاب من مثل ذلك إنه سميع مجيب.

واعلم يا أخي أن رسول الله ﷺ لَمَّا كان هو الشيخَ الحقيقيَّ لأمة الإجابة كلها ساغ لنا أن نقول في تراجم عهود الكتاب كلها: **أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ** أعني معشر جميع الأمة المحمدية فإنه ﷺ إذا خاطب الصحابة بأمرٍ أو نهيٍ أو ترغيبٍ أو ترهيبٍ انسحب حكمُ ذلك على جميع أمته إلى يوم القيامة **فهو الشيخ الحقيقي لنا**»[1].

- **ومن أمثلة تلك العهود التي تكلم عنها في هذا الكتاب القيم ما قاله:**«أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نُدمِنَ مطالعة كتب العلم وتعليمه للناس ليلاً ونهاراً ما عدا العبادات المؤقتة والحوائج الضرورية، ومذهب إمامنا الشافعي ﷺ أن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من صلاة النافلة...واعلم أن جميع ما ورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك فلا تغالط في ذلك فإن الناقد بصير.

وقد وقع لنا مع المجادلين نزاع كثير في ذلك، فإنَّا نراهم متكالبين على الدنيا ليلاً ونهاراً مع دعواهم العلم وتعظيمهم نفوسهم بالعلم والجدال من غير أن يعرجوا على العمل بما علموا، ويستدل أحدهم بما ورد في فضل العلم ، وينسى الأحاديث التي

---

(١) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام الشعراني:ص٦-٧.

جاءت في ذم من لم يعمل بعلمه جملة واحدة، وهذا كله غِشٌّ للنفس...»[1].

ثم ذَكَرَ بعد ذلك الأحاديثَ الواردة في فضل العلم وتعلّمه، منها:

١- ما رواه سيدنا معاوية ﷺ أن النبي ﷺ قال:«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

٢- وما رواه سيدنا أبو هريرة وسيدنا أبو الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال:«مَن سَلَك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّل اللهُ تعالى له به طريقاً إلى الجَنَّة»[3]. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في ذلك والله تعالى أعلم[4].

وبعد هذا العرض الموجز أقول: إن هذه الكتب الثلاثة التي ذُكِرَت، والتي توضح منهج الإمام الشعراني في تصوفه ومكانته العالية فيه بل وتجديده له، وتوضيح الكثير من مفاهيمه، لم أذكرها على سبيل الحصر، وإنما ذكرتُها على سبيل الرمز والمثال؛لأن كتب الشعراني رحمه الله كثيرة في هذا المجال تزيد على المئة كتاب، مليئة بالتوجيهات الأخلاقية الصافية، والإرشادات الصوفية الحكيمة، التي تمثّل البعد الحقيقي للأخلاق الإسلامية المحمَّديَّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ثانياً - علم طبقات الرجال: لم يكن هذا العلمُ أقلَّ حظاً من غيره عند الإمام الشعراني رحمه الله، بل كَتَب فيه وأجاد، فكان واسع الاطلاع والمدارك، خبيراً بأحوال الرجال من علماء هذه الأمة، فألَّف في الطبقات ثلاثاً:(كبرى وصغرى ووسطى) تكلّم فيها عن الكثير من علماء هذه الأمة وأوليائها، حتى إنَّ البعض ممن تُرجِم له في هذه

---

(١) المصدر السابق: ص١٩-٢٠ بتصرف يسير.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه، (٧١)، ومسلم في صحيحه، (١٠٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ب (٢٦٩٩)، وأبو داود في سننه، (٣٦٤١)، وابن ماجه في سننه، (٢٢٣) والترمذي في سننه (٢٦٤٦) وقال:« هذا حديث حسن.»

(٤) ينظر: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمَّدية للإمام الشعراني: ص٢٠-٢١.

الطبقات لا يُعلم له ترجمة إلا بما كتب عنه الشعراني رحمه الله في طبقاته تلك، وهذا يدلُّ على كثرة اطلاعاته وسِعَة مداركه، **وأهمُّ ما ألَّفه الإمام الشعراني في الطبقات وتراجم الرجال هو:**

١ - **لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار أو كتاب الطبقات الكبرى**(١) فقد تكلَّم فيه عن السَّادة الأخيار من أولياء هذه الأمة وعلمائها وصالحيها، ابتدأهم بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه والعديد من الصحابة رضي الله عنهم وختمه بتراجم الأولياء والعلماء في عصره وهو القرن العاشر الهجري، **وقد قال عنه**: «فهذا كتاب لخَّصتُ فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يُقتَدى بهم في طريق الله عز وجل من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر، وخَتَمتُ هذه الطبقات بذكر نبذة صالحة من أحوال مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر وخدمتهم زماناً، أو زرتهم تبركاً في بعض الأحيان، وسمعتُ منهم حكمة أو أدباً، فأذكر ذلك عنهم، وجميعهم من مشايخ مصر المحروسة وقراها رضي الله عنهم أجمعين»(٢).

٢ - ثم ذيَّلَه بكتاب مختصر، هو كتاب **الطَّبقات الصُّغْرى** ذكر فيه جماعة من مشايخ مصر في عصره، مِمَّن لقيهم وقرأ عليهم شيئاً من العلم، أو أخذ عليهم، أو أخذوا عليه الطريق ممن لم يذكرهم في كتاب الطبقات الكبرى(٣)، وقد ترجم فيه أيضاً لجملة من العلماء الأحياء الذين عاصرهم، ومات بعضهم بعد تدوين سيرته في هذا الكتاب، **وقال**: «قَلَّ من يَذكر مناقبَ أحدٍ من الأحياء في حياته، وإنما يذكرونها بعد مماتهم، ولكن

---

(١) تقدَّم الكلام عن كتاب الطبقات الكبرى وما فيه من الأمور المدسوسة والمفتراة عليه، والمخالفة لمنهج الإمام الشعراني نفسه في المبحث الرابع عند الكلام عن الدس في كتبه.

(٢) الطبقات الكبرى للإمام الشعراني: ج١/ ٣٩-٤٠. بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود، وينظر: كشف الظنون: ج٢/ ١٥٦٧.

(٣) ينظر: الطبقات الصغرى للإمام الشعراني: ص١٥، كشف الظنون: ج٢/ ١٥٦٧.

لَّما قوي رجائي في الله ﷻ، وأنه لا يسلب أحداً منهم ما وهبه له من العلوم والمعرفة والأخلاق الحسنة أجرأني ذلك على ذكر مناقب مَن صحبتُه من الأحياء... وكذلك لا **أذكر منهم إلا ما علمتُ بقرائن الأحوال أنه لا يحب الشهرة، واستحقر نفسه أن يذكره أحدٌ في طبقات العلماء العاملين؛ لعلمي أن مَن أحب الشهرة فهذا مراءٍ، وعيوبه مكشوفة للناس، فلا فائدة فيما أصفه به... وقد كنتُ ذكرتُ بعض جماعة في هذه الطبقات، فقال لهم بعض الحسدة: إن فلاناً ذكر أقرانكم ولم يذكركم، فجاؤوني فعتبوا علي لكوني لم أذكرهم بناء على صدق ذلك الحاسد، فرفعتُهم من الكتاب؛لعلمي أن مَن أحبَّ الشهرة لا بدَّ أن ينطفئ اسْمه، ولو على طول الزمن، فلا يفيده ذكري له»**[1]. وهذا الكتاب يعدُّ امتداداً لكتاب الطبقات الكبرى.

٣-وكتاب الطبقات الوسطى، وهذا الكتاب له من الأهمية في بابه ما له، فقد استوعب كلَّ من ترجم لهم في كتاب الطبقات الكبرى، وزاد عليهم في العدد والمضمون، وقد ألفه بعد الكبرى، مع العلم بأن هذا الكتاب خالٍ تَماماً من التَّشويه والدَّس الموجودين في الكبرى مِمَّا يشهد للإمام الشعراني بالبَراءة من كل ذلك، وهذا الكتاب على وشك أن يطبع بدار الكرز في القاهرة إن شاء الله تعالى[2]. وله أيضاً كتاب **المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر**[3].

ثالثاً - علم اللغة العربية: كذلك كان للإمام الشعراني صلة قوية بهذا العلم، لأنه بوابة إلى كل العلوم الإسلامية فلا بد له -لا سيما وأنه قد ألف في كثير من العلوم لا سيما علوم القرآن والسنة، والفقه وأصوله - من أن يكون عالماً بهذا العلم، متبحِّراً فيه،

---

(١) الطبقات الصغرى للإمام الشعراني:ص٧٩.

(٢) وله نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية، الأولى باسم الطبقات الوسطى (٣٠٠ تاريخ تيمور عربي) ١٧٨ورقة، والآخر باسم:لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، (٢٥٠٦١حليم عربي)١٧٤ ورقة.

(٣)كشف الظنون: ج٢/ ١٥٧٣.

وقد قرأ الشعراني رحمه الله الكثير من كتب اللغة وبكافة علومها، وحفظ متن الآجرّومية في بلاد الريف قبل هجرته إلى القاهرة وهو صغير السن، وحلَّها على أخيه الشيخ عبد القادر الشعراني رحمه الله، كما حفظ ألفية ابن مالك في النحو، وكتاب التوضيح للإمام ابن هشام النحوي، كما حفظ كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام أيضاً(1).

وقد ألف في علم النحو كتابين، يوضِّحان صلة الإمام الشعراني بهذا العلم، وهما:

١- كتاب **لُبَاب الإعرابِ المانعُ من اللَّحنِ في السُّنَّة والكتاب**، أو **المُقدِّمة النَّحوية** في علم العربية(2)، الذي أَلَّفه لطلاب العلم في عصره من مريديه من الصوفية وغيرهم بطريقة مُختَصرة ميسَّرة؛ ليسهل الفهم والتطبيق منعاً للوقوع في اللَّحن في الكتاب والسنة. فهو مع صغر حجمه قد جمع فيه مجموع ما في المطولات والشروح، وأتى فيه بكل باب من أبواب النحو والصرف بطرف، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الشواهد الشعرية، ثم ختمه بخاتمة جمع فيها خلاصة علم النحو.

فهو إذاً: مختصر من مختصرات النحو، جمع فيه أبوابه بصورة ميسرة مختَصَرَة مبتعداً فيه عن المطولات والحواشي التي انتشرت في عصره خاصة، **وكان باعثه على تأليف هذا الكتاب عدة أمور منها:**

١- رجاؤه أن يُكتب في حزب أنصار دين الله تعالى.

٢- منع الوقوع في اللحن في مصدري التشريع الإسلامي وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهو مختصر من مختصرات النحو، جمع فيه أبوابه بصورة ميسرة

---

(١) ينظر: لطائف المنن والأخلاق: ص٦٨.

(٢) قال صاحب كشف الظنون ج٢/ ١٨٠٤: المقدمة النحوية في علم العربية للشيخ عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة: ٩٧٣هـ) وقد شرحها شهاب الدين أحمد الغنيمي الحنفي المتوفى سنة: (١٠٤٤) شرحاً ممزوجاً، وأتمه في محرم سنة: (١٠٤٢).

مختصرة مبتعداً عن المطولات والحواشي التي انتشرت في عصره خاصة وذلك لتقريبه إلى طلاب العلم ليسهل فهمه وتطبيقه.

٣- ومن أسباب تأليف هذا الكتاب أيضاً: رغبته في أن يكون مرجعاً للفقراء من مريديه وأتباعه من الصوفية وغيرهم دون أن يحوجهم للرجوع إلى كتب النحو الأخرى، وفي ذلك يقول رحمه الله: «**فهذا كتاب نفيس اقتبسته من نور كلام العرب الفصحاء في نحو يوم رجاءَ أن أكتب في حزب أنصار دين الله تعالى، وليعرف به إخواننا المريدون لطريق الله عز وجل مواطن اللَّحن في كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ليحكوا الكلام على صورة ما جاء من الوحي، إذ غالب الفقراء (الصوفية) في زماننا لا يعتنون بإصلاح اللسان ويلحنون كثيراً في القرآن والأحاديث، وشرط الفقير (الصوفي) أن يكون عالماً بجميع علوم الشريعة وتوابعها... وإنما صنعت هذا الكتاب للفقراء ولم أحوجهم إلى القراءة في كتب النحاة؛ لأن من سلك على يد أحد من أهل الطريق لا ينبغي له أن يأخذ علماً من العلوم إلا على لسان شيخه، فإن للفقهاء في ذلك مزيد ذوق يدركونه في نفوسهم**»[1].

٢- مختصر ألفية ابن مالك رحمه الله في النحو[2].

__رابعاً__- **علم الطِّبِّ**: كما أن الإمام الشعراني رحمه الله كان طبيباً للقلوب ومختصّاً بمعالجة أمراض النفس وعيوبها الباطنة، يصف لها الدواء من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال الحكماء العلماء من أولياء هذه الأمة وصالحيها، فقد كان أيضاً طبيباً لأمراض الأبدان الظاهرة، لذلك عرَّج في مؤلفاته وكتاباته على علم الطب، فألف فيه

---

(١) من مقدمة: لباب الإعراب للإمام الشعراني، ومخطوط في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت رحمه الله في المدينة المنورة.

(٢) ينظر: كشف الظنون: ج١/ ١٥٢.

كتاب: مختصر تذكرة السويدي[1] في الطب[2]، ذكر فيه بعض الأمراض ووصف لها الدواء والعلاج.

المطلَب السَّادس
مؤلَّفات الإمام الشَّعَراني وآثاره العلمية

الإمام الشَّعَراني رحمه الله من آيات الله تعالى في العلم، والتَّصوف والتأليف وكتبه كلها نافعة، وقد دلَّت على أنه اجتمع بكثير من العلماء والأولياء والصالحين[3] وتآليفه كثيرة أوصلَها بعضُ العلماء إلى ثلاثمئة كتاب في علوم الشريعة وآلاتها[4] وحسبي في هذا المبحث أن أذكر أهمَّ هذه الكتب، مرتِّباً لها على حسب ورودها في المعجم وهي كالتالي:

١- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية[5]. وقد طبع عام: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م بمكتبة أم القرى في القاهرة، بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود رحمه الله.

٢- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية[6].

٣- الأخلاق المُتبوليَّة المُفاضَة من الحَضرة المُحمَّدية[7]. ويُعَدُّ هذا الكتاب من أكبر

---

(١) تذكرة السويدي: وهو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بابن طرحان المتطبب المتوفى سنة: (٦٢٠هـ) وهي ثلاث مجلدات كبار، وهو كتاب مفيد جليل القدر جمع فيه الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء والأمراض والعلل وضم إليه فوائد من مجرَّباته ومجرَّبات غيره، يعزو الأقوال إلى قائلها فصار جامعاً لأقوال الحكماء محتوياً على فوائد المحدثين والقدماء، لا يستغني طالب علم الطب عن مطالعته. ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٣٨٦.

(٢) الأعلام: ج٤/ ١٨١، معجم المطبوعات العربية: ليوسف إليان سركيس: ج١/ ١١٣٢.

(٣) الكواكب السائرة للغزي: ج٣/ ١٧٧

(٤) تذكرة أولي الألباب: ص٧٩، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩.

(٥) هدية العارفين: ج١/ ٦٤١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

الموسوعات الأخلاقية للإمام الشعراني؛ لتناوله لِعظم الجوانب الأخلاقية التي ينبغي أن يتخلق بها المسلم على وجه العموم، وسالك طريق الصوفية على وجه الخصوص، وقد طبعته مكتبة الإيمان بالقاهرة الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م بمجلدين، بتحقيق فضيلة الدكتور منيع ابن شيخ الأزهر الراحل عبد الحليم محمود.

٤- أدب القضاة[1].

٥- أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق[2]. وهو مخطوط في مكتبة الأزهر في القاهرة بعنوان (المريد الصادق مع مريد الخالق) (تصوف رقم: ٣٢٩١٤٧) وله نسخة ثانية في المكتبة البديرية في القدس (١٤٩- تصوف -٣/ ٢٤١).

٦- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين[3]. وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق برقم:(١٧٣٢٥)، وقد طبع عام ٢٠٠٦م بدار الكرز في القاهرة، بتحقيق: د.محمد نصار وأحمد المزيدي، وطبع حديثاً في دار الكتب العلمية بتحقيق: د. مهدي عرار.

٧- إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، وقد اختصر فيه كتابَي الإمام ابن حجر الهيتمي (الزواجر ومرشد الطلاب) وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانية، تحت رقم (١٨٣٨- ١٨٣٩).

٨- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء[4]. وهو رسالة مخطوطة، في خزانة الرباط وقد جعله قسمين الأول:في صحبة العالم العلماء مع الأمير،

---

(١) الأعلام:ج٤/ ١٨٠.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:ج١٢/ ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) هدية العارفين:ج١/ ٦٤١.

والثاني:في صحبة الأمير معهم[1]. وهو موجود أيضاً في مكتبة الأسد بدمشق تحت رقم (١٥٤١٠) وعدد أوراقه (١٣٢) ورقة.

٩- أسرار أركان الإسلام أو(الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين)[2].

وقد نشر سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م بتحقيق: الدكتور عبد القادر أحمد عطا، الذي نص في مقدمته ص١٩ أنه: غيَّر اسْمه؛ ليتطابق مع موضوعه تماماً لأن العناوين الطويلة لا تناسب العصر، وأن اسمه الأصلي هو:(الفتح المبين في جملة من أسرار الدين).

١٠- اعتراضات ابن الجوزي على حجة الإسلام الغزالي، وقد ردَّ فيه ما اعترض به الإمام ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس على الإمام الغزالي، وغيره من الصوفية، وهو مخطوط في مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا، تحت رقم (١٦٨٤).

١١- الاقتباس في علم القياس[3].

١٢- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية[4]. وقد طبع عدة طبعات بمصر، وغيرها، منها طبعة بولاق وطبعة صبيح بِهامش الطبقات الكبرى[5].

١٣-الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية[6]. وقد طبع بدار الكتب العلمية، بتحقيق: طه سرور ومحمد الشافعي.

١٤- البحر المورود في المواثيق والعهود[7]. وهو مطبوع عدة طبعات، لا يخلو

---

(١) ينظر:الأعلام:ج٤/ ١٨٠، وينظر أيضاً:كشف الظنون:ج١/ ٦٧.

(٢) هدية العارفين:ج١/ ٦٤١.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٣.

(٤) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى: ج٣/ ٧١.

(٥) ينظر: معجم المطبوعات العربية: ليوسف إليان سركيس: ج١/ ١١٣٠.

(٦) لطائف المنن: ص٩٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤١.

(٧) لطائف المنن: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى: ج٣/ ٧١.

أكثرها من الدس والتحريف، وإن أصحَّها، وأفضلها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق: محمد أديب الجادر.

١٥- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير[1]. وقد طبع بدار الكتب العلمية في بيروت

١٦- البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف[2].

١٧- بَهجة النُّفوس والأسْماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق[3]. وهو موجود بدار الكتب المصرية برقم (٣٩ تصوف عربي) وعدد أوراقه (٥٩٤).

١٨- التَّتبُّع والفحص على حكم الإلْهام إذا خالف النَّص[4].

١٩- تطهير الزوايا من خُبث الطوايا[5]. وهذا الكتاب يتكلم فيه عن الحياة الاجتماعية والعلمية داخل الزاوية باعتبار دورها ومكانتها في القرن العاشر وما قبله وبعده، من كونها ملجأً وسكناً ومؤسسة تعليمية وتربوية، فرصد الإمام الشعراني رحمه الله كل التصرفات التي كانت دور داخلها، فمثلاً ذكر أن من شروط شيخ الزاوية أن يكفي القاطنين فيها من كل العلوم فقهاً وأصولاً وعقيدة ونحواً وغيرها من العلوم ؛ لِمَا في ذلك من لطائف يعرفها أهلها، كما ذكر آداب المريدين في الزاوية مع شيخهم، وآدابهم مع بعضهم، وقد ألفه سنة (٩٦٧هـ) يعني في أخريات حياته المباركة، ويقع في(٣٢٠)ورقة، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية.

---

(١) لطائف المنن: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣)ينظر: الأعلام:ج٤/ ١٨٠.

(٤) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١.

(٥) تذكرة أولي الألباب: ص٨١.

٢٠- تنبيه الأغبياء على قطرة من بَحر علوم الأولياء[1].

٢١- تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر[2]. وهذا من أجل كتب الإمام الشعرانية الأخلاقية، فقد ذكر فيه هدي الصحابة ﷺ والتابعين والعلماء العاملين وبيَّن الكثير من المخالفات التي يقع فيه بعض أدعياء العلم والتصوف، وخاصة في القرن العاشر الهجري، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة دار البشائر بدمشق، عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، بعناية الشيخ عبد الجليل عطا البكري.

٢٢- الجواهر والدرر[3]. وقد ذكر فيه أنه التمس منه بعض الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه علي الخواص رحمه الله مما فاوضه فيه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين، فأجاب ووسم كل قول منه باسم شيء من الجواهر إشارة إلى عزة الجواب عنها ثم اعتذر عن الخطأ أو قلة الإيضاح لأن الشيخ الخواص كان أمياً لا يعرف الخط، وإنما ترجمه عنه بالعبارة المألوفة بين العلماء[4].

٢٣- الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، قال عنه الإمام الشعراني:«إنه مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن»[5]. وله نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية الأولى رقمها الخاص (٣٦٧٧ تصوف عربي) وأوراقها (١٢٠) ورقة، وهو ناقص بضعة أسطر من المقدمة، والثانية برقم (٨٤ تصوف حليم عربي) وأوراقها (٣٢) ورقة.

---

(١) هدية العارفين:ج١/ ٦٤١.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٣، كشف الظنون: ج١/ ٤٨٨.

(٣) لطائف المنن: ص٩٢.

(٤) ينظر: الجواهر والدرر للشيخ الشعراني: ص٣.المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط: ١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٥) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢.

٢٤- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم[1]، وقد أَلَّفَه فرقاً بين علامات المحققين والمتشبهين، وفرغ منه في جمادى الآخرة سنة:(٩٣٢ هـ)[2] وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف، كما ذكر الدكتور مهدي عرار حفظه الله[3].

٢٥- حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام[4].

٢٦- حقوق أخوة الإسلام (مواعظ)[5]. وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

٢٧- درر الغواص من فتاوى الشيخ علي الخواص[6]. جمع فيها نبذة من فتاوى شيخه المذكور مترجماً عن معنى بعضها[7].

٢٨- الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة[8]. وهو موسوعة في علوم القرآن، والفقه وأصوله، والدين، والنحو، والبلاغة والتصوف، منها نسخة في دار الكتب المصرية، وفي برلين، وقد طبع بدار ابن زيدون، بيروت، بتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، وبدار التراث العربي مع كتاب أسرار أركان الإسلام، بتحقيق:الدكتور عبد القادر أحمد عطا.

---

(١) هدية العارفين:ج١/ ٦٤١، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:ج٦/ ٢١٨.

(٢) ينظر: كشف الظنون: ج١/ ٦١٩.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب القواعد الكشفية:ص١٩.

(٤) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١.

(٥) الأعلام:ج٤/ ١٨١.

(٦) هدية العارفين:ج١/ ٦٤١، الأعلام:ج٤/ ١٨١، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣١.

(٧) معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣١.

(٨) تذكرة أولي الألباب: ص٨١، هدية العارفين:ج١/ ٦٤١، الأعلام:ج٤/ ١٨١، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣١.

٢٩- الدرر واللمع في الصدق والورع[1]. يهدف الإمام الشعراني بهذا الكتاب إلى تصحيح المسار الأخلاقي عند بعض المتصوفة الذي بدا انحرافه في عصره، ومحاولة إرجاعه إلى ما عليه الخيرة من علماء هذه الأمة، وقد طبع بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر نصار وأحمد المزيدي، بدار الكرز في القاهرة، عام: ٢٠٠٥ م.

٣٠- الدر المنظوم في زبد العلوم[2]. وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف كما ذكر الدكتور مهدي عرار حفظه الله[3]، وله نسخة بهذا الاسم أيضاً في مكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة، وهذا الكتاب هو نفس كتاب الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المنثورة.

٣١- ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى[4]. وقد طبع في القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود رحمه الله.

٣٢- رسالة الأنوار في آداب العبودية[5]. وهو مخطوط في مكتبة الأزهر بالقاهرة، بعنوان (رسالة الأنوار في معرفة آداب العبودية) [تصوف برقم:(٣٣٣٢٩٧)]

٣٣- السر المرقوم فيما أختُصَّ به أهل الله من العلوم[6].

٣٤- سر المسير والتزويد ليوم المصير[7].

---

(١) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:ج١٢/ ٢٦٤.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب القواعد الكشفية:ص١٩.

(٤) هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٥) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤١، الأعلام:ج٤/ ١٨٠.

(٦) هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٧) المصدر السابق.

٣٥- شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه[١].

٣٦- الطبقات الصغرى[٢]. نشر سنة١٣٩٠هـ١٩٧٠م، تحقيق:عبد القادر أحمد عطا، وبدار الكتب العلمية سنة:١٩٩٩بتحقيق:محمد شاهين، وقد مر الكلام عنه عند الكلام عن صلة الشعراني بعلم التاريخ والطبقات.

٣٧- الطبقات الكبرى المسماة بـ (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)[٣]. موضوع هذا الكتاب: التصوف، تراجم مشاهير الأولياء من أبي بكر ﷺ إلى أيامه، في مجلدين كبيرين. وقد طبع بمصر مراراً، كما طبع في بيروت، لكن أغلب هذه الطبعات فيها من الدَّسِّ والتَّحريف ما فيها، وقد طبع أخيراً في القاهرة بمكتبة الآداب، بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود رحمه الله، وقال عنها محققها:«إنَّها خالية من التَّحريف والتَّخريف». ومن خلال مقارنتي لهذه النسخة مع عدة نسخ أخرى مطبوعة وجدتها خالية من كثير من تلك النقولات المشوّهة والمخزية.

٣٨- الطبقات الوسطى وله نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية، الأولى بهذا الاسم، رقم (٣٠٠ تاريخ تيمور عربي) (١٧٨)ورقة، والأخرى باسم: لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، رقم (٢٥٠٦١حليم عربي) ١٧٤ ورقة.

٣٩- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد[٤]. وهو مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة الملك عبد العزيز، بعنوان:(المنهج المطهِّر للجسم والفؤاد من سوء الظَّنِّ بأحد من العباد) ورقمه

---

(١) المصدر السابق، معجم المؤلفين:ج٦/ ٢١٨.

(٢) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٣) لطائف المنن: ص٩٢، الأعلام:ج٤/ ١٨١، معجم المؤلفين:ج٦/ ٢١٨.

(٤) تذكرة أولي الألباب:ص٧٩، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٢١٧.١٦٢ وعظ وإرشاد) وهو من روائع الإمام الشعراني الأخلاقية، لكنه وللأسف ممنوع من التداول من تصوير وغيره بقرار من إدارة المكتبة المذكورة.

٤٠- العقيدة الشعرانية أو(كتاب العقائد)[١] وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق، برقم (١٦٧٥٨) في (٣) ورقات.

٤١- فتاوى الشعراني[٢].

٤٢- الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشَّطح[٣]. وقد طبع بدار أزمنة في عمَّان، ط: ١/ ٢٠٠٣م، بتحقيق الأستاذ قاسم محمد عباس.

٤٣- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب[٤]. وهذا الكتاب أثبت فيه الخلافة للخلفاء الأربعة على الترتيب الواقع وذكر في أوله مقدمةً جامعة لبيان الطريقة النافعة، وختم بذكر بعض فضائل أهل البيت ﷺ تاركًا في الكل التعصب الباطل أوله الحمد لله الذي منحنا معشر أهل السنة بالسنة الخ وذكرهم في أربعة أبواب[٥].

٤٤- فرائد القلائد في علم العقائد[٦]. وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانية، تحت رقم (٢٠٣٩) وتوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق.

٤٥- الفصول في علم الأصول[٧].

---

(١) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٢) لطائف المنن: ص٨٨، كشف الظنون:ج٢/ ١٢٢٤.

(٣) كشف الظنون ج٢/ ١٢٣٣.

(٤) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد صالحية:ج٣/ ٣٨٧.طبع معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة) عام ١٩٩٣م.

(٥) ينظر: كشف الظنون ج٢/ ١٢٣٦

(٦) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٧) تذكرة أولي الألباب: ص٨٠.

٤٦- الفُلْك المشحون في بيان أن علم التصوف هو ما تخلق به العلماء العاملون[1].

قال الإمام الشعراني في أوَّله: «هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى تأليف مثله فيما أظن، جمعتُ فيه جملة صالحة من أخلاق العلماء الذين أدركناهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، وهم نَحو مائة وخمسيْن شيخاً، ذكرنا أسْماءهم في كتاب الطبقات»[2]. وهو مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة، ورقمه الخاص (٧٤ تصوف حليم عربي) ورقمه العام (٤٤٣٧١١) وأوراقه (٦٤٤) ورقة، مع نقص كبير في أوله.

٤٧- القواعد الكشفية المُوضِّحة لمعاني الصِّفات الإلَهية[3]. قال الإمام الشعراني في مقدمة هذا الكتاب: «وهذا كتاب ذكرتُ الأجوبة عن صفات الحق جل وعلا، وردّ ما يتوهمه الملحدون وضعفاءُ الحال في العلم بحسب مقامي غيرةً على جناب الحق جل وعلا أن يتوهم أحدٌ فيه ما لا يليق بجنابه تعالى»[4]. وقد هذا طبع الكتاب، طبعة علمية بتحقيق الدكتور مهدي عرار حفظه الله، بدار الكتب العلمية، ببيروت، عام ٢٠٠٦م.

٤٨- القول المبين في بيان آداب الطالبين[5].

٤٩-القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين[6]. وقد طبع حديثاً بدار الكرز بالقاهرة بتحقيق الأخ الفاضل الدكتور محمد عبد القادر نصار زاده الله توفيقاً وإخلاصاً.

---

(١) المصدر السابق: ص٨٢، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩.

(٢) نقل ذلك عنه صاحب فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩.

(٣)كشف الظنون: ج٢/ ١٣٦٠، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢، الأعلام:ج٤/ ١٨١.

(٤) القواعد الكشفية:ص٦٣.

(٥) هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٦) المصدر السابق.

٥٠- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر[1]. وقد طبع هذا الكتاب بدار إحياء التراث العربي، في بيروت، بأسفل كتاب اليواقيت والجواهر.

٥١- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان.قال الإمام الشعراني عنه:«وهي نيِّف وسبعون سؤالاً في التوحيد سألني عنها علماء الجان»[2]، طُبع هذا الكتاب بدار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م بعناية الشيخ عبد الوارث محمد علي.

٥٢-كشف الغمة عن جميع الأمة[3]. وهو مطبوع طبعات كثيرة، منها بدار الفكر بدمشق وغيرها، وآخرها وأفضلها طبعة دار التقوى بدمشق في مجلدين، بتحقيق أحمد عز وعناية، وتمتاز هذه الطبعة عن غيرها بتخريج معظم الأحاديث الواردة في الكتاب مع قلة الأخطاء الطباعية.

٥٣- الكوكب الشاهق - أو النور الفارق- في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق[4]. يعالج الإمام الشعراني في هذا الكتاب الأخلاقَ التي يَجب أن يكون عليها المسلم، وخاصَّة المريد في الطريق الصوفي، وما يتحلى به أهل الله من صدق وإيثار وتسامح وإخلاص، وقد طبع عام:١٩٩١م بدار المعارف، مصر، بتحقيق: الدكتور حسن محمد الشرقاوي أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية.

٥٤- لُباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب، أو المقدمة النحوية في علم العربية[5]. طبع هذا الكتاب بتحقيق: د. زيان أحمد الحاج إبراهيم، ونشر في مجلة

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٣، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢، الأعلام:ج٤/ ١٨١.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١.

(٤) تذكرة أولي الألباب: ص٧٩.

(٥) تذكرة أولي الألباب: ص٧٩.

معهد المخطوطات العربية في الكويت - المجلد٣٠ - الجزء الثاني، في شهر ذي القعدة ١٤٠٦هـ صفحة: ٥٠١ - ٥٧٤، وطبع مرة أخرى بتحقيق: د.مها بنت عبد العزيز العسكر ود.نوال بنت سليمان الثنيان الأستاذتان المساعدتان في قسم اللغة العربية - كلية التربية للبنات بالرياض.

٥٥- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق(المنن الكبرى)[1]. له نسخة خطية في المكتبة البديرية في القدس برقم (٧٤/ ١٩٥) وقد طبع عدة طبعات منها بدار التقوى، دمشق، تحقيق أحمد عزو عناية، وبدار الكتب العلمية ببيروت ط: ١/ ١٩٩٩م، بعناية سالم مصطفى البدري.

٥٦- لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن[2].

٥٧- لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية[3]. وله عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية.

٥٨- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر[4].

٥٩- المختار من الأنوار في صحبة الأخيار، طبع في القاهرة سنة: ١٩٧٣م بإشراف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بتحقيق الدكتور:عبد الرحمن عميرة، طلعت غنام.

٦٠- مختصر الألفية لابن مالك في النحو[5].

---

(١) طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢ .

(٤) تذكرة أولي الألباب: ص٧٩، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٥) هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

٦١- مختصر تذكرة السويدي في الطب[1]، ذكر فيه بعض الأمراض ووصف لها الدواء والعلاج.

٦٢- مختصر تذكرة القرطبي[2]. وله بدار الكتب المصرية عدة نسخ خطية، وأغلبها بالاسم المذكور، منها رقم (١٢١٦تصوف طلعت عربي) في (٢٢٤) ورقة، ونسخة واحدة باسم: العقد الذهبي بمختصر تذكرة الإمام القرطبي، ورقمها الخاص (١٨٣ تصوف حليم عربي)، وهو مطبوع أيضاً عدة طبعات، أغلبها تجارية.

٦٣- مختصر الخصائص النبوية للإمام السيوطي[3].

٦٤- مختصر عقيدة البيهقي[4] وهو مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة تحت رقم (٦٥٥مجاميع طلعت)، وهو كتابنا هذا.

٦٦- مختصر قواعد الإمام الزركشي في الفروع[5] وهو مخطوط بمكتبة الأزهر، رقم (٨٦٧) خاص، ورقم (٢٢٤٣٠) عام.

٦٧- مختصر المدونة في الفروع المالكية[6].

٦٨- مشارق الأنوار أو (لواقح الأنوار) القدسية في بيان العهود المحمدية[7]. وقد طبع الكتاب مرات عديدة، منها بدار الكتب العلمية في بيروت، بتحقيق: محمد عبد

---

(١) الأعلام: ج٤/ ١٨١، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٢. ولهذا الكتاب عدة طبعات.

(٢) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣، وقد طبع مرات عديدة.

(٣) ذكره في كتابه: لطائف المنن والأخلاق: ص٨٧، كشف الظنون: ج١/ ٧٠٥.

(٤) كشف الظنون: ج٢/ ١٠٠٧، تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٥) لطائف المنن: ص٩٢، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٨١.

(٦) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٠.

(٧) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى: ج٣/ ٧١، هدية العارفين: ج١/ ٦٤٢، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٨١.

السلام إبراهيم عام: ٢٠٠٥م.

٦٩- مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين[1]. موضوعه التصوف، طبع في مصر طبعة حجرية دون تاريخ[2].

٧٠- مفحم الأكباد في مواد الاجتهاد[3].

٧١- مقدمة في ذم الرأي وبيان تبري الأئمة المجتهدين منه[4]. توجد منه عدة نسخ خطية منها في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق في(١٨) ورقة، تحت رقم (٧٦٦٤ت).

٧٢- الملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول، وهو مخطوط بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، يقع في (٢٥) ورقة تحت رقم (٧٦٦٤ت١).

٧٣- المِنَح السنية على الوصية المتبولية[5]. وهي شرح على وصية العارف بالله المتبولي الأحمدي (تصوف)، توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر برقم (٣٠٧٦١٩) وقد طبع في مصر طبعة حجرية، سنة:(١٢٧٦هـ)[6]. كما طبع أيضاً في مكتبة الجندي في القاهرة بتعليق محمد مصطفى بن أبي العلا، دون تاريخ.

٧٤- مِنَح المِنَّة في التَّلَبُّسِ بالسُّنَّة[7]. وقد طبع عدة مرات، منها بدار الكتاب

---

(١) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٢) معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٤) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٥) الأعلام:ج٤/ ١٨١، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:ج١٢/ ٢٦٤.

(٦) معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣.

(٧) تذكرة أولي الألباب:ص٨٢، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٨٠، الأعلام:ج٤/ ١٨١، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣.

النفيس بحلب سوريا، ط:١/ ١٤٢٣هـ بتحقيق: الشيخ عبد الغني نكه مي.

٧٥- منع الموانع[1].

٧٦- منهاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول. وقد جمع فيه بين شرح الجلال المحلي لجمع الجوامع وحاشية ابن أبي شريف[2]، وتحقيقه موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير من جامعة بيروت الإسلامية.

٧٧- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق[3]. مخطوط في مكتبة الأسد بدمشق، تحت رقم (١٧٧٩٨) ويقع في (٣٧) ورقة.

٧٨- المنهج المبين في أخلاق العارفين[4].

٧٩- المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين أومختصر السنن الكبرى للبيهقي)[5].

٨٠- الميزان الخَضِريَّة[6]. في الفقه المقارن، له طبعات كثيرة منها بدار الكتب العلمية.

٨١- الميزان الذَّرِّيَّة الْمبيِّنة لعقائد الفرق العَلِيَّة[7]. وله في دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت منها الأرقام التالية:(٢١٧) (٢١٠)، وقد طبع عام ٢٠٠٧م في الدار الجودية

---

(١)كشف الظنون:ج٢/ ١٨٦٩، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٢) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٨١.

(٣) هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لطائف المنن والأخلاق: ص٩٢، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢.

(٦) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣.

(٧) المصادر السابقة.

في القاهرة، بتحقيق:أ.د/ جودة المهدي وأحمد فريد المزيدي، و/ د. محمد عبد القادر نصار، ولكن للأسف، إن هذا الكتاب قد طالته يدُ الدَّسِّ والتَّحريف الأثيمة، مما لا يخفى على كل قارئ متمرِّس في كتابات الإمام الشعراني، وخاصة الذي يقابل هذا الكتاب مع كتاب القواعد الكشفية يرى ذلك واضحاً جلياً، وعلى سبيل المثال لا الحصر:أن في هذا الكتاب يدافِع مَن دسَّه عن فكرة الحلول والاتحاد[1]. وقد نبه المحققون حفظهم الله على تلك المواضع، وحاولوا تأويلها بما يتفق مع عقيدة أهل السنة، وأوردوا ذلك من كلام الإمام الشعراني نفسه بما يرد هذا الدس، بينما نجد الإمامَ الشعرانيَّ رحمه الله يحذر من هذه الفكرة كل التحذير، في أكثر كتبه، بل ويبرهن على بطلانها، ومصادمتها للعقيدة الإسلامية الصحيحة، ثم يأتي بالنقول عن العلماء بإبطال هذه الفكرة[2].

٨٣- الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقول الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية، أو الميزان الكبرى[3]. في الفقه المقارن، طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، في سوريا ومصر ولبنان، وأفضلها- والله أعلم- طبعة دار عالم الكتب بتحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة.

٨٤- ميزان العقائد الشعرانية المشيدة بالكتاب والسُّنَّة المُحمَّدية.

٨٥- النصائح والوصايا، وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق، برقم (١٦٧٥٨ت١) (٤٩) ورقة، وبدار الكتب المصرية تحت اسم وصايا الشيخ الشعراني في الآداب رقمها الخاص (١٠١٨ تصوف طلعت عربي)، في (١١٨) ورقة.

---

(١) ينظر: الميزان الذرية:ص٧٤-٨٢.

(٢) ينظر القواعد الكشفية:ص١٩٢-١٩٩، اليواقيت والجواهر:ص١١٥-١١٨.

(٣) طبقات المناوي الكبرى:ج٣/ ٧١، هدية العارفين:ج١/ ٦٤٢، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣٣، الأعلام:ج٤/ ١٨١.

٨٦- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين[1].

٨٧- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر[2]. وقد حاول في هذا الكتاب المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر على مثال لم يسبقه إليه أحد[3]. والكتاب مطبوع طبعات كثيرة، منها بدار إحياء التراث العربي، بيروت، وقد مَرَّ الكلام مفصَّلاً عن هذا الكتاب عند الكلام عن علاقة الإمام الشعراني بعلم العقيدة.

المَطلَب السَّابع

الدَّسُّ في كتبه، سببُه، وتبرُّؤه منه، وسبب بقائه

لقد دَسَّ أعداء الإمام الشعراني عليه الكثيرَ، وأشاعوا عنه أشياء زعموا أنه وضعها في كتبه، وتبنَّى نشرها في حياته وأقاموا الدنيا عليه ولم يقعدوها، مع أنه ما عرف عنه إلا التَّمسُّك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ بل لقد عَدَّ تَمسُّكَه بالكتاب والسُّنَّة من النِّعم الكبرى التي أنعم الله بِها عليه، فكيف يُخالفهما، أو أن ينشر أفكاراً تَهدم ضوابطها، وهذا ما كان يقوله في أكثر من مناسبة في كتبه ولتلاميذه، ومن ذلك قوله: «**ومِمَّا أنعم الله تعالى به عَليَّ**: انشراح صدري لاتِّباع السنة المحمدية قولاً، وفعلاً، واعتقاداً، وانقباض خاطري من ضدِّ ذلك، من حين كنت صغيراً، حتى إني بحمد الله تعالى أتوقف في بعض الأوقات عن العمل ببعض ما استحسنه بعض العلماء، حتى يظهر لي وجه موافقته للكتاب والسنة أو القياس، أو العرف المشار إليه بقوله تعالى لِمحمَّد ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)... وهذا أمر لم أجد له فاعلاً من الناس إلا

---

(١) تذكرة أولي الألباب: ص٨٢، هدية العارفين: ج١/ ٦٤٢.

(٢) لطائف المنن: ص٩٢، طبقات المناوي الكبرى: ج٣/ ٧١، هدية العارفين: ج١/ ٦٤٢، معجم المطبوعات العربية: ج١/ ١١٣١.

(٣) ينظر: كشف الظنون: ج٢/ ٢٠٥٤.

قليلاً، وأغلبهم يقدم على الفعل من غير توقف ونظر هل ذلك موافق للشريعة أو لا ؟ بخلافي بحمد الله تعالى، فإني إن لم أجد ذلك الفعل موافقاً للشريعة، ولم يظهر لي موافقته لها ولا للعرف توقفت عن العمل به، **فكذب والله وافترى، مَن أشاع عني من الحسدة أنني أشطح في أفعالي، وأقوالي، وعقائدي عن ظاهر الكتاب والسنة، مع أن أحداً من هؤلاء الحسدة لم يجتمع بي قط، ولا ثبت عنده ذلك ببينة عادلة، إنما بعض الحسدة زيَّن له الشيطان ذلك لمَّا عجز أن يجد مطعناً في أفعالي الظاهرة، فافترى عليَّ ببعض كلمات، ودار بها في جامع الأزهر، وأخبرهم بذلك فالله تعالى يغفر له»**[1].

لقد دُسَّ على الإمام الشعراني حياً، وميتاً، وافتري عليه حياً وميتاً، وأكثر كتاب دُسَّ عليه فيه هو كتاب **الطبقات الكبرى**، والكثير من الحاقدين على الإمام الشعراني ينقلون عنه الأشياء المدسوسة في هذا الكتاب في معرض هجومهم عليه دون التثبُّت من هذا القول هل قال به الشعراني رحمه الله أم لم يقل به ؟ وترى أحدهم عندما يريد أن يتكلم عن الشعراني يقول:(الشعراني صاحب كتاب الطبقات الكبرى) وكأنَّ مؤلفاته العلمية الصَّافية قد عُدِمت واندثرت، ولم يبق منها إلا كتابه الطبقات - الذي دس عليه فيه أشياء تخالف الكتاب والسنة، وقد حاربها هو في الكثير من مؤلفاته وأعلن تبرأه منها فضلاً عن أن يقولها، أو أن يتبناها في أحد مؤلفاته - حتى ننسبه إليه علامة على تخريفه وابتداعه، وابتعاده عن المنهج العلمي السليم، وحاشاه من ذلك.

فإذا وجدنا في هذا الكتاب الذي يترجم فيه لكبار العارفين بالله: أن شيخاً كانت له علاقة جنسية مع الحمير، أو الصبيان الصغار، أو أن آخر كشف عورته أمام امرأة ذهب ليخطبها حتى تكون على بينة من أمره، أو أن شيخاً آخر كان يصعد إلى المنبر ليخطب بالناس وهو عريان، ثم يقرأ القرآن ناسباً إليه آيات ليست فيه والناس مع هذا

---

(١) المرجع السابق: ص٩٩- ١٠٠.

لا ينكرون عليه وأنَّ الشعراني يترجم لـه ويقـول: « ﷺ » إلى غـير ذلـك مـن التُّرَّهـات والأكاذيب المدسوسة عليه، وهو براء منها.

والأدهى من ذلك أن الشعراني استفتى شيخ الإسـلام زكريـا الأنـصاري - كـما يدعون - عن حال هذا الذي يمارس الجنس مع الحمير، فقال له: «إنهم يُخيِّلـون للنـاس هذه الأمور، وليس لها حقيقة»(١).

يقول الشيخ عبد القادر أحمد عطا عند كلامه عـن بيـان أسـباب الـدس في كتـب الإمام الشعراني: «ولئن جاز أن نلغي عقولنا فنـصدق أن إمامـاً في الـشريعة كالـشعراني يكتب في كتبه هذه الخرافات، فمن العته والبله أن نلغيهـا مـرة أخـرى فنـصدق فتـوى

(١) وأما كتاب الطبقات الكبرى، والذي حوى تلك الشنائع التي نَقلتُ منها تلك النقولات القبيحة، والمنسوبة زوراً وبهتاناً للإمام الشعراني، والذي لا يتذكر بعض الناس عندما يتكلمون عن الشعراني بالذم إلا هذا الكتـاب، فقد طبع الكتاب حديثاً بتحقيق: «عبد الرحمن حسن محمود» ووضع على غلافه: [أول طبعه محققـة في العـالم] مـع العلم بأن معظم الطبعات الموجودة لهذا الكتاب، والمتداولة بين طلاب العلم هي الطبعة المزورة والمدسوسـة عـلى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والتي فيها من الشنائع والمخالفات ما فيها، والشيخ منه براء، والقليل من العلماء مَـن ينبِّـه عـلى هذا الأمر، ومما كُتب على غلاف الطبعة الجديدة أيضاً: قوبلت هذه الطبعة على مخطوطة نادرة، ومقابلة قراءة كاملة على طبعة بولاق عام ١٢٩٢هـ وعدة مخطوطـات بمكتبـة الأزهـر الـشريف، وهـي خاليـة تمامـاً مـن التحريـف والتخريف، وقد طبع الكتاب بمكتبة الآداب، القاهرة، ط: ١/ ٢٠٠١م، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود.

- ومما قاله المحقق في مقدمته للكتاب: ج١/ ٢٥ تحت عنوان: كتاب «الطبقات الكبرى» والكذب على الشيخ رحمه الله ورضي عنه: « وأما ما كُذب على الشيخ الشعراني في هذا الكتاب فكثير، وقد مكننا الله تعالى من الاطـلاع عـلى تراجم نظيفة أثبتناها في نسختنا هذه، وأشرنا إلى كلٍ في موضعه، إن النسخة التي كتبهـا الـشيخ بيـده رَحِمَهُ ٱللَّهُ قـد فقدت، أو هي في سرداب من سراديب المكتبات، أو أضاعوها ليتمكنـوا مـن دس مـا يمكـن دسـه فـيما تنـسخه أيديهم، والنسخ الموجودة في بعض تراجمها زيادة عن المطبوع أو نقص، فما رأيت فيه مخالفة تستحق أن تظهر: نقلته برمته بدلاً عن ما في النسخ المطبوعة، وما لا: تركتُه كما هو.» ثم ذكر الكثير من الأمثلـة المحرفـة والمدسوسـة عـلى الإمام الشعراني والموجودة في النسخ المطبوعة، ثم قارنها بالنسخة الثانية التي اعتمد عليها، وهي خالية تمامـاً مـن تلك القبائح والتفاهات.

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري - حصن المجتهدين في عصره - فيما يتصل بهذه الخرافات، ولكنَّ اللؤم قد بلغ بالدساسين حين كان الشعراني تلميذاً لشيخ الإسلام الأنصاري فجرحوا الشيخ كما جرحوا التلميذ، بينما خاب سعيهم كل الخيبة، وحَمَّلوا تلك الفتوى لشيخ الإسلام....» **ثم يقول**:«ونَحن إذا قرأنا هذا في كتاب كتبه رجل على هذا القدر من الثقافة الشرعية الرصينة، والوعي الصوفي الحذر، فإن ما كتبه يستهوينا بلا شك، **ولكننا نعود من رحلة استهوائنا إلى تقرير أنَّ المسألة أحد أمرين**:

١- إما أن يكون الشعراني كان قد أصيب بمرض عقلي دفعه إلى هذا الهراء، **وهو ما لم يحدث**، ولو حدث لسارَعَ أعداؤه إلى تسجيله وإذاعته، وما أكثر أعداؤه في عصره، وبعد عصره.

٢- وإمَّا أن يكون هذا الكلام مدسوساً عليه من أعدائه أدعياء التصوف، لترويج خرافاتهم عن طريقه؛ لأن هذه الخرافات كانت وما تزال تشكل جزءاً رئيسياً من ثقافة هؤلاء الأدعياء من العامة وأشباههم، أو لتشويه سمعة الشعراني العلمية والسلوكية؛ تنفيساً عن حقد وعداوة له بسبب ذيوع صيته، واحترام الناس له، ومنافسته للأزهر»[1].

- **وقد أوضح الإمام الكبير عبد الرؤوف المناوي** رحمه الله، **وأيَّده في ذلك المؤرخ الكبير عبد الحي بن العماد الحنبلي** رحمه الله أن هناك الكثير من الحسدة دسَّ على الشيخ الشَّعراني رحمه الله أشياء تخالف الشرع، وهو بريء منها، فقال بعد أن أثنى عليه وذكر مؤلفاته العديدة:«وقَرَّظ له - يعني للإمام الشعراني - على بعضها علماء عصره، فغلب الحسد على طائفة من الفقهاء والصُّوفية، فدسُّوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنَّعوا وسبُّوا، ورموه

---

(١) مقدمة كتاب: أسرار أركان الإسلام للشعراني للشيخ عبد القادر عطا: ص١٣، دار التراث العربي، ط:١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

بكل عظيمة، وبالغوا في الأذى والنميمة، **فخذلهم الله تعالى** وأظهره الله عليهم، وكان مواظباً على السنة، مُجانِباً للبدعة، مبالغاً في الورع، مُؤْثِراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحمِّلاً للأذى، سالكاً طريق العفو، موزِّعاً أوقاته على العبادة، ما بين تصنيفٍ وتسليكٍ وإفادة، وكان يُسمَعُ لزاويته دوي كدويِّ النحل ليلاً ونهاراً، ولم يزل مقيماً على ذلك، معظَّماً في صدور الصُّدور، مبجَّلاً في عيون الأعيان بالْخير والْحُبور إلى أن نَقَلَه الله تعالى إلى دار كرامته»(١).

وهذا ما قاله أيضاً الإمام المحقق محمد أمين عابدين صاحب كتاب حاشية ابن عابدين في الفقه الْحنفي في معرض كلامه عن الدَّس في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي، فقال:«كما وقع للعارف الشعراني أنه افترى عليه بعض الْحُسَّاد في بعض كتبه أشياء مكفرة، وأشاعها عنه حتى اجتمع بعلماء عصره، وأخرج لهم مسودة كتابه التي عليها خطوط العلماء فإذا هي خالية عما افتُرِيَ عليه»(٢).

ولقد أوضح الإمام الشعراني ما ابتُلِيَ به من الدَّسِّ في كتبه، وبيَّن أسبابه، وأعلن براءته منه، وملازمته للكتاب والسنة في جميع ما يقوله ويسطِّره في مؤلفاته فقال موضحاً ذلك ومفصِّلاً، وهو كلام دقيق لِمَن أراد الحق والإنصاف:«**ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ، صَبْري على الحَسَدة والأعداء، لَمَّا دَسُّوا في كُتبِي كلاماً يُخالِف ظاهرَ الشَّريعة، وصاروا يستفتون عليَّ زوراً وبُهتاناً، ومكاتبتهم فيَّ لِباب السُّلطان، ونَحو ذلك، اعلم يا أخي:**

١ - أنَّ أول ابتلاءٍ وَقَعَ لي في مصر من نحو هذا النوع، أنني لما حججْتُ سنة سبع

(١) الكواكب الدرية في طبقات السادة الصوفية للإمام المناوي: ج٣/ ٧١-٧٢، شذرات الذهب: ج٨/ ٣٧٣- ٣٧٤

(٢) حاشية ابن عابدين: للإمام المحقق محمد أمين عابدين: ج٤/ ٢٣٨.

وأربعين وتسعمائة، زَوَّر عليَّ جماعة مسألة فيها خرق لإِجماع الأئمة الأربعة، **وهو أنني أفتيتُ بعض الناس بتقديم الصلاة عن وقتها إِذا كان وراء العبد حاجة**، قالوا: وشاع ذلك في الحج، وأرسل بعض الأعداء مكاتبات بذلك إِلى مصر من الجبل، فلما وصلتُ إِلى مصر، حصل في مِصْرَ رَجّ عظيم، حتى وصل ذلك إِلى إِقليم الغربية والشرقية والصعيد وأكابر الدولة بمصر، فحصل لأصحابي غاية الضرر، فما رجعتُ إِلى مصر إِلا وأجد غالب الناس ينظر إِليَّ شزراً، فقلت: ما بال الناس ؟ فأخبروني بالمكاتبات التي جاءتهم من مكة، **فلا يعلم عددَ من اغتابني، ولاثَ بعرضي إِلا الله** ﷻ.

٢- ثم إِني لما صنفت كتاب **البحر المورود في المواثيق والعهود**، وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر، وتسارع الناس لكتابته، فكتبوا منه نحو أربعين نسخة، **غار من ذلك الحسدةُ**، فاحتالوا على **بعض المغفلين** من أصحابي، واستعاروا منه نسخته، وكتبوا لهم منها بعض كراريس، ودسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإِجماع المسلمين، **وحكايات وسخريات عن جحا، وابن الراوندي**، وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة، حتى كأنهم المؤلِّف، ثم أخذوا تلك الكراريس، وأرسلوها إِلى سوق الكتبيِّين في يوم السوق، وهو مجمع طلبة العلم، فنظروا في تلك الكراريس، ورأوا اسْمي عليها، فاشتراها من لا يخشى الله تعالى، ثم دار بها على علماء جامع الأزهر، ممن كان كتب على الكتاب ومن لم يكتب، فأوقع ذلك فتنة كبيرة، **ومكث الناس يلوثون بي في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة، وأنا لا أشعر** وانتصر لي الشيخ ناصر الدين اللقاني، وشيخ الإِسلام الحنبلي، والشيخ شهاب الدين بن الجلبي كل ذلك وأنا لا أشعر، فأرسل لي شخص من الُمجبِّين بالجامع الأزهر، وأخبرَني الخبرَ فأرسلت نسختي التي عليها خطوط العلماء، فنظروا فيها، فلم يَجدوا فيها شيئاً مِمَّا دَسَّه هؤلاء الحسدة، فَسبُّوا مَن فَعَل ذلك، وهو معروف»[1].

---

(١) لطائف المنن والأخلاق: ص٧٦٢.

وقال: «واعلم يا أخي أن بعض الحسدة والأعداء، لما قام عنده الغيرة والحسد بسبب هذا الكتاب، حين رأى الناس يكتبونه، ويقرؤونه عليَّ، استعار من بعض إخواننا المغفَّلين نسخةً، وكتب له منها كتاباً، ودسَّ فيه أموراً تخالف ظاهر الشريعة وما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، فصار مَن لا يعرف حالي يَنسِبُ تلك الأمور إليّ، وأنا بِحمد الله بريءٌ من ذلك»[1]. ويقول أيضاً:

«وأعرفُ بعض جماعة من المتهوِّرين، يعتقدون فيَّ السوء إلى وقتي هذا، وهذا بناء على ما سمعوه أولاً من أُولئك الحسدة، ثم إِن بعض الحسدة، جمع تلك المسائل التي دُسَّت في تلك الكراريس وجعلها عنده، وصار كلما سمع أحداً يكرهني، يقول له: إِن عندي بعض مسائل تتعلق بفلان، فإِن احتجتَ إِلى شيء منها أطلعتك عليه، ثم صار يعطي بعض المسائل لحاسد بعد حاسد إِلى وقتي هذا، ويستفتون عليَّ وأنا لا أشعر، فلما شعرتُ، أرسلت لجميع علماء الأزهر أنني أنا المقصود بهذه الأسئلة، وهي مفتراة عليَّ، فامتنع العلماء من الكتابة عليها»[2].

وقال أيضاً: «وأعرف جماعة من المتهوِّرين في الوقوع في أعراض الناس يعتقدون فيَّ سوء العقيدة بحكم تلك الإشاعة إلى وقتنا هذا، وما منهم أحدٌ اجتمع بي قط، ولا فاوضني في علم، ولا رآني وأنا أؤلِّف، ولا قامت عنده بذلك بيِّنة عادلة فالله تعالى يغفر لهم ويسامحهم، وقد بلغني عن شخص ممن ينسب إلى العلم صار يقول: ما هذه الأمور التي تواترت عن هذا الرجل ؟! وسمّاها متواترة مع أنَّ الدس والإشاعة لم يكن من سوى شخصين من أهل مصر خاصة، وهما معروفان بين أصحابنا لا ينبغي ذكرهما خوفاً من سبِّ الناس لهما، وقد ماتا، ودرجا إلى رحمة الله تعالى، فطالِع يا أخي كتبي

---

(١) مقدمة كتابه البحر المورود في المواثيق والعهود: ص٣٥.

(٢) المرجع السابق: ص٧٦٣.

وانتفع بما فيها من النصح ولا تصغ إلى قول حاسد، فإني حررتها بحمد الله على الكتاب والسنة قبل أن أضعها في الورق، **وأنا رجلٌ سُنِّيٌّ مُحَمَّديٌّ، وما أَلَّفتُ شيئاً حتى تبحرتُ في علوم الشريعة، وحررتُ موادها على مشايخ الإسلام كالشيخ زكريا الأنصاري، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف....»**[1].

ثُمَّ إنَّ الشَّيخ الشَّعرانِيَّ قد أعطى إذناً عامَّاً لكل مسلم قرأ شيئاً من تلك الأمور المفتراة عليه أن يَمسحها من الكتاب الذي يَجدها فيه، فيقول في ذلك:**«فمن ظَفَر مِمَّا كتب من نسخة ذلك العدو بشيء، فليضرب عليه، وليس في حِلٍّ أن يُضيف من ذلك إليّ»**[2].

وقد حاول أن يَحصل على تلك المسائل المدسوسة عليه ليتخلَّص منها برمَّتها، وينظِّف كتبه منها، لكنه لم ينجح في ذلك، فيقول:«هذا ولم أقابل أحداً من هؤلاء بنظير فعله إلى وقتي هذا،... وقد أرسلتُ لهؤلاء الحسدة الذين عندهم تلك المسائل المدسوسة ليطلعوني عليها؛ لأتبرَّأ منها على التعيين، فلم يعترف أحدٌ بِها فالله تعالى يغفر لهم ما فعلوا، وما أضمروه آمين، اللهم آمين»[3].

- **والسؤال الذي يطرح نفسه الآن إن كانت هذه الخرافات مِمَّا دُسَّ على الشعراني** رحمه الله **، فلماذا بقيت هذه المدسوسات موجودة إلى الآن في بعض كتبه ككتاب الطبقات الكبرى ؟** هذا السؤال يجيب عليه الشيخ عبد القادر أحمد عطا، ويبيِّن سبب بقاء ذلك فيقول:«الإجابة على هذا السؤال تُدين الصوفية أنفسهم قبل أن تدين خصومهم فالصوفية كما عرفتُهم من قريب لا يخرجون عن هذه الأصناف:

---

(١) تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر للإمام الشعراني: ص١٧.

(٢) مقدمة كتابه البحر المورود في المواثيق والعهود:ص٣٥.

(٣) لطائف المنن والأخلاق: ص٧٦٤.

١- صنف من الصالحين المحققين الأتقياء الأخفياء الهاربين من الشهرة، والمؤثِرين العمل الصامت في تربية المريدين ورعاية أحوالهم الروحية والنفسية في دقة ومنهجية بارعة، وهؤلاء لا يميلون إلى الكلام ولا إلى الكتابة، بل يعتبرون كتبهم هم مريديهم، ولا شيء وراء ذلك.

ومع إجلالنا لهذا الصنف من الرجال فإننا لسنا معهم في السكوت على هذه الأوهام دون تنبيه منشور ومطبوع على المسلمين ؛ لأنَّ الكلمة من هؤلاء الشيوخ الأجلاء أبلغ في العمل من آلاف الكلمات التي تصدر عن غيرهم من الناس.

٢- صنف آخر من الصالحين الأتقياء المحققين، ولكنهم لا يعملون في حقل التربية السلوكية، وإنما يعملون في حقل البحث والتأليف والتحقيق، ولكنهم يؤثرون السلامة بتسليم كل قول إلى مَن قاله، فلا شأن لهم بالنقد، وإنَّما هم مشغولون بنقد نفوسهم، ومراقبتها، وإذاعة ما أجمع عليه القوم دون ما اختلفوا فيه.

ومع احترامنا الكبير لهؤلاء الشيوخ كذلك فإننا لا نوافقهم على مسلكهم هذا، ولا ننتقصهم من أجله.

٣- قوم تصدَّوا لإرشاد السالكين على غير علم، ولا خبرة بالنفوس، ولكن على حسن النية و«الدروشة» والتواجد عند ذكر الأشياخ، والخوف من صدماتهم، وتسليم كل أحوالهم لهم حتى لو كانت كبائر وموبقات، فلا حرج عندهم على فضل الله حتى ولو كان الإنسان أعمى البصيرة، مضطرب السيرة.

وهؤلاء من أخطر ما خلق اللهُ على الإسلام وعلى المريدين، فهم يستنزلون الرضوان على كل من رُوي في الكتب أنه شيخ من أهل الله، ويُؤوِّلون ما ينسب إليهم من الكبائر تأويلاً فاسداً، وهم بحقٍ يُمثِّلون الفكر الصُّوفِيَّ المُنحَرِف الذي قاومه الشعراني بكلِّ ما أوتي من قوة وعزم.

مِن أجلِ هذا بقيت تلك الأوهام مسطورة في الكتب تحت تأثير الإهمال أو الخوف، وما كان الإهمال ولا الخوف من سنن الرسول ﷺ[1].

٤- وإننا لا ننسى أيضاً أن الذي ساعد على الدَّسِّ والتَّضليل، والافتراء عدم الطباعة الفنية، والمراقبة الشديدة في الماضي، كما هي عليه اليوم في عصرنا الحاضر من الطبع المنظَّم، ومن العقوبات القانونية لمن يتجرأ على طبع شيء من الكتب بغير إذن مؤلفها، بخلاف عصر النسْخ للكتب الخطية، فقد كان الدساسون والكذَّابون يروِّجون كتباً فيها ما فيها من الدَّجَل والكذب ما الله بُه عليم، ويُدخِلون على كتب العلماء، وخصوصاً الصوفية الدسائس والأباطيل[2].

وفي نهاية هذا المطلَب وبعد هذا الكلام كُلِّه أقول: الظاهر من كل هذا الكلام أن خصومه، وحُسَّاده من أدعياء التصوف، وبعض الفقهاء المتحجِّرين قد ملأوا الدنيا حوله حقداً وحسداً، وافتراء وكذباً وتضليلاً، لاسيما في كتبه المعروفة وأشهرها كتاب الطبقات الكبرى، وأن سلوك الإمام الشعراني وكتبه ودعوته كلها تنأى عن هذه الانحلالات الهادمة، وقد تبرأ منها ومِمَّن دَسَّها عليه، ولم يغفل عن التنبيه في غير موضع

---

(١) مقدمة كتاب: أسرار أركان الإسلام للشعراني للشيخ عبد القادر عطا: ص ١٧. ولكن يجدر القول بأن هذا الكلام لا ينبغي حمله على إطلاقه، بل إن الله تعالى قيض رجالاً سهروا على تنقية الكتب الإسلامية، وخاصة كتب الصوفية، مما علق بها من الأكاذيب والخرافات وبينوا المدسوس فيها من الصحيح، من أمثال: شيخ الأزهر المرحوم عبد الحليم محمود في الكثير من بحوثه ودراساته عن التصوف الإسلامي منها كتاب: **المدرسة الشاذلية** وغيره من سلسلة قضية التصوف، والشيخ طه عبد الباقي سرور في كتابه: **التصوف الإسلامي والإمام الشعراني**، والشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله في كتابه القيم: **حقائق عن التصوف**، والشيخ عبد القادر عطا في **تحقيقاته لكتب الصوفية عامة وكتب الإمام الشعراني خاصة**، والشيخ عبد الحفيظ القرني في كتابه: **عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر**، والشيخ الدكتور عبد الرحمن عميرة في **مقدمة تحقيقه لكتاب الميزان الكبرى**، وغير ذلك من المقالات التي نُشرَت له، وغيرهم الكثير جزاهم الله خيراً.

(٢) حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى: ص٥١٤.

من كتبه على أمر هؤلاء الدساسين، ولو قارن المُنْصِفُ بين كلام الشعراني رحمه الله الذي يعلن فيه تمسكه بالكتاب والسنة، وبين كلامه الموجود في الطبقات الكبرى لرأى تبايناً ظاهراً، ولظهر له كذب ما في الطبقات.

وأيضاً فإنه يصعب تصديق وجود هذه العبارات في كتابات شخص له كتابات متَّزنة في علوم القرآن، والحديث والفقه والأصول وغيرها، فهل يعقل أن يصل الرجل في الإتقان في علوم الشريعة لهذه الدرجة، ثم يكتب مثل هذه الخرافات والفسق والفجور.

والذي يظهر لي وينبغي أن يقال: إنَّ الدَّس والتزوير قد أخذا نصيباً وافراً من كتبه، ولابد من الاعتراف بأن ذلك قد حصل فيها مما يوجب على الإنسان الإنصاف في عدم نسبة هذه الشنائع لهذا الإمام الذي ما عرف عنه إلا التمسك الشديد بالكتاب والسنة، كما مر معنا في أثناء ترجمته، ومن ثناء العلماء عليه.

والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس

عقيدة الإمام الشعراني، وفيها المطالب التالية:

وفيه أربعة مطالب:

* **المطلب الأول**: ملخص اعتقاد الإمام الشَّعراني كما هو مثبَت في كتبه المعتمَدَة.
* **المطلب الثاني**: الإمام الشَّعراني والأشاعرة والماتريدية
* **المطلب الثالث**: موقف الإمام الشَّعراني من الآيات المتشابهة
* **المطلب الرَّابع**: موقف الإمام الشَّعراني من الحلول والاتحاد.

المطلَب الأول

ملخَّص اعتقاد الإمام الشعراني كما هو مثبَت في كتبه المعتمَدَة

يقول الإمامُ الشَّعرانِيُّ رحمه الله [1] في بيان عقيدته الَّتِي عاش عليها، ودَعى إليها، وتَبرَّأ مِمَّا سواها مِن معتقدات، وقد صرح بِهذه العقيدة في أكثر من كتاب من كتبه، بل إنَّ كتابَ (اليواقيت والجواهر) كلُّه شرحٌ لِفصول هذه العقيدة، كما هو واضح للقارئ فيه، ومَن أراد التَّوسُّع في شرحها، فلْيُراجِعْه، فإنَّ فيه الفائدة والنفع. يقول رحمه الله: «اعلم رحمَكَ الله يا أخي أنَّه ينبغي لكلِّ مؤمن أنْ يُصرِّحَ بعقيدته وينادي بِها على رُؤوسِ الأشْهاد، فإنْ كانت صحيحةً شَهدوا لَه بِها عند الله تعالى، وإن كانت غيْرَ ذلك بيَّنوا له فَسادَها لِيتوبَ منها،...فيا إخوانِي، ويا أحبابي رضي الله عنا وعنكم: أُشْهِدُكم أنِّي أُشْهِدُ اللهَ تعالى وأُشهِد ملائكتَه وأنبياءَه أنِّي أقول قولاً جازماً بِقَلْبِي: إنَّ اللهَ تعالى واحِدٌ لا ثانِيَ لَه، مُنَزَّهٌ عن الصَّاحبة والوَلَد، مَالِكٌ لا شَريكَ لَه [2]، مَلِك لا وَزيْرَ له، صانِعٌ لا مُدَبِّرَ معه، مَوجودٌ بِذاتِه من غير افتقار إلى موجِد يوجِده، بل كلُّ موجودٍ سواه مفتقِر إليه في وجوده [3]... وهو تعالى موجودٌ بنفسه لا افْتِتاحَ لِوجودِه، ولا نِهايةَ لِبقائه، بل وجودُهُ مطلَقٌ.

---

(١) هذه العقيد التي سيذكرها الإمام الشعراني هنا، قريبة جداً من العقيدة التي أثبتها الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتابه قواعد العقائد ص٥٠-٧٠.

(٢) يَدلُّ على ما ذُكِر من أمور قولُهُ تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقولُهُ تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ وقولُهُ في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

(٣) دَلَّت آيات القرآن الكريم على غناه تعالى عن العالَمِيْن، واحتياجِهم و فقرِهم إليه تعالى، وذلك كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا

قائمٌ بنفسِهِ ليس بِجوهَرٍ[1] فيقَدَّر له المْكان، ولا بِعَـرَضٍ[2] فيـستحيل عليـه البقـاء، ولا بِجسْم فيكون له الجْهَةُ والتِّلْقاء مُقدَّس عـن الجْهـات والأقطـار، مرئِـيٌّ بـالقلوب والأبصار[3]، استوى عـلى عرشـه كـما قالـه، وعـلى المعنـى الـذي أراده[4]..لـه الآخـرة والأولى[5] لا يَحُدُّه زمان، ولا يَحويه مكان، بل كان ولا مكان ولا زمان[6]، وهو الآن على ما عليه كان؛لأنه خَلَقَ التَّمكُّن والمْكان، وأنشأ الزَّمان، وقال: أنا الواحد الحْيُّ الـذي لا يؤوده حفظُ المْخلوقات[7].

قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ و قولـه في سـورة العنكبـوت:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقوله في سورة فاطر:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

(١) الجوهر هو: ما يقبل التحيُّز. الحدود الأنيقة للشيخ زكريا الأنصاري:ص٧١

(٢) العَرَض هو:الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محلٍّ يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحلُّه ويقوم به.ينظر: التعريفات:ص١٩٢، أو هو: ما لا يقوم بذاته بل بغيره. الحدود الأنيقة:ص٧١.

(٣) وقال تعالى في سورة القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال العلماء: تكون رؤية الله تعالى للمؤمنين في الدنيا بالقلوب، وفي الآخرة بالأبصار بلا كيف ولا انحصار في الرؤيتين، لقوله تعـالى في سـورة الأنعـام:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.ينظر: القواعد الكشفية: ص٢٧٥.

(٤) قـال تعـالى في سـورة الفرقـان:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾، وقال تعالى في سورة الرعد:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، وقال تعالى في سورة طه:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾.

(٥) وقال تعالى في سورة الليل:﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾.

(٦) أخرج البخاري في صحيحه، (٦٩٨٢)، وابن حبان في صـحيحه، (٦١٤٢) عـن عمـران بـن حـصين ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:«كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثُمَّ خَلَقَ السَّماوات والأرض».

(٧) يشير إلى قوله تعـالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

لا يُشبهُ شيءٌ من صِفاتِه صفاتِ المُحدَثات، تعالى اللهُ أنْ تَحلَّه الحَوادِث، أو أنْ يَحُلَّها، أو أن تكونَ قبله، أو أنْ يكون بعدها، بل يقال: كان الله ولا شيءَ معه، إذ القَبل والبَعد من صِيغ الزَّمان الذي أبدعه، فهو القيُّوم الذي لا يَنام، والقهار الذي لا يُرام ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

خَلَقَ اللهُ تعالى العرشَ، وأنشأ الكرسيَّ، وأوسعه الأرض والسماء(١)، اخْتَرع اللوحَ والقَلَم الأعلى، وأجراه كما يشاء بِعِلْمه في خَلْقه إلى يوم الفَصْل والقضاء.

أبدَعَ العالَمَ كُلَّه على غير مثالٍ سَبَق، خَلَقَ الخَلْقَ، وأخلَقَ(٢) ما خَلَق، أَنزَل الأرواحَ بالأشباح(٣) أمناً، وجَعَل هذه الأشباحَ المُنَزَّلة إليها الأرواحُ في الأرض خَلفاً، وسَخَّر لَها ما في السَّموات، وما في الأرض جَميعاً منه(٤)، فلا تَتحرَّك ذرَّة إلا به وعنه، خَلَقَ الكُلَّ من غَيْر حاجة إليه، ولا مُوجِبَ أوجَبَ ذلك عليه، لكنَّ عِلمَه سبق، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢) ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨) ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧)، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩) وكيف لا يعلم شيئاً هو خَلَقَه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، عَلِمَ الأشياء قبل وجودها، ثُمَّ أَوجَدَها على حَدِّ ما عَلِمَها، فلم يَزَلْ عالِماً بالأشياء، لَمْ يَتجدَّدْ له علمٌ عند تَجدُّد الإنشاء، بعلمه أَتْقنَ الأشياءَ وأحكَمَها، عِلِمَ الكُلِّيات على الإطلاق كما عِلِمَ الجُزئيَّات بإجْماعٍ مِن أهل النَّظَر والاتِّفاق، فهو عالِمُ الغيب والشهادة، فتعالى عما يشركون.

---

(١) وقال تعالى في سورة البقرة، آية (٥٥): ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

(٢) أي: أَبلى وأمات. ينظر: لسان العرب: ج١٠/ ٨٨.

(٣) الشَّبَحُ هو: ما بدا لَك شَخْصُهُ من الناس وغيرِهم من الخَلْق، يقال: شَبَحَ لنا أي مَثَلَ، والجَمْعُ أشباح وشُبُوح. ينظر: لسان العرب: ج٢/ ٤٩٤، تاج العروس: ج٦/ ٤٩٥.

(٤) وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فعّال لِمَا يريد فهو المْدبِّر للكائنات في عالم الأرض والسَّموات،...لا رادَّ لأمـره ولا معقِّب لِحُكْمه، يؤتِي المُلْكَ من يشاء، وينْزِع المُلْكَ مِمَّن يشاء، ويعزُّ مَن يشاء، ويُـذِلُّ مَـن يشاء، ويهدي مَن يشاء ويُضِلُّ مَن يشاء، ما شاء الله كان، ومـا لَمْ يَـشأْ لَمْ يَكُـنْ، فـالكفر والإيْمان، والطَّاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته.

ولم يَزَلْ سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً، والعالَم معدوم، ثم أَوجَدَ العـالَمَ من غير تَفكُّر ولا تَدبُّر عن جهلٍ فيعطيه التدبُّرُ والتَّفكُّر عِلمَ ما جَهِلَ، جَـلَّ وعـلا عـن ذلك، بل أَوجَدَه عن العِلْم السابق، وتعيين الإرادة الأزلية القاضية على العالَم بِمَا أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مُريدَ في الوجود على الْحقيقـة سـواه، إذ هـو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(التكوير: ٢٩) وأنَّه تعالى كما عَلِمَ فأَحْكَمَ، وأراد فَخصَّ، وقَدِرَ فأوجَدَ كذلك سَمع ورأى ما تَحرَّكَ أو سكن أو نطق في الورى مـن العالَمَ الأسفل والأعلى، لا يَحجِبُ سَمعَه البُعدُ فهو القريب، ولا يَحجب بـصَرَه القُـربُ فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوتَ المُماسَّة الْخَفيَّـة عنـد الَّلمـس، يـرى سبحانه السَّواد في الظَّلْماء، والْماءَ في الْماء، لا يَحجبـه الامتـزاج ولا الظُّلُـمات ولا النُّـورُ، وهو السَّميع البصير.

تكلَّم سبحانه وتعالى لا عن صَمْت مُتقدِّم، ولا سكون مُتوهَّم، بكـلامٍ قـديْمٍ أزليٍّ كسائر صفاته، من عِلْمه وإرادته وقدرته، كلَّم به موسى سماه التَّنْزيل والزَّبور والتَّـوراة والإنْجيل والفُرْقان، من غير تَشبيهٍ ولا تكييفٍ.

فكلامُه سبحانه وتعالى من غير لَهَاةٍ ولا لسان، كما أنَّ سَمعَه من غيْر أصمِخَة[1] ولا آذان، كما أنَّ بَصَرَه من غير حَدَقَة ولا أَجْفان، كما أنَّ إرادتَه من غَيْر قَلبٍ ولا جَنَان، كـما أنَّ عِلْمَه من غَيْر اضْطرارٍ ولا نَظَرٍ في بُرهان، كما أنَّ ذاتَه لا تَقبَلُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ.

---

(١) من الصِّماخ بالكَسْر، وهو ثُقبُ الأُذُنِ الْماضي إلى داخِل إلى الرأس، والجمْع أَصمِخَةٌ وصُمُخٌ وصَمَائخ ويقال: إنَّ الصِّماخ هو الأُذُنُ نَفْسُهَا. ينظر: لسان العرب:ج٣/ ٣٤، تاج العروس:ج٧/ ٢٩٣.

أكملَ صُنعَ العالَم وأبْدَعَه حين أَوجَده، إنْ أنْعمَ فنعَّمَ فذلك فَضلُه، وإنْ أَبْلى فَعذَّبَ فذلك عَدْلُه، لَم يتصرفْ في مُلْك غيرِه فيُنسَب إلى الجَور والحَيْف، ولا يَتوجَّه عليه لسواهُ حكمٌ فيَتَّصفَ بالجَزَع لذلك والخَوف، كل ما سواه فهو تحت سُلْطان قَهره، فهو مُلْهم نفوس المكلَّفين التَّقوى والفُجُور[1]، وهو المُتجاوِز عن سيئات من شاء من عباده هنا وفي يوم النُّشور.

وكما أشهدتُّ اللهَ وملائكته وجَميع خَلْقه وإيَّاكم على نفسي بالإيْمان بِمَن اصطفاه اللهُ واختارَه واجتباه من خَلْقه وهو سيِّدُنا ومولانا مُحمَّد ﷺ الذي أرسله إلى جَميع الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغ ﷺ ما أُنزِل من ربِّه إليه، وأدَّى أمانَتَه، ونَصَحَ أُمَّته، وَوَقَف في حَجَّة الوداع على مَن حَضَرَه من الأتباع فَخَطَب وذَكَّر، وخوَّف وحذَّر ووَعَدَ، وأَوعَدَ وأَمْطَرَ وأَرْعَد، وما خَصَّ بذلك التذكير أحداً دون أَحَد، ثم قال:«ألا هل بلَّغت»؟قالوا:بلَّغْتَ يا رسولَ الله، فقال ﷺ:«اللهمَّ فاشْهَد»[2].

وإنِّي مؤمن بِما جاء به ﷺ مِمَّا علمْتُ به، ومِمَّا لَمْ أعلمْ، فما جاء به وقَرَّر أنَّ المُوت عن أجل مُسمَّى عند الله إذا جاء لا يؤخَّر[3]، فأنا مؤمنٌ بِهذا إيْماناً لا ريب فيه ولا شَكَّ، كما آمنْتُ وأقرَرْتُ أنَّ السُّؤالَ فِي القبْر حَقٌّ، وأنَّ العَرْضَ على الله حَقٌّ وأنَّ الحوض حَقٌّ، وعذاب القبر حَقٌّ ونَصْبَ المْيزانِ حَقٌّ، وتطايُرَ الصُّحُفِ حَقٌّ، والصِّراطَ والجَنة حَقٌّ، والنار حَقٌّ، وأَنَّ فريقاً في الجنة وفريقاً في السَّعيْر حَقٌّ[4]، وكَرْبَ ذلك اليوم على

---

(١) قال تعالى في سورة الشمس: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٦٥٢) (٤١٤١)، ومسلم في صحيحه، (١٦٧٩) وغيرهما.

(٣) قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

(٤) قال تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾

طائفة حَقٌّ، وأخرى لا يَحزُنُهم الفزع الأكبر[1] حَقٌّ، وأنَّ شفاعةَ الأنبياءِ والملائكة وصالِحِي المُؤمنيْن حَقٌّ، وأنَّ شفاعة أرْحمِ الرَّاحِميْن حَقٌّ، وأنَّ جَماعةً من أهل الكبائر من المُؤمنين يَدخلون جهنَّم ثُمَّ يُخرَجون منها بالشَّفاعة حَقٌّ، وأنَّ التَّأبيد للمؤمنين في النَّعيم المُقيم حَقٌّ[2].

والتَّأبيدَ للكافرين والمنافقيْن في العذاب الأليم حَقٌّ[3]، وأنَّ كُلَّ ماجاءت به الكتب والرُّسُل من عند الله عُلِم أو جُهل حَقٌّ.

ونؤمن بأنَّ إيْمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه، ولا يَسْعد به لعدم قَبولِه، كإيْمان فرعون، ونَحْوِه مِمَّن آمَن وقد حضره المُوتُ، وعَايَن أَسبابَه؛ لأنَّه إيْمانٌ في غَيْر مَحَلِّ التَّكليف، فأشبهَ إيْمانَ أهلِ النَّار.

فهذه شهادتِي على نَفْسي أمَانةٌ عِندَ كُلِّ مَن وَصلَتْ إليه يؤدِّيها إذا سُئِلَها حيثما كان، وهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجَماعة إلى قيام السَّاعة، وهي بِحمْد الله عقيدُتنا عليها حَيينَا، وعليها نَموتُ، نَفَعَنا اللهُ تعالى بهذا الإيْمان، وثَبَّتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحَيَوان،

---

(١) قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

(٢) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، وقال في سورة التوبة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

(٣) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ وقال في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ وقال في سورة التوبة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾.

وأَحَلَّنا دارَ الكرامة والرِّضوان، وحَالَ بَينَنَا وبيْن دارٍ[1] سَرابِيلُ أهلها من قَطِرَانٍ وجَعَلَنا من العِصابَة الَّتِي تأخذ كتبَها بالأَيْمان، ومِمَّن انقَلَبَ عن الْحَوضِ وهو ريَّان، ورَجَّح له الْمِيزان، وثبت منه على الصراط القَدَمان، إنَّه الْمنعم الْحنَّان، آمين اللهم آمين.»[2]

الْمطلَب الثاني

الإمام الشَّعَرانِيُّ والأشاعرة والماتريدية

يَرى الإمامُ الشَّعرانِيُّ -كغيْرِه من العلماء[3]- أنَّ عقيدةَ الأشاعرة والْماتريديَّة هي

---

(١) هي دار جهنم نعوذ بالله تعالى منها، ومن أي عمل يقرِّبنا منها، وقد قال تعالى عنها وعن أهلها في سورة إبراهيم:﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

(٢) اليواقيت والجواهر:ج١/ ١٨-٢٢، القواعد الكشفية:ص٨٢-١٩٠، بتصرف يسير.

(٣) قال الإمام **القاضي عياض المالكي**- في كتابه ترتيب المدارك:ج٥/ ٢٤-٢٥دار مكتبة الحياة- عن الإمام الأشعري ومذهبه المعروف:«صنَّف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السُّنَّة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته، وقدم كلامه وقدرته قال: **تعلَّق بكتبه أهلُ السُّنَّة**، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه، لتعلُّم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسُمُّوا باسمه فعرفوا بذلك- يعني الأشاعرة -... **فأهل السنة من أهل المشرق والمغرب، بحججه يحتجون وعلى منهاجه يذهبون**، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه.»

- وقال الإمام **القاضي ابن فرحون المالكي** عنه بعد أن ذكر كلاماً قريباً من كلام القاضي عياض في كتابه الديباج المذهب:ص١٩٤-١٩٥ دار الكتب العلمية - بيروت:« صَنَّف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة، وناظر المعتزلة وظهر عليهم، ولأبي الحسن من التآليف المشهورة كتب كثيرة جداً **عليها معوَّل أهل السُّنَّة** ككتاب الموجز وكتاب التوحيد والقدر وكتاب الأصول الكبير وكتاب خلق الأفعال الكبير وكتاب الصفات وكتاب الاستطاعة وكتاب الرؤية... ومقالات الإسلاميين.. ومن وقف على تآليفه رأى أن الله تعالى أيده بتوفيقه.»

- وقال الإمام **التاج السبكي** رَحِمَهُ اللهُ في معيد النعم ومبيد النقم:« وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن

عقيدة السَّواد الأعظم من هذه الأمة وهي العقيدة التي تبنَّاها ودَافَعَ عنها كِبارُ أئمَّة الإسلام الذين مَلأَ عِلمُهم مَشارقَ الأرض ومَغاربَها، وأطْبقَ الناسُ على فَضلِهم وعلمهم ودينهم، بل هم جَهابِذة علماء أهل السُّنَّة الأفاضل، الذين وَقَفُوا- وما يزالون - في وجه طُغيان الفِرَق المُنحَرِفة عن جادة الحَقِّ والصَّواب، فهم طوائف المُحدِّثين والفُقهاء والمُفسِّرين من الأئمَّة الأعلام، كالإمام الباقلاني والإمام ابن فُورَك والإمام البَاجي والإمام أبي القاسم القُشيْري والإمامِ البيهقي والإمام الجُوينِيِّ والإمام الغزالِيِّ والإمام الفخر الرَّازي والإمام ابن عساكر والإمام ابن الصلاح والإمام العز ابن عبد

الأشعري رحمه الله ..... وبالجملة: **عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي** التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول، ورضوها عقيدة.»

- وقال الإمام المحقق **جلال الدين المحلي** في البدر الطالع:ج٢/ ٤٩١ شارحاً لكلام الإمام التاج السبكي:« ونرى أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وهو من ذرية أبي موسى الأشعري الصحابي إمام في السنة أي الطريقة المعتقدة مقدم فيها على غيره..**ولا التفاتَ لِمَن تكلَّم فيه بِما هو بريءٌ منه.**»

- وقال الإمام المالكي الكبير أحمد القروي **المعروف بِحَلولَو** في كتابه الضياء اللامع:ج٢/ ٦٢٤:« وأما كون الإمام أبي الحسن الأشعري إماماً في السنة مقدماً، فهذا لا خفاء فيه عند الأئمة، وكفى بذلك انتساب أئمة أهل السنة إليه، فيقال: الأشعريون....»

- وقال الإمام المحقق ابن عابدين الحنفي في حاشيته:ج١/ ٤٩ما نصه:قوله:« (عن معتقدنا) إي عما نعتقده من غير المسائل الفرعية مما يجب اعتقاده على كل مكلف بلا تقليد لأحد، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتريدية، وهم متوافقون إلا في مسائل يسيره أرجعها بعضهم إلى الخلاف اللفظي كما بين في محله».

- وهو ما قاله كثير من الأئمة كالإمام الأصولي الكبير بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع:ج٢/ ٣٥٥-٣٥٦، والإمام الحافظ ولي الدين العراقي في الغيث الهامع:ص٧٩٣، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في غاية الوصول:ص١٦٠ . وقال الإمام الحافظ الكبير جلال الدين السيوطي في شرح الكوكب الساطع:ج٢/ ٨٧٣:

والأشعري الحُجَّة المُعظَّم إمامُنا في السُّنَّة المُقدَّم ومحصلة الكلام كما قال الإمام الزركشي في تشنيف المسامع:ج٢/ ٣٥٥:« **لا التفات لما نسبه إليه الكرَّامية والحشْوية، فالقوم أعداء له وخصوم، وهو إما مُفْتَعلٌ، أولم يفهموا مراده**، وقد بَيَّن ذلك ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري».

السلام والإمام النَّووي والإمام تقي الدين السُّبكي وولده الإمام تاج الدين السُّبكي، والإمام الحافظ العراقي وولده الإمام ولي الدين العراقي والإمام النَّسَفي والإمام سعد الدين التَّفتازانِي والإمام ابن حَجَر العسقلاني والإمام بدر الدين العَيني والإمام جلال الدِّين المُحَلِّي والإمام الكمال بن الهمام والإمام جلال الدين السُّيوطي والإمام الشيخ زكريا الأنصاري، والإمام شهاب الدين القسطلاني والإمام شهاب الدين الرملي وولده الإمام شمس الدين الرملي والإمام الخطيب الشربيني، والإمام الفقيه المحدِّث ابن حجر الهيتمي غيرهم الكثير، رحمهم الله تعالى[1]. فهؤلاء نموذجاً حياً عن كبار أئمة الإسلام الذين انتشرت علومهم في خدمة الإسلام، وتراجِمُهم ومؤلَّفاتُهم تدلُّ على مذهبهم الاعتقادي لِمن أراد أن يَقِفَ عليه.

وليس الأشاعرة والماتريدية-كما يصوِّر البعض - فرقة مباينة لأهل السنة والجماعة، بل هم القلب النابض واللسان الناطق المدافع عن أهل السُّنَّة بل عن الدِّين الإسلامي كله، ولم يكن مذهب الإمام الأشعري مذهباً بدعيّاً مُحدَثاً، مُخالفاً ومغايراً لِما كان عليه السَّلف الصَّالِح ﷺ، بل كان مذهبه مقرِّراً لواقع السَّلَف، مُناضِلاً عمَّا كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ، فعاش على هذا الأمر، ومات عليه، وجاء من بعده أصحابه وتلاميذه الأفذاذ الذين هم بِحقٍّ منارات للعلم والمعرفة في هذه الأمة، فكانوا كإمامهم مدافعين عن الدِّين وعن سُنَّة سيِّد المرسلين ﷺ، وهذا ما شهد به كبار علماء الأمة.

- قال الإمام **التَّاج السُّبكيُّ** رحمه الله: «اعلمْ أنَّ أبا الحَسَن لم يَبتدِع رأياً، ولم يُنشِئ مذهباً، وإنَّما هو مُقرِّر لِمذاهب السَّلَف، مُناضِلٌ عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالانتساب إليه إنَّما هو باعتبار أنَّه عَقَدَ على طريق السلف نطاقاً وَتَمسَّك به، وأقام

(١) ينظر مفاهيم يجب أن تصحح للسيد محمد علوي المالكي: ص١١٩، البيان لفضيلة مفتي مصر الشيخ علي جمعة: ص١٣١-١٣٧.

الحُجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالكُ سبيلَه في الدلائل يُسمَّى أشعرياً، ولقد قلتُ مرَّةً للشيخ الإمام - يعني والده - رحمه الله :أنا أعجب من الحافظ بن عساكر في عَدِّه طوائفَ من أتباع الشيخ، ولم يذكر إلا نزراً يسيراً وعدداً قليلاً، ولو في الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة فإنَّهم برأي أبي الحسن يدينون اللهَ تعالى، فقال إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرتُ من أنَّ غالبَ علماء المذاهب معه، وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته- يعني الإمام الأشعري- اجتمع عليها الشافعيَّة والمالكيَّة والحنفية وفضلاء الحنابلة، وَوافَقَه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري»[1].

- وقد بَعث مُحدِّثُ زمانه وشيخ السُّنَّة في وقته **الإمامُ البيهقيُّ** رحمه الله، برسالة كتبها إلى عميد المُلْك، يبيِّن فيها مذهبَ الإمام الأشعري ومكانته في العلم والدين، وهي رسالة طويلة، أكتفي بنقل شيء منها، فيقول:«وكأنه خفي عليه- أي عميد المُلْك- أدام الله عِزَّه حالَ شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمة الله عليه ورضوانه، وما يرجع إليه من شرف الأصل، وكُبْر المحلِّ في العلم والفضل، **وكثرة الأصحاب من الحنفية والمالكية والشافعية** الذين رغبوا في علم الأصول، وأحبوا معرفة دلائل العقول...، وفضائل الشيخ أبي الحسن ومناقبه أكثر من أن يمكن ذكرُها في هذه الرسالة؛ لما في الإطالة من خشية الملالة، لكنِّي أذكر بمشيئة الله تعالى من شرفه بآبائه وأجداده، وفضله بعلمه وحسن اعتقاده، وكبر محلِّه بكثرة أصحابه ما يَحمله على الذب عنه، وعن أتباعه، ثم أخذ البيهقي في ذكر ترجمة الشيخ وذكر نسبه، **ثم قال**: إلى أن بلغت النَّوبة **إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري** رحمه الله، **فلم يُحدث في دين الله حَدَثاً، ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويلَ**

(١) طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي:ج٣/ ٣٦٥.

الصَّحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين (العقيدة)، فنصرها بزيادة شرحٍ وتبيين، وأنَّ ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه وثبوته ما لم يدلُّ عليه أهل السنة والجماعة، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة والأوزاعي وغيره من أهل الشام، ومالك والشافعي من أهل الحرمين، ومن نَحا نَحوهما من أهل الحجاز وغيرها من سائر البلاد، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث والليث بن سعد وغيره وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري إمامَي أهل الآثار وحُفَّاظ السنن التي عليها مدار الشرع إلى **أن قال: وصار رأساً في العلم من أهل السنة في قديم الدهر وحديثه**»[1].

- وهذا الكلام المتقدِّم عن الأئمة في حقِّ الإمام الأشعري ومذهبه، هو نفس ما **قاله الإمام الشَّعرانِيُّ**، وتبنَّاه في كتبه العقائديَّة، ونادى به في دروسه العلميَّة، وهذه العبارات هي من إحدى مقالاته في ذلك، فيقول[2]: «ثُمَّ لا يَخفى عليك يا أخي أن مدارَ جَميعِ عقائد أهل السُّنَّة والجماعة يدور على كلام قطبين: أحدهما الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي، والثاني الشيخ الإمام أبو الحسن الأشعري، فكل من تبعهما أو أحدَهما اهتدى، وسَلم من الزَّيغِ والفساد في عقيدته، وقد ظهر أتباع الماتريدي فيما وراء نَهر سيحون، وظهر أتباع الشيخ أبي الحسن في أكثر البلاد كخراسان والعراق والشام ومصر والمغرب، وغير ذلك من البلاد الإسلامية، فلذلك صار غالب الناس إذا

---

(١) هذه الرسالة الهامَّة أوردها بسنده إلى الإمام البيهقي الإمامُ التاج السُّبكيُّ في طبقاته الكبرى: ج٣/ ٣٩٥-٤٠٠ وانظر ترجمة الإمام الأشعري بالتفصيل في: وفيات الأعيان للإمام ابن خلكان: ج٣/ ٢٨٤-٢٨٥، سير أعلام النبلاء: ج١٥/ ٨٥-٩٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٣/ ٣٤٧-٤٤٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج١/ ١١٣-١١٤.

(٢) في القواعد الكشفية: ص٩٠-٩١، واليواقيت والجواهر: ج١/ ١٦-١٧.

يقولون إذا مدحوا عالماً: فلان عقيدته أشعرية صحيحة، وليس مرادهم نفيَ صحة عقيدة غير الأشعري من الماتريدية وغيرهم من أئمة الكلام السابقين على الإمام الأشعري».

المطلب الثالث

موقف الإمام الشَّعراني من الآيات المتشابهة

جاء في كتاب الله تعالى، وفي السُّنَّة الصَّحيحة، نُصوصٌ تَنسِبُ إلى الله تعالى صفاتٍ يوهِم ظاهرُها تشبيهَ الحقِّ تبارك وتعالى في هذه الصِّفات بِخلقِه، كالنُّصوص التي تُثبِت أنَّ لله تعالى يَداً، أو أنَّ لله تعالى وجهاً، أو أنَّ لله تعالى عيناً وأعيناً، أو أنَّ لله قَدَماً أو أصابع، أو أنَّ الله تعالى استوى على العرش، ونَحو ذلك، وقد لَخَّص الإمامُ الشعراني القولَ في هذه المسألة، وبيَّن ما هو الأسلم فيها، و**مُلخَّص قوله**: أنه يَجب الإيمان بِهذه الآيات على مراد الله تعالى، مع وجوب تَنْزيهه تعالى عن ظاهر تلك الألفاظ التي تُوهِم تشبيهه بالمخلوق، وهذا **هو الأسلم**، وذهب إلى أنَّ التأويل بشكل عام لا يوافق الأدبَ مع الله تعالى، ولكنْ إذا دعتْ للتأويل ضرورةٌ أو مصلحةٌ فإنَّ للعلماء أن يُؤوِّلوا، من غير جَزمٍ بأنَّ هذا هو مُرادُ الله تعالى، **ثم بيَّن أصل المسألة وعَرَضَ أقوالَ العلماء فيها، فقال:**

«إنَّ أهل الله تعالى قاطبة أجْمعوا على أنه يجب الإيمان بآيات الصِّفات وأخبارها على حدِّ ما يعلمه الله تعالى، وعلى حَدِّ ما تقبله ذاتُه المقدَّسة، وما يليق بجلاله، ولا يَجوز لنا ردُّ شيء من ذلك، ولا تكييفه، ولا نسبة ذلك إلى الحق جل وعلا على حدِّ ما ننسبه إلينا؛ وذلك لأننا جاهلون بذاته تعالى في هذه الدار، وفي الآخرة لا ندري كيف يكون الحال وكل من ردَّ شيئاً أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله، فقد كفر بما جاء من عند الله، وكل مَن آمن ببعض ذلك وكفر ببعضٍ فقد كفر بذلك، وكل من آمن بذلك، ولكن

شبَّه في نسبة ذلك إليه مثل نسبته إلينا، أو توهَّم ذلك، أو خطر على باله، أو تـصوّره، أو جعل ذلك ممكناً... فقد جهل وما كفر»[1].

ثم قال:«اختلفوا هل يؤوَّل المشكل أم يفوَّض عِلمُ معناه المراد إلى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا؟فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل، ثم إنَّهم اتَّفقوا سلفاً وخلفاً على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجمَلاً، قالوا:**والتفويض أسلم، والتأويل إلى الخطأ أقرب، مع ما في التأويل من فوات كمال الإيمان بآيات الصفات ؛لأنَّ الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي أنزله، لا بما أولناه بعقولنا، فقد لا يكون ذلك التأويل الذي أوَّلناه يرضاه الله تعالى،.....**

ثم قال: **قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته[2]: وإنما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبِّهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقَّله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يُتعقَّل من صفات الخلق»[3].** ثم قال بعد ذلك:«فاعلم ذلك يا أخي، وانسب آياتِ الصِّفات وأخبارها إلى الله على علم الله فيها، أو بتأويل يقبله لسانُ العَرَب فيها، لكنْ لا يَخفى نَقصُ إيْمان المُؤوِّل من حيث إنَّ الله تعالى أَمَره أنْ يُؤمِنَ بِما أنزله الله، لا بِما أَوَّلَه عَقلُه فقد لا يكون الأمر الذي أَوَّلَه يرضاه الله تعالى»[4]. ففي كلامه هذا يقرر: أنَّ الأصلَ هو التَّفويض مع التَّنْزيه، وأنَّ التَّأويلَ جائزٌ من أهله بشرطه الآتي ذِكْرُه، وهو **مذهب الأشاعرة، كما جاء في جوهرة التوحيد للعلامة إبراهيم اللقاني المالكي:**

---

(١) القواعد الكشفية:ص٢٤١-٢٤٢.

(٢) وهي حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع في الأصول، المسماة بالدرر اللوامع.

(٣) ينظر: غاية الوصول للشيخ زكريا الأنصاري:ص١٥٤.

(٤) القواعد الكشفية:ص٢٤٨.

وكلُّ نصٍّ أوهَمَ التَّشبيها أوِّلْه أو فَوِّضْ ورُمْ تنْزيها[1]

ثُمَّ إنَّه أعطى العُذْرَ للعلماء الذين أوَّلوا هذه الآيات - ولم يُخرجْهم من أهل السُّنَّة، ولم يصنِّفْهم مع الفرق الضَّالَّة، ولَم ينعتْهم بنعوت التَّبديع والتَّفسيق لِمجرَّد أنَّهم أوَّلوا - بأنَّ تأويلهم كان للحاجة والمصلحة، فقال:

«وما أوَّل العلماء بالله تعالى إلا عند الضَّرورة[2]»، كخوفهم على العامَّة الذين لم يَصِلوا إلى فهم التنْزيه من محظورٍ، كتشبيهٍ وتَمثيل، ودليلُهم في ذلك قولُ الحقِّ تعالى في حديث مُسلِم[3] وغيْرِه: «إنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُّ فلم تَعُدْني» «يا ابن آدم استطعمْتُك فلم تُطْعمْني» إلى آخر النَّسَق، فإن الحق تعالى لَمَّا رأى عبده توقَّفَ في ذلك، وقال: يا رب كيف أعودك وأنتَ ربُّ العالَمين ؟ وكيف أُطعمك وأنتَ ربُّ العالَمِيْن؟ أوَّل له ذلك وقال: «أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تَعُدْه، أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده » «أما علمتَ أن عبدي فلاناً جاع، أما إنك لو أطعمته

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم: ج٣/ ١٩، إيضاح الدليل للإمام ابن جماعة: ص١١٦ إلى آخر الكتاب، مع مقدمته القيمة للشيخ وهبي غاوجي الألباني، إتحاف الكائنات للسبكي: ص٢٥، اليواقيت والجواهر للشعراني: ج١/ ١٨٥-١٩٠، مرقاة المفاتيح للإمام ملا علي القاري: ج١/ ٢٦٠ شرح الصاوي على جوهرة التوحيد: ص٢١٥-٢٢٠، عون المريد بشرح جوهرة التوحيد للأستاذين عبد الكريم تتان ومحمد الكيلاني: ج١/ ٤٤٢-٤٩٠، العقيدة الإسلامية وأسسها للعلامة الراحل الدكتور عبد الرحمن حبنكة: ص٢١٦-٢٢١.

(٢) وهذا قول كثير من علماء أهل السنة، من أن التأويل إنما هو عند الحاجة والضرورة، **منهم الإمام النووي**، في المجموع: ج١/ ٢٥ والإمام **بدر الدين بن جماعة** المُتوفَّى سنة (٧٢٨هـ) في كتابه إيضاح الدليل: ص١١٨-١٢٢، ومنهم أيضاً الشيخ **محيي الدين بن عربي**، كما نقل عنه الإمام الشعراني في اليواقيت الجواهر: ج١/ ١٨٦، فقال: «فكلامه مائل إلى التسليم، وعدم التأويل إلا إن خفنا على إنسان وقوعه في محظور إذا لم نؤول، فيتعين حينئذ التأويل.» وغيرهم من العلماء، **وانظر** مقدمة الشيخ وهبي الألباني على كتاب إيضاح الدليل: ص٦١-١٠٩ فإنه جزاه الله خيراً أفاد وأجاد.

(٣) صحيح مسلم: ج٤/ ١٩٩٠، (٢٥٦٩).

لوجدت ذلك عندي». فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين»[1].

وقال أيضاً **في بيان اضطرار العلماء للتَّأويل هذا الكلام**: وما نُقل عن أحدِهم أنَّه أوَّل شيئاً من آيات الصِّفات وأخبارها فإنَّما ذلك رحْمةً بالقاصرين، وتَسكيناً لاضطراب عقولهم حين تَحيَّرت في الجَمْع بين الأدلَّة الواردة في التَّنْزيه، والواردة فيها يَقرُب من التَّشبيه، ولو أنَّهم كانوا يَستحضرون أنَّ حقيقةَ الحْقِّ جَلَّ وعلا مُخالفةٌ لسائر الحقائق ما أَحوجوا أَحَداً من الأئمة إلى التَّأويل، بل كان أحدهم يؤمن بِجميع ما وَرَدَ من آيات الصِّفات وأخبارها على عِلم الله تعالى فيه، ولو لَم يتعقَّله، فإنَّ الحقَّ تعالى لم يُكلِّف أحَداً من عباده بِمعرفة كُنه الصِّفات، وإنَّما كلَّفهم بالإيمان بها فقط، ومن هنا قال أهل السُّنَّة والجْماعة: كل ما خَطَر ببالك فالله بِخلاف ذلك..، وسَمعتُ مولانا شيخَ الإسلام زكريا رَحِمَهُ الله يقول: من تَوقَّف في إيْمانه في آيات الصِّفات وأخبارها على التَّأويل فَاتَه كمالُ الإيْمان بآيات الصِّفات، فإنَّ الْحقَّ تعالى لم يُكلِّفْه إلا بالإيْمان بِعيْن ما أنزل لا بتأويله بعقله، فقد يكون ذلك التَّأويل مِمَّا لا يرضاه الله..... اللهمَّ إلا أن يؤوِّل أحدهم شيئاً منها بِمصرَف شرعيٍّ لِمَن رَأى عِندَه ضَعفَ إيْمان، فَمثل ذلك لا حَرَجَ عليه في التَّأويل بل قد يَجب»[2].

وهذا الكلام قريب جِدّاً من كلام الإمام الْمُجمع على جلالته وفضله وعلمه الشيخ مُحيي الدين النووي رضي الله عنه فقد قال[3] بعد أن ذكر مذهبي العلماء في التَّأويل، وأن طريق السَّلف أسلم[4]:«إذ لا يُطالَب الإنسان بالْخَوض في ذلك، فإذا اعتقد التَّنْزيه فلا حاجة

---

(١) القواعد الكشفية:ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) ميزان العقائد الشعراني للإمام الشعراني: ق١/ ب، وهو مخطوط يسر الله طبعه بعونه وكرمه.

(٣) في مقدمة المجموع:ج١/ ٢٥.

(٤) **قال الإمام النووي** رضي الله عنه في شرح صحيح مسلم:ج٣/ ١٩:« اعلم أنَّ لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

إلى الْخوض في ذلك والْمخاطرة فيما لا ضرورة، بلا حاجة إليه، فإنْ دعتْ الحاجة إلى التَّأويل لِردِّ مُبتَدعٍ ونحوه تأولوا حينئذ، وعلى هذا يُحمل ما جاء عن العلماء في هذا والله أعلم».

الْمطلَب الرَّابع

موقف الإمام الشَّعراني من الحلول والاتِّحاد

إنَّ فكرة الْحُلول والاتِّحاد أو ما يُسَمَّى بوحدة الوجود، فكرة إلحادية قديمة، عريقة في العبادات الهندية والديانات البوذية، وخلاصتها التي تُقرِّبُها إلى العقول، أنَّ أصحابَها انقسموا إلى فريقين:

فريقٌ يرى أن الله- تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً- روحاً، ويرى العالَمَ جِسماً لذلك الرُّوح، وأن الإنسان إذا سَما وتطهَّر، ارتفع فالتصق بالرُّوحِ - التي هي على زعمهم وكفرهم الله- ففنَي فيها، فذاق السعادة الكبرى، وظفر بالخلود الدائم.

أحدهما:وهو مذهب معظم السَّلف أو كلُّهم أنَّه لا يُتكَلَّم في معناها، بل يقولون:يَجب علينا أنْ نؤمنَ بها، ونعتقد لها معنى يليق بِجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أنَّ الله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وأنَّه منَزَّه عن التَّجسُّم والانتقال والتحيُّز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، **وهذا القول هو مذهب جَماعة من المتكلِّمين واختاره جماعة من محققيهم، وهو أسلم.**

والقول الثاني:وهو مذهب معظم المتكلِّمين أنَّها تُتأوَّل على ما يليق بِها على حسب مواقعها، وإنَّما يسوغ تأويلها لِمن كان من أهله، بأن يكون عارفاً بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم...»

- **وقال أيضاً في نفس الكتاب**:ج٦/ ٣٦، بعد أن ذكر حديث النُّزول:« وفي هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء:أحدهما: وهو مذهب جُمهور السَّلف وبعض الْمتكلِّمين أنَّه يؤمن بأنَّها حقٌّ على ما يليق بالله تعالى، وأنَّ ظاهرها المتعارَف في حقِّنا غير مراد، ولا يُتكلَّم في تأويلها، مع اعتقاد تنْزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني: مذهب أكثر الْمتكلِّمين **وجَماعات من السَّلَف**، وهو مَحكيٌّ هنا عن مالك والأوزاعي، أنَّها تُتَأوَّل على ما يليق بها بِحسب مواطنها.» وانظر أيضاً المجموع:ج١/ ٢٥ من أن التأويل إنما هو عند الحاجة، وقد تقدم.

وفريقٌ آخر يرى أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله، فكل شيء في زعمهم وكفرهم هو الله، والله هو كل شيء، والموجودات صُوره، وهو يَتعدَّد بِتعدُّد الصُّور تَعدُّداً حقيقياً واقعياً في نفس الأمر.

تلك هي فكرتُهم في وحدة الوجود، وهي سَفْسطَةٌ لا يقبَلُها منطقٌ سليمٌ، ولا عقلٌ ولا شرعٌ، فهي تذهب بالشرائع كافة، وتنال من الكمال والجلال الواجب لله سبحانه وتعالى، وتُبطِلُ الجزاءَ والعقابَ والجَنَّة والنَّارَ، والحياة الأُخرويَّة، كما أنَّها تُبطل الحُدودُ بين الخالِق والمُخلوقَ؛ لأنَّها تَجعلهما شيئاً واحداً.[1]

وهذه الفكرة الخطيرة، والإفك الأكبر، واللغو الإلحادي الفاجر، - الذي أُلصِقَ ظلماً وعدواناً برجالات التصوف الكبار وهم منه براء -[2] حاربه العلماءُ مِن مُحدِّثين ومُتكلِّمين وفقهاء وصوفية، وحذَّروا منه ومن قائله أشد التحذير، ومن بين هؤلاء العلماء **الإمامُ الشَّعَرانِيُّ**، وذلك في أكثر كتبه، وفي أكثر من مناسبة، بل إنه وصف هذه الفكرة وقائلها بأشنع الأوصاف وأقبحها، وهذه بعض النصوص عنه التي تثبت ذلك:

قال: «لا حُلول ولا اتِّحاد، إذ القول بذلك يؤدِّي أنَّه- تعالى- في أجواف السِّباع والحَشَرات والوحوش، وتعالى الله عن ذلك علوَّاً كبيراً»[3].

وقال أيضاً: «ولَعَمري إذا كان عُبَّاد الأوثان لم يتجرَّؤوا على أن يَجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣) فكيف يُظَنُّ بأولياء الله

---

(١) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني للدكتور طه عبد الباقي سرور: ص١١١-١١٢ بتصرف يسير، المدرسة الشاذلية: ص٢٤٨-٢٥٩.

(٢) قال شيخ الأزهر العلامة الراحل الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله بعد بحث تَخصُّصيٍّ طويل في هذه المسألة في كتابه المدرسة الشاذلية: ص٢٥١: «ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقيين- ومنهم ابن العربي والحلاج بوحدة الوجود- وما كان للصُّوفيَّة، وهم الذُّروة من المؤمنين أن يقولوا - وحاشاهم - بوحدة الوجود».

(٣) اليواقيت والجواهر للشعراني: ج١/ ١١٥.

تعالى أنَّهُم يدَّعون الاتِّحادَ بالحقِّ على حَدٍّ ما تتعقَّلُه العقـول الـضعيفة، هـذا كالمُحـال في حقهم ﷺ، إذ ما من وليٍّ إلا وهو يعلم أنَّ حقيقته تعالى مخالفـة لـسائر الحقـائق، وأنَّها خارجة عن جميع معلومات الخلائق؛ لأنَّ الله بكل شيء مُحيط، **قـال**: وسـمعت سـيدي **علياً الخواص** رحمه الله يقول: لا يجوز أن يقال إنه تعالى في كـل مكـان، كـما تقولـه المعتزلـة والقدرية، محتجِّـين بنحـو قولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (الأنعام: ٣) **لإيهامه أن يحلَّ بذاته في ذلك المكان**»[١].

وقال أيضاً: «**اعلمْ يا أخي** أنَّ اللهَ تعالى واحدٌ لا شريكَ له، ومقامُ الواحد يتعالى أن يَحِلَّ فيه شيء، أو يَحِلَّ هو في شيء أو يتَّحِدَ بشيءٍ، ولَمَّا أحدث اللهُ تعـالى العـالَمَ لم يَحـدث بابتداعه في ذاته حادِثٌ؛ إذْ ليس هو مَحَلاً للحـوادث، فـلا تَحُلُّـه الحـوادث، ولا يَحُلُّهـا، **ويقال لِمَن قال: أنا الله**: إن كنت صادقاً، فادفَعْ الموتَ أوشيئاً من الآفـات عـن نفـسك أو أَطْلِقْ بولَك إذا حُبسَ، أو أَطْلِع لنا النيل، أو أنـزل لنـا المطـر مـستقلاً مـن غـير سـؤالٍ لربِّك، فإنه تندحض حجَّتُه، ويعرِف أنَّ جميعَ ما فَهِمَه طوالَ عُمُرِه مـن كـلام العـارفين فَهمٌ سَقيم»[٢].

وقـال أيـضاً في كتابـه لطـائف المـنن والأخـلاق: «وبعـضهم رأى أنَّ كـلَّ شيءٍ في الوجود هـو الله، وأنَّ عـينَ هـذا الوجـود الحـادث هـو عـين الله مـن الجـماد والنبـات والعقارب والحَيَّات، والجانّ والإنسان، والملك والشيطان، ويجعلون الخـالق هـو عـين المخلوق من خسيس ونفيس ومرجوم وملعون حتى إبليس، وهذا كلام لا يرضاه أهل الجنون، ولا مَن كان في حُبِّه مجنون، **والذي أقوله**: إن إبليس لو ظَهَرَ، ونُسِبَ إليـه هـذا المُعتَقَد لتبرَّأ منه، واستحى مِن الله تعالى، وإن كان هو الـذي يُلقِـي إلى نفوسـهم ذلـك،

---

(١) اليواقيت والجواهر للشعراني: ج١/ ١٢٠.

(٢) القواعد الكشفية للشعراني: ص١٩٢.

وقد حكيت لسيدي علي الخواص بعض صفات هؤلاء الذين يقولون هذا القول، **فقال**:هؤلاء زنادقة، وهم أنجس الطوائف؛ لأنهم لا يرون حساباً، ولا عقاباً ولا جنة ولا ناراً ولا حلالاً ولا حراماً ولا آخرة، ولا لهم دين يرجعون إليه، ولا معتَقَد يجتمعون عليه، وهم أخسُّ مِن أنْ يُذكَروا؛ لأنَّهم خالفوا المعقولات والمنقولات والمعاني وسائرَ الأديان التي جاءت بِها الرسل عن الله تعالى، ولا يُعلَم أحدٌ من طوائف الكفار اعتَقدَ اعتقادَ هؤلاء، فإنَّ طائفةَ النَّصارى قالت:المسيح ابن الله، وكفَّرهم القوم الآخرون، وطائفةً من اليهود قالت: عزير ابن الله، وكفَّرهم القوم الآخرون، فلمْ يَجعلوا الوجود عين الله تعالى».

ثُمَّ قام بنقل عدَّة نصوص مُهمَّة عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله في هذه المسألة، متبنِّياً لها، وراضٍ عنها وأنقل هنا - إن شاء الله - بعضاً من تلك النصوص، للإنصاف وتبيين الحقائق.

قال الإمام الشَّعَراني:«وقد صرَّح الشيخ محيي الدين بن العربي بِمنع الحلول والاتحاد في نحو مئة موضع من الفتوحات فقال[1]:لا يجوز لعارف، ولو بلغ أقصى مراتب التقريب أن يقول: أنا الله، بل حاشا العارف من هذا القول حاشاه، بل الواجب عليه أن يقول: أنا العبد الذليل في المَسير والمُقيل».

قال الإمام الشَّعَراني:«وقال- الشيخ محيي الدين- في باب الأسرار[2]:من قال بالحلول فهو مَعلول، وهو صاحب مرضٍ لا يزول، ومن فَصلَ بينك وبينه، فقد أثبت عينك وعينه...ولم يَقُل بالاتِّحاد إلا أهلُ الإلحاد.... لو حَلَّ بالحادث القديمُ، لصحَّ قولُ أهل التجسيم، القديمُ لا يحلُّ ولا يكون محَلاً.. أنتَ أنتَ، وهوَ هوَ... **فلا تقل**: أنا هو،

(١) أي الشيخ محيي الدين.

(٢) ينظر: الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين:ج٨/ ١٣٩، ١٢٩، ١٠٦، ١٧١.

وتغالط، فإنك لو كنتَ هو لأحطتَ بـه، ولم تَجهلْـه، ولا شـيئاً مـن مـصنوعاته ونَـراكَ جَاهلاً بالله ومصنوعاته».

إذاً: تلك هي كلمة الإمام الشَّعَراني[1] من وحدة الوجود ومن القائلين بهـا، وإنهـا لِمَن أقوى الكلـمات الإسـلامية الدافعـة والهادمـة لتلـك النظريـة الوثنيـة، وهـي أعـلى الكلمات الإسلامية العلمية المستنكرة لها، لِهَول ما تنطوي عليه من كفريَّات وإباحيَّـات ملعونة مرجومة، حتى إنَّه يقول كما تقدَّم: **إن إبليس نفسه، وهو ملهم الكفـر والفجـور لا يَجرؤ على تلك المْقولة الْملعونة**[2].

(١) هذه الكلمة والنظرة للإمام الشعراني عن فكرة وحدة الوجود لا تمثِّله وحـده فقـط، وإنَّـما تُمَثِّـل كـلَّ علـماء الصوفية الحقيقيِّين ابتداءً بالإمام أبي القاسم الجنيد والإمام أبي القاسم القشيري والإمامين الـسيدين عبـد القـادر الجيلاني وأحمد الرفاعي ﷺ، والإمام حجة الإسلام الغزالي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري والإمام الـشعراني، وانتهاء بآخر صوفي سار على هذا المنهج الأخلاقي الشريف من غير تحريف ولا تبديل أو تغيير، وهذا واضح لكل منصف اطلع على أقوالهم وكتبهم المعتمدة النظيفة من الدس والتزوير.

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني:ص١١٦.

المبحث السادس
وفاة الإمام الشَّعَراني وآراء العلماء فيه

وفاته:

مكث الإمام الشعراني رحمه الله في زاويته التي أسسها على تقوى من الله ورضوان، يَعمُرُها بالذكر والعلم والعبادة، يقصده آلاف من المريدين، والفقراء، والطلاب، والعلماء، والأمراء، والأعيان يأخذون حَظَّهم الوافر من العلم والعبادة، ويَستروِحون نسائمَ القرب من الله والتحبُّب إليه، وهو لا يَفتُر عن العبادة والدَّعوة إلى الله تعالى، والإصلاح بين الناس، والقيام بنصرة المظلومين، حتى حانت وفاته، بعد أن أصيب بالفالج، وبقي مريضاً به ثلاثة وثلاثين يوماً، إلى أن توفي في يوم الاثنين بعد العصر ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وتسعمئة من هجرة النبي ﷺ وحُمِل في اليوم التالي على أعناق الرجال، إلى الجامع الأزهر في مَشهد حافل جداً من العلماء، والفقهاء، والأمراء، والفقراء، حيث صَلَّوا عليه هناك، ثم دفن بِجوار زاويته[1] في المَدفَن الذي أنشأه أحد تلاميذه الذين أعجبوا به كثيراً وأحبوه، وتأثروا بمبادئه، وهو الأمير حسن بك الصَّنجق[2].

آراء العلماء فيه: فقد أثنى عليه الكثير من العلماء والمؤرخين وأصحاب الطبقات، وغيرهم، ثناء عاطراً يدلُّ دلالة واضحة على المكانة العالية له عندهم، سواء مِمَّن عاصروه، أو من الذين جاؤوا بعده ودرسوا سيرة حياته وقرؤوا شيئاً عن أخلاقه وعلومه، وأنقل هنا - بعون الله وتوفيقه - بعضاً من ثناء العلماء عليه، ومنهم:

---

(١) ينظر: الكواكب الدرية:ج٣/ ٧٢، تذكرة الألباب: ص٧٦١، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) ينظر: تذكرة الألباب: ص٧٦١، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: ص٢٠٢ - ٢٠٣.

١ - **الإمام عبد الرؤوف المناوي رحمه الله الذي قال عنه:**

«شيخنا، الإمام العامل، والهمام الكامل، العابد الزاهد، الفقيه، المحدث، الصوفي المربي المسلك من ذرية الإمام محمد بن الحنفية، ولد ببلده، ونشأ بها، ومات أبوه، وهو طفل ومع ذلك ظهرت فيه علامة النجابة، ومَخايِل الرِّياسَة والولاية...وحُبِّبَ إليه الْحديثُ، فلزم الاشتغالَ به، والأخذ عن أهله ومع ذلك لم يكن عنده جُمود المُحدِّثين ولا لُدُونَة النَّقَلَة بل هو فقيه النَّظَر، صوفِيُّ الْخَبَر، له دُرْبَةٌ بأقوال السلف، ومذاهب الخلف..وكان مواظباً على السُّنة، مُجانِباً للبدعة، مبالغاً في الورع، مؤثراً لذي الفاقة على نفسه، حتى بِملبوسه، متحمِّلاً للأذى موزِّعاً أوقاتُه على العبادة، ما بين تصنيف، وتسليك، وإفادة، وكان عظيم الْهيبة، وافر الْجاه والْحُرمة، يأتي إلى بابه أكابر الأمراء فتارة يجتمعون به، وتارة لا...ولم يزل قائماً على ذلك، معظَّماً في صدور الصُّدور، مبجَّلاً في عيون الأعيان بالْخير والْحُبور، إلى أنْ نَقَلَه اللهُ تعالى إلى دار كرامته في سنة ثلاث وسبعين وتسعمئة»[١].

٢ -**الإمام المحدِّث المؤرِّخ نَجم الدين الغزِّي** رحمه الله، قال عنه:«الشيخ العالم العارف الشَّعَراني نسبة إلى قرية أبي شَعَرَة المصري الشَّافعي الصُّوفي.. كان رحمه الله من آيات الله تعالى في العلم، والتصوف والتأليف، له طبقات الأولياء ثلاث والعهود والسنن، وغير ذلك وكتبه **كلُّها نافعة**، وقد دلَّت كتبه على أنه اجتمع بكثير من العلماء والأولياء والصالحين.»[٢]

٣- **وقال عنه الشيخ عبد الحي الكتاني** رحمه الله:«هو الإمام، الفقيه، المحدث، الصوفي، العارف، المسلِّك، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني»[٣].

---

(١) الكواكب الدرية: ج٣/ ٦٩ و٧٢.

(٢) الكواكب السائرة للغزي: ٣/ ١٧٦

(٣) فهرس الفهارس: ج٢/ ١٠٧٩.

٤- وكثيراً ما كان يثني عليه ويصفه بأوصاف التبجيل، والاحترام من معرفة وولاية وغيرهما، الإمامُ المفسر شهاب الدين الألوسي رحمه الله عندما ينقل له كلاماً في تفسيره، ومنها ما قاله عنه في معرض كلامه عن التصوف، واستشهاده بكلام الشعراني:«وقال العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني عليه الرحمة في كتابه المسمى بالدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة ما لفظه: **وأما زبدة علم التصوف الذي وضع القومُ فيه رسائلهم فهو نتيجة العمل بالكتاب والسُّنَّة**»[1].

٥- ومن ثناء علمائنا المعاصرين من ذوي العلم والاختصاص والفضل، ثناءُ فضيلة شيخ الأزهر الراحل **الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود** رحمه الله، **الذي لَخَّص الدورَ العلميَّ الكبير للإمام الشَّعَراني بِهذه العبارات الموجزة، التي أختم بها هذا المبحث، قال** رحمه الله:

«إنَّه كان عالِماً مستنيراً بكلِّ ما تَحمله هذه الكلمة من معانٍ، فَهَالَه أن تَتضارَبَ آراءُ الفقهاء فيما بينهم، فحاوَلَ أن يضعَ بتآليفه المتعددة، وآرائه الثاقبة منهجاً صحيحاً يُوفِّق فيه بين هذه الآراء المتضاربة والمذاهب المختلفة حتى يُبدِّدَ ما عَلِقَ بالأذهان من شبهات واختلافات، وكان سَبَّاقاً في هذا الميدان، وتآليفُه الكثيرة هي التي تشهد بذلك»[2].

---

(١) روح المعاني للإمام الألوسي:ج١٥/ ٣٣٠ وينظر:الدرر المنثورة للإمام الشعراني:ص ١٠١

(٢) من كلامه في تقديمه لكتاب عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر : ص٧.



المبحث السابع

التعريف بالكتاب المحقق

ويشمل على ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول**: عنوان الكتاب، ونسبته إلى الإمام الشعراني

* **المطلب الثاني**: زمن تأليف الكتاب، ومَن ناسخه، وفي أي سنة نُسخ.

* **المطلب الثالث**: النسخة المعتمدة في التحقيق

المْطلب الأول

عنوان الكتاب ونسبته إلى الإمام الشعراني

عنوان الكتاب: «مُختصر عقيدة الإمام البيهقي» وقد أُثبِت هذا العنوان على الصفحة الأولى من المخطوط، مَنسوباً إلى الإمام عبد الوهاب الشعراني، والعبارة المكتوبة هي: «مختصر عقيدة الإمام البيهقي، تأليف القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ، ونفعنا به والمسلمين آمين».

وأما نسبته إلى الإمام الشعراني: فيمكن إثبات ذلك من خلال الأمور التالية:

أ- التصريح بذكر اسم الكتاب وبنسبته إلى مؤلفه الإمام الشعراني على صفحة غلاف المخطوط، كما مَرَّ.

ب- تصريح الإمام الشعراني بتأليفه هذا الكتاب في مقدمته، فقال: «يقول مؤلِّفُهُ العبدُ الفقير إلى عفوِ الله عبدُ الوهَّاب بنُ أحمد الشَّعَراني عفا اللهُ عنه: هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التي رواها الإمامُ أحمدُ البيهقيُّ بسنده في كتابه المسمَّى بالاعتقاد، وانتقيتُها منه رجاءَ نفْع الإخوان بها، فإنَّ الهِمَمَ قد قَصُرت عن مطالعة المطوَّلات»[1].

وقال خاتمته: «انتهت العقيدة على يَدِ مؤلِّفها، وكاتِبها فقيرِ رحْمة ربِّه عبدِ الوهَّاب ابنُ أحمد الشَّعَرانِيُّ الشَّافعيُّ الأنصاريُّ، - عفا الله عنه -، في ثالث المُحَرَّم سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، حامداً، مصلِّياً، مستغفِراً».

وتصريحه هذا بنسبة الكتاب له كافٍ في التحقق من نسبته إليه، ولو لم يذكر ذلك أحدٌ من العلماء الذين ترجموا له.

ج- تصريح العلماء بأن هذا الكتاب من مؤلفات الإمام الشعراني، منهم الشيخ

(١) مقدمة مختصر عقيدة الإمام البيهقي: ق١/ أ.

محيي الدين أبي الأنس المليجي الشافعي[1] وهو من أدرى الناس بمؤلفات الإمام الشعراني[2]؛ وقد عدَّ هذا الكتاب من مؤلَّفاته[3] مع العلم بأنه ناسخه، كما هو مثبَت في نهاية هذا المخطوط.

د- إحالة الإمام الشعراني في هذا الكتاب على بعض من كتبه المعروفة، ككتاب اليواقيت والجواهر، منها قوله: «وقد بسطْنا الكلامَ على هذه المسألة في كتابنا المسمى باليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر، فراجعه إن شئتَ»[4].

المطلب الثاني

زمن تأليف الكتاب ومَن ناسخه وفي أي سنة نُسخ

إنَّ زمن تأليف هذا الكتاب، جليٌّ معيَّنٌ لا إبْهام فيه، ولا التباس، فقد ذكر الإمام الشعراني ذلك في آخر الكتاب، فقال:

«انتهت العقيدة على يَدِ مؤلِّفها، وكاتِبها فقيْرِ رحْمة ربِّه عبدِ الوهَّاب بنُ أحمد الشَّعَرانِيُّ الشَّافعيُّ الأنصاريُّ - عفا الله عنه - في ثالث المُحَرَّم سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، حامداً، مصلِّياً، مستغفِراً». أي قبل وفاته رحمه الله بعشرين سنة.

---

(١) في تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب: ص٨٢.

(٢) لارتباطه بأسرة الإمام الشعراني ارتباطاً وثيقاً، فقد أخذ عن أحفاد الشعراني، منهم أبي الأمداد شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة: (١٠٦٥هـ) وولده أبي الصلاح عبد الحليم بن يحيى بن عبد الرحمن ابن الشيخ الشعراني المتوفى سنة: (١٠٧٣هـ)، بالإضافة إلى أنه له عدة مؤلفات عن الإمام الشعراني منها كتاب السر الرباني في طريقة القطب الشعراني، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، (١١٢٨ تاريخ تيمور)، وكتاب تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب.

(٣) في تذكرة أولي الألباب: ص٨٢.

(٤) مختصر عقيدة الإمام البيهقي: ق٨/ أ.

وأما ناسخه، فجاء اسمه مصرَّحاً به مثبَتاً في نهاية المخطوط بِهذه العبارة: «وكان الفراغَ من كتابتها على يد الفقير الفاني مُحيي الدِّين المُليجي[1] الشَّافعي، الشَّعرانِي، العبَّاسي، عفا الله تعالى عنه والمسلمين أجمعين، في يوم الأربعاء، ثامن شهر جمادى الآخرة من شهور سنة تسع وثمانين وألف من الهجرة النبوية، على صاحِبها أفضل الصلاة والسلام».

وأما تاريخ نسخه فواضحة في كلام الناسخ رَحِمَهُ اللهُ وذلك في عام (١٠٨٩هـ).

المُطلب الثالث

النسخ المعتمدة في التحقيق

بعد البحث والتنقيب في دور الكتب والمخطوطات لم أجد لهذا الكتاب سوى نسخة وحيدة، تعتبر النسخة الأم وهي موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (٦٥٥ مجاميع طلعت) وعدد أوراقها سبع وعشرون ورقة وكل صفحة فيها سبعة وعشرون سطراً، وهي نسخة تامَّة أنيقة، مكتوبة بخط جميل مقروء، لا نقص فيها، ولا

---

(١) هو العالم الصالح محمد محيي الدين بن عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ شرف الدين المليجي الشافعي، الأشعري، الشعراني طريقةً، المصري، ولد تقريباً سنة: (١٠٥٠هـ)، ارتبط - على ما يبدو - بعلاقة مصاهرة مع بعض السادة من الأسرة الشعرانية كما يُفهَم من كلام السيد عبد الحي الكتاني، وارتبط أيضاً معهم بعلاقة علمية صوفية، فقد أخذ عن أحفاد الإمام الشعراني، أبي الأمداد شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة: (١٠٦٥هـ) وولده أبي الصلاح عبد الحليم بن يحيى بن عبد الرحمن ابن الشيخ الشعراني المتوفى سنة: (١٠٧٣هـ)، وأخذ أيضاً عن والده الشيخ عبد الرحمن المليجي والشمس محمد بن قاسم البقري الأنصاري، وشيخ الحجاز حسن بن علي العجيمي المكي، وأخذ والده عن أبيه عبد الرحمن عن الإمام الشعراني رَحِمَهُ اللهُ ، له عدة مؤلفات منها كتاب السر الرباني في طريقة القطب الشعراني، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، (١١٢٨ تاريخ تيمور)، وكتاب مناقب الإمام الشعراني، وكتاب سرور القلب وقرة العيون في معرفة الآداب في الظهور والبطون، وكتاب إطلاق اللسان بالتحدّث بنعم الله والإحسان، توفي رَحِمَهُ اللهُ ، بعد (١١١٣هـ). ينظر: فهرس الفهارس للسيد عبد الحي الكتاني: ج٢/ ١٠٥١-١٠٥٢، معجم المؤلفين: ج٣/ ٣٩١، مؤسسة الرسالة.

آثار للرطوبة أو الأرضة عليها، وقد كتبتْ عناوين الأبواب والنقول عن العلماء كالبيهقي وغيره باللون الأحمر.

ونظراً لعدم توفر نسخ أخرى للمخطوط، فإني قارنت بين هذا الكتاب الذي هو مختصر لكتاب الاعتقاد، وبين أصله الذي هو كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله؛ لأنَّ غالبه نقلٌ عن الإمام البيهقي، فإذا استشكلتْ عليَّ عبارةٌ هنا رجعت إليه للاستيضاح، وإذا كان هناك فرق بيّنتُه في الْحواشي، مع العلم أنه لم يكن هناك فرق كبير بين الأصل والمختَصَر، وأغلب هذا الفرق أن الإمام الشعراني رحمه الله كان يتصرف- أحياناً- في عبارات الإمام البيهقي من حيث التقديم والتأخير والاختصار، فنجده مثلاً يقول: «قال الإمام البيهقي: روينا عن...» وهذه العبارة يعني بها الإمامُ الشعراني أنه قد اختصر إسنادَ البيهقي إلى الْمرويِّ عنه؛ لأنَّ البيهقي يذكره بإسناده المتصل، وهذا واضح لمن تصفح هذا الكتاب، وقارَنَ بينه وبين كتاب الاعتقاد، وهناك فروق أخرى ناتجة عن سهو وتصحيف بيَّنتها، ونبَّهتُ عليها في مواضعها.



المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

المتوفى سنة ٩٧٢ هـ

دراسة وتحقيق

يوسف رضوان الكود



النَّصُّ المحقَّق

[مقدِّمَــةُ الإِمَامِ عَبدِ الوهَّابِ الشَّعَرَانِيِّ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أحمَدُ اللهَ ربَّ العالمين وأصلِّي وأسلِّم على سيِّدنا محمَّد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلِهم وصحْبِهم أجمعين، وبعد: يقول مؤلِّفُهُ العبدُ الفقير إلى عفوِ الله عبدُ الوهَّاب بنُ أحمد الشَّعَراني عفا اللهُ عنه:

هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التي رَوَاها الإمامُ أحمدُ البيهقيُّ بسنده في كتابه المْسمَّى بالاعتقاد، وانتقيتُها منه رجاءَ نفْع الإخوان بها، فإنَّ الهِمَمَ قد قَصُرت عن مطالعة المطوَّلات، فأقول وبالله التوفيق:

باب أول ما يجب على العبد معرفته والإقرار به

قال الله جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمد ﷺ:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد:١٩)، وقال له ولأمته:﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡ ﴾ (الأنفال:٤٠)، وقال:﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (هود:١٤)، **قال البيهقي**:«فوجب بالآيات الأُوَل معرفة الله تعالى وعلمِه، ووجب بالآية الأخيرة الاعترافُ به والشهادةُ له بما عرَّفه ودَلَّت السُّنَّة على مثل ما دلَّ عليه الكتابُ»[1].

١ - **قال**: ورَوينا عن جابر وأبي هريرة ﷺ، قالا: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا

---

(١) انظر الاعتقاد للإمام البيهقي:ص٣٥، دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٤٠١، ط:١/ تحقيق: أحمد عصام الكاتب.

بحقِّها، وحسابُهم على الله»[1](*)، وزاد في رواية: «ويؤمنوا بي وبما جئتُ به»[2].

٢- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ عن أبي هريرة ﷺ قال: أعطاني رسول الله ﷺ نعليه، وقال: «اذهب بنعليَّ هاتين، فَمَن لَقيتَ مِن وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّرْه بالجنَّة»[3].

٣- وروى الحاكم وغيرُه عن عثمان ﷺ قال سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[4].

٤- وروى البيهقيُّ مرفوعاً: « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة.»[5]

« ففي الحديث الأوَّل بيان ما يَجب على المُدعوِّ أن يأتي به حتى يُحقَنَ به دمُهُ، وفي الحديث الثاني بيان ما يجب عليه من الجمع بين معرفة القلب والإقرار باللسان مع الإمكان حتى يصح إيمانه، وفي الخبر الثالث والرابع شرط الوفاة على الإيمان حتى يستحقَّ دخولَ الجِنان بوعد الله تعالى، وبالله التوفيق»[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٥) (١٣٣٥)، ومسلم في صحيحه: (٢١)، (٢٢)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٥ من حديث عبد الله بن عمر، وأبي هريرة ﷺ.

(*) نهاية: ق١/ أ.

(٢) هذه الزيادة أخرجها مسلم في صحيحه: (٢١)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٣١)، وابن حبان في صحيحه (٤٥٤٣)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣٦.

(٤) أخرجه مسلم: (٢٦)، وابن حبان في صحيحه: (٢٠١)، والحاكم في المستدرك: (١٢٩٨)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (١٠٨٦٦)، أحمد في مسنده: (٢٢٠٨٧)، وأبو داود في سننه: (٣١١٦)، والبزار في مسنده: (٢٦٢٦)والطبراني في الكبير: (٢٢١)، والحاكم في المستدرك: (١٢٩٩)وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. » والبيهقي في شعب الإيمان: (٩٤)، وكلهم من حديث سيدنا معاذ بن جبل ﷺ مرفوعاً، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إسناده صحيح على شرط مسلم. » خلاصة الأحكام للإمام النووي:ج٢/ ٩٢٤.

(٦) الاعتقاد للإمام البيهقي:ص٣٧.

- وروى الإمام سُنَيد[1] في تفسيره عن قتادة[2] أنه قال: «لا يصح توحيد عبد حتى يعتقد أن عيسى عبد الله ورسوله فإن بني إسرائيل قد اختلفوا فيه حين رفع، فقال فرقة: «هو الله كان هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء». وهم اليعقوبية[3] وقالت النَّسطورية[4]: «هو ابن الله». وقالت ملوكُ بني إسرائيل[5]

---

(١) هو: الإمام الحافظ محدِّث الثَّغْر أبو علي حسين بن داود، ولقبه سنيد المصيصي، المحتسب صاحب التفسير الكبير، حدَّث عن حمَّاد بن زيد وجعفر بن سليمان الضَّبعي وعبد الله بن المبارك، وعدد كثير، حدث عنه أبو بكر الأثرم وأبو زرعة الرازي وأحمد بن زهير، وخلق كثير، قال عنه أبو حاتم: «صدوق»، وقال أبو داود: «لم يكن بذاك»، توفي رحمه الله سنة: (٢٢٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ج١٠/ ٦٢٨ شذرات الذهب: ج٢/ ٥٩.

(٢) هو: قتادة ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطَّاب، السَّدوسيّ، البَصْري، حافظ عصره، قدوة المفسرين والمحدثين، ولد سنة: (٦٠هـ) روى عن عبد الله بن سَرجَس، وأنس بن مالك رضي الله عنه وسعيد بن المسيب وأبي العالية الرياحي وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري، غيرهم، روى عنه أئمة الإسلام أيوب السختياني ومعمر والأوزاعي وشعبة وغيرهم، كان من أوعية العلم وممن يضرَب به المثل في قوة الحفظ، رأساً في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها، توفي سنة: (١١٧أو١١٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ج٥/ ٢٦٩-٢٨٣.

(٣) **اليعقوبية**: فرقة من فرق النصارى، تنسب إلى يعقوب البرذعاني، وكان راهباً بالقسطنطينية، وهم فرقة نافرت العقل والحسَّ منافرة وحشية تامة، وعقيدتهم في السيد المسيح أنه هو الله نفسه وأنه- تعالى عن عظيم كفرهم- مات وصُلِب وقُتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبِّر، ثم قام ورجع كما كان، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به، وقد أخبرنا الله تعالى عن كفرهم هذا، فقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧). انظر: الفِصَل في المِلَل لابن حزم: ج١/ ٤٨، المِلَل والنِّحَل للإمام الشهرستاني: ج١/ ٢٢٥.

(٤) **النَّسطورية**: فرقة من فرق النصارى، تنسب إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان الخليفة المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وكان بطريركاً بالقسطنطينية، وعقيدتهم كعقيد الملكانية سواء بسواء، إلا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإلهَ، وإنَّما وَلَدتْ الإنسانَ، وأن الله تعالى لم يَلِد الإنسانَ، وإنما ولد الإله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. انظر: الفِصَل في المِلَل: ج١/ ٤٨، المِلَل والنِّحَل: ج١/ ٢٢٤-٢٢٨

(٥) وتسمى بالملكانية، وهي مذهب جميع ملوك النصارى وعامتهم، وقولهم هو: إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أسباب أب وابن وروح القدس كلها لم تزل، وإن عيسى عليه السلام إلهٌ تام كلُّه وإنسان تامٌّ كله ليس أحدهما غير الآخر،

:«هو ثالث ثلاثة» فقال المسلمون: هو عبدُ الله ورسوله، وروحه من كلمته»[1].

باب ذكر بعض ما يُستَدَلُّ به على حُدوث العالَم وأن مُحْدِثَـه ومدبِّره إلهٌ واحِدٌ قديمٌ لا شـريكَ له ولا شـبيه

٥- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ عن أبي الضُّحى[2] في قوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (البقرة: ١٦٣)، قال: لما نزلت هذه الآية عجب المشركون، وقالوا:إن محمَّداً يقول:إن إلهكم إله واحد، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله ﷻ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[3][4] (آل عمران:١٩٠)(*)،

وأن الإنسان منه هو الذي صُلِب وقُتِل وأن الإله منه لم ينله شيءٌ من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنّهما معاً شيءٌ واحدٌ (ابن الله) تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وعن عقيدتهم والتي قبلَها أخبرنا الله تبارك وتعالى، فقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (المائدة: ٧٣) انظر:الفِصَل في الملل:ج١/ ٤٨، الملل والنحل:ج١/ ٢٢٢-٢٢٤.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٦٢٣٣) عن عبد الله بن عباس ﷺ موقوفاً، وابن جرير الطبري في تفسيره:ج١٦/ ٨٥ وذكره القرطبي في تفسيره:ج١١/ ١٠٦، وابن كثير في تفسيره:ج٣/ ١٢٢، والسُّيوطيُّ في الدر المنثور:ج٥/ ٥١٠من قول قتادة رَحِمَهُ اللهُ .

(٢) هو مسلم بن صبيح الهمداني مولاهم أبو الضحى الكوفي العطار، من ثقات التابعين، المكثرين من الحديث، روى عن النعمان بن بشير وابن عباس وابن عمر ﷺ ومسروق بن الأجدع وعلقمة بن قيس وغيرهم وأرسلَ عن علي بن أبي طالب ﷺ، روى عنه الأعمش وعطاء بن السائب وأبو حصين الأسدي وعاصم بن بهدلة وغيرهم، قال عنه الإمامان يحيى بن معين وأبو زرعة وغيرهما: ثقة، توفي رَحِمَهُ اللهُ في خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ. انظر: تهذيب الكمال:ج٢٧/ ٥٢٠-٥٢١، تهذيب التهذيب:ج١٠/ ١١٩.

(٣) هكذا في الأصل، والموجود في كتاب الاعتقاد، أنها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٣-١٦٤) وهو الصحيح كما في الحاشية التالية والله أعلم.

(٤) أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٦١)، والإمام الطبري في تفسيره:ج٢/ ٦١-٦٢، والإمام البيهقي في شعب الإيمان: (١٠٤) ولم أجده عند الحاكم، والله أعلم.

(*) نهاية: ق١/ ب.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٣- ١٦٤)[1] [....[2]] ثُمَّ أمرنا في آية أخرى بالنَّظَر فيهما، فقال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١).

يعني والله أعلم من الآيات الواضحات والدلالات النيرات، وهذا لأنَّكَ إذا تأمَّلتَ هيئَةَ هذا العالَمِ ببصركَ، واعتبرْتَها بِفكرك، وجدتَه كالبيت المَبنِيِّ المُعَدِّ فيه جَميع ما يَحتاج إليه سَاكنُهُ من آلةٍ وعَتادٍ، فالسَّماءُ مَرفوعةٌ كالسَّقف، والأرض مبسوطة كالبساط والنُّجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصُنُوف الحيوان مسخَّرةٌ للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمملَّك للبيت المخوَّل ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أنَّ العالَمَ مخلوقٌ بتدبيرٍ وتقديرٍ ونظام، وأنَّ له صانِعاً حَكيماً تامّ القدرة، بالغَ الحكمة[3].

---

(١) قال الإمام البيهقي رحمه الله: «فذكر الله ﷻ خلق السماوات بما فيها من الشمس، والقمر والنجوم المسخرات، وذكر خلق الأرض بما فيها من البحار، والأنهار، والجبال والمعادن، وذكر اختلاف الليل والنهار وأخذ أحدهما من الآخر، وذكر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وذكر ما أنزل من السماء من المطر الذي فيه حياة البلاد، وبه وبما وضع الله في الليل والنهار من تعاقب الحَرّ والبرد يتمُّ رزق العباد والبهائم والدواب، وذكر ما بث في الأرض من كل دابة مختلفة الصور والأجساد مختلفة الألسنة والألوان، وذكر تصريف الرياح والسَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض، وما فيهما من منافع الحيوانات، وما في جميع ذلك من الآيات البينات لقوم يعقلون.» الاعتقاد: ص٣٨-٣٩.

(٢) في الأصل: هنا طمس.

(٣) الاعتقاد: ص٣٩.

- **قال البيهقيُّ**:«وهذا فيما قرأته من كتاب **أبي سليمان الْخطابِيّ**[1] رَحِمَهُ اللهُ»[2]. قال: وروينا عن **ابن السَّماك**[3] أنه قال مرة لرجل:«تبارك من خلقك فجعلك تُبصرُ بِشحْمٍ، وتَسمعُ بِعظْمٍ، وتَتكلَّم بِلحمٍ». انتهى[4]

- **قال البيهقيُّ**:«ثم إنا رأينا أشياء متضادّةً من شأنِها التَّنافُر والتَّبايُن والتَّفاسُد مَجموعَة في بَدَنِ الإنسان وأبدان سائر الحيوان وهي الحرارة والبرودة، والرُّطوبة واليُبُوسة، فقلنا: إن جامعاً جَمَعَها وقَهَرَها على الاجتماع وأقامها بلطفه، ولولا ذلك لتنافرت ولتفاسدت، ولو جاز أن تَجتمع المتضادَّات، والمتنافرات، وتتقاوم من غير جامع يجمعها لجاز أن يجتمع الماء والنَّار، ويتقاوما من ذاتهما من غير جامع يجمعهما ومقيم يقيمهما، وهذا محال لا يتوهم، فثبت أن اجتماعها إنما كان بجامعٍ قَهرها على الاجتماع والالتئام، وهو الله الواحد القهار، وقد حكي عن الشَّافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه احتج

---

(١) هو: حَمَد بن محمد بن إبراهيم بن خَطَّاب، البُسْتي، الخَطَّابِيّ، الإمام العلامة الحافظ اللغوي، أبو سليمان، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، سمع من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، ومن إسماعيل الصفار وطبقته ببغداد، وروى أيضاً عن أبي عمرو بن السَّماك وغيره، أخذ الفقه الشافعي عن الإمامين القَفَّال الشَّاشي وابن أبي هريرة ونظرائهما، حدَّث عنه الإمامَان الحاكم، وأبو حامد الإسفراييني وغيرهما، من مؤلفاته:كتاب أعلام السنن في شرح البخاري، وكتاب معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله وغيرها، توفي رَحِمَهُ اللهُ في مدينة بُست قُرب كابل سنة:(٣٨٨هـ).انظر:وفيات الأعيان:ج٢/ ٢١٤-٢١٥، سير أعلام النبلاء:ج١٧/ ٢٣-٢٧.

(٢) الاعتقاد: ص٣٩.

(٣) هو: عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقَّاق ابن السَّماك، أبو عمرو، الشيخ الإمام المحدِّث المكثِر الصَّادق، مسند العراق حدَّث عن البَغوي وغيرِه، وحدَّثَ عنه الدارقطني وابن شاهين وابن منده والحاكم وغيرهم، وكتب المصنفات الطوال بخطه وكان من الثقات الأثبات، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة:(٣٤٤هـ)وشيَّعه نحو خمسين ألفاً وصلَّى عليه ابنُه محمَّدٌ.انظر:سير أعلام النبلاء:ج١٥/ ٤٤٤-٤٤٥.

(٤) الاعتقاد:ص٤٢.

بقريب من هذا المعنى حين سأله المريسي(*) عن دلائل التوحيد في مجلس الرَّشيد»[1][2]. ثم يعلم أن صانعَ العالَم لا يُشْبه شيئاً من العالَم[3]؛ لأنَّه لو أشْبَه شيئاً من المُحْدَثات بِجهة من

(*) نهاية: ق٣/ أ. والمريسي هو: بِشْر بن غِيَاث بن أبي كريمة العدوي، مولاهم البغدادي، المَرِيسي، أبو عبد الرحمن، من موالي آل زيد بن الخطاب ﷺ، المتكلِّم المناظر البارع، كان من كبار الفقهاء، فقد أخذ عن القاضي أبي يوسف وروى عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة غلبت عليه عقيدة الاعتزال، فتجرَّد إلى القول بخلق القرآن والدعوة إليه، حتى كان عَينَ الجهمية في عصره وعالمهم، فمقتَه أهلُ العلم، نسأل الله العافية، له عدة تصانيف منها: كتابٌ في التوحيد وكتاب الإرجاء وكتاب الرد على الخوارج وغيرها، مات سنة: (٢١٨هـ) وقد قارب الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء: ج١٠/ ١٩٩-٢٠٢.

(١) الاعتقاد: ص٤٢.

(٢) قال الإمام البيهقيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد بَيَّن اللهُ تعالى في كتابه العزيز تحوُّلَ أنفسنا من حالة إلى حالة وتغيُّرَها؛ ليُستَدَلَّ بذلك على خالقها ومحوِّلِها، فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٣-١٤) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٥) فالإنسان إذا فكَّر في نفسه رآها مدبَّرة، وعلى أحوال شتَّى مصرَّفة، كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم لحماً وعظماً، فيَعلَم أنَّه لم يَنقُل نفسَه من حال النَّقص إلى حال الكمال؛ لأنه لا يقدر أن يُحدِث لنفسه في الحال الأفضل التي هي كمال عقله وبلوغ أشده عضواً من الأعضاء، ولا يُمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة، فيدلُّه ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز، وقد يرى نفسه شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب، ويراجع قوة الشباب، فيَعلَم بذلك أنَّه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه، وأن له صانعاً صنعه، وناقلاً نقله من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدَّل أحوالُه بلا ناقل ولا مدبِّر، ثُمَّ يعلم أنه لا يتأتى الفعل المحكم المتقن ولا يوجد الأمر والنهي ممن لا حياة له، ولا علم، ولا قدرة، ولا إرادة، ولا سمع، ولا بصر ولا كلام، فيستدل بذلك على أن صانعه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، ثم يعلم استغناء المصنوع بصانع واحد، ..وما يدخل من الفساد في الخلق أن لو كان معه آلهة، فيستدل بذلك على أنه إله واحد لا شريك له كما قال عز من قائل ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)» الاعتقاد: ص٤٢-٤٣.

(٣) فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه في كتابه الكريم بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

الجهات لأشبهه في الحدوث من تلك الجهة، ومحال أن يكـون القـديم مُحـدَثاً، أو يكـون قديماً من جهة حديثاً من جهة أخرى»[1].

- **قال البيهقيُّ** رحمه الله: «وقد سَلَكَ بعضُ مشايخنا رحمنا الله وإيَّاهم في إثبات الصانع وحدوث العالَم طريقَ الاستدلال بمقـدِّمات النبـوة ومعجـزات الرسـالة؛ لأنَّ دلائلهـا مأخوذة من طريقِ الحْسِّ لِمَن شاهَدَها، ومن طريقِ استفاضة الخْبر لِمَن غاب عنهـا، فلـما ثبتتْ النبوةُ صارتْ أصلاً في وجوب قَبول ما دعا إليه النبي ﷺ، وعلى هذا الوجه كـان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين»[2].

٦- وروى أحمد وابن خزيمة في صحيحه **بسند صحيح** عـن أم سـلمة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: «إنَّ النبي ﷺ لَمَّا فُتِنَ أصحابُه بمكـة أشـار علـيهم أن يلحقـوا بـأرض الحبشة، فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: فكلمه جعفر رضي الله عنه يعني النجاشي فقال: كنا على دينهم، يعني على دين أهل مكة، حتى بعث الله عز وجل فينا رسـولاً نعـرف نـسبه وصـدقه وعفافه، فدعا إلى أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، ونخلع ما يعبـد قومنـا وغـيرهم من دونه، وأمَرَنا بالمعروف ونَهانا عن المنكر، وأمرنا بالصلاة والصيام والصدقة وصـلة الرَّحم وكلِّ ما يُعرَف من الأخلاق الحسنة، فتلا علينا تنزيلاً جاءه من الله عز وجل، لا يشبهه شيء غيره، فصدقناه وآمنا به، وعرَفنا أنَّ ما جاء به هو الحق مـن عنـد الله عز وجل، ففارقَنَـا عند ذلك قومُنا وآذونا، فقال النَّجاشيُّ: هل معكم مما نُزِّل عليه شيءٌ تقرؤونه عليَّ؟ قـال

(الشورى: ١١) فيستحيل أن يكون الباري سبحانه مشبهاً للأشياء في شيء، بل هو كما وصف نفسه، ونحن نلتـزم بذلك في عقيدتنا، فنثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، وكل النصوص المتـشابهة التـي وردت في الكتاب أو في السنة نردها إلى هذه الآية المحكَمَة.

(١) الاعتقاد: ص٤٤.

(٢) المصدر السابق: ص٤٥-٤٦.

جعفر: نعم، فقرأ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ (مريم:١)، فلما قرأها بكى النجاشيُّ حتى أخضلَ لحيتَه، وبكتْ أساقفتُه حتى أخضَلُوا مصاحفَهم، وقال النجاشي: إن هذا الكلام والكلام الذي جاء به موسى ﷺ ليخرجان من مشكاة واحدة»[١].

- قال البيهقيُّ: «فهؤلاء مع النجاشي وأصحابه استدلوا(*) بإعجاز القرآن على صدق النبيِّ ﷺ فيما ادَّعاه من الرِّسالة فاكتفوا به، وآمنوا به وبما جاء به من عند الله، فكان فيما جاء به إثباتُ الصَّانع وحدوثُ العالم»[٢].

وقد طالبه بعضُ من لم يَقِفْ على معجزاته بأن يريَه من آياته ما يدلُّ على صدقه، فلمَّا أراه ووقفه عليه آمَنَ به وصَدَّقه فيما جاء به من عند الله ﷻ[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١٧٤٠)، وابن خزيمة في صحيحه: (٢٢٦٠)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٤٦، قال الإمام الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحق وقد صرح بالسماع.» مجمع الزوائد: ج٦/ ٢٧.

(*) نهاية: ق٣/ ب.

(٢) الاعتقاد: ص٤٧.

(٣) وأحياناً يكون السائل قد سمع بمعجزات رسول الله ﷺ التي كانت مستفيضة في زمانه، فيقتصر في إثبات الخالق ومعرفة خلقه على سؤاله وجوابه عنه ﷺ، كما حصل مع ذلك الأعرابي العاقل الذي جاء يسأل رسولَ الله ﷺ.

- عن أنس، قال: كنا نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية، فيسأله ونحن نسمع، فأتاه رجل منهم، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء ؟ قال: «الله »، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله »، قال: فمن نصب هذه الجبال ؟ قال: «الله »، قال: فمن جعل فيها هذه المنافع ؟ قال: «الله »، قال: فبالذي خلق السماء والأرض، ونصب الجبال، وجعل فيها هذه المنافع، آلله أرسلك؟ قال: «نعم »، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال: «صدق »، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال: «نعم »، قال: وزعم رسولك أن علينا صدقة في أموالنا، قال: «صدق »، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا ؟ قال: «نعم »، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في

٧- فروى البيهقيُّ وغيرُه عن ابن عباس ﷺ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك رسول الله ؟ فقال: «أرأيتَ لو دعوتُ هذا العِذْقَ[1] من هذه النَّخلة أتشهد أنِّي رسولُ الله؟» قال: نعم، قال: فدعا العِذْقَ، فجعل العِذْقُ ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل يَنقُزُ حتى أتى النبيَّ ﷺ، قال: ثم قال له: «ارجع»، فرجع حتى عاد إلى مكانه فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمَن به»[2].

بابٌ في ذِكْر أسماء الله ﷻ وصفاته

- **قال البيهقي** بعد أن ذكر عِدَّتَها وتفسيرَها[3] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً[4]: «زعم بعض أهل العلم بالحديث أن ذكر الأسامي في هذا الحديث من جهة بعض الرواة، وأن

سنتنا قال: «صدق »، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم » قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: «صدق» قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا ؟ قال: «نعم»، قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فلما مضى، قال: «لئن صدق ليدخلن الجنة »، أخرجه مسلم في صحيحه، (١٢)، والنسائي في سننه الكبرى، (٢٤٠٠) والدارمي في سننه: (٦٥١)، وابن حبان في صحيحه: (١٥٥)

(١) العِذْق: كلُّ غصن له شعب ويجمع على عِذاق، والعَذْق بالفتح أيضاً: النخلة بحملها، والعِذْقُ العُنْقودُ من العِنَب. انظر: لسان العرب لابن منظور: ج١٠/ ٢٣٨-٢٣٩، تاج العروس للزبيدي: ج٢٦/ ١٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٣٦٢٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح »، والطبراني في الكبير: (١٢٦٢٢)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٤٨ عن ابن عباس ﷺ مرفوعاً.

(٣) انظر الاعتقاد: ص٥١ - ٦٩.

(٤) عن أبي هريرة ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع البصير، الحكم، العدل اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت

الحديث عن النبي ﷺ في ذكر عددها دون تفسير العدد، وهذه الأسامي مذكورة في كتاب الله ﷻ وفي سائر الأحاديث عن نبينا محمد ﷺ مفردة نَصّاً أو دلالة فذكرناها في كتاب الأسماء والصفات»[1].

بابُ بيانِ صفة الذَّات وصِفة الفعل

قال الله جل ثناؤه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢-٢٤).

قال البيهقي: «فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذات من أسماء الفعل على ما نبينه، إلى سائر ما ذكر في كتابه من أسماء الذات وأسماء الفعل، فلله عز اسمه أسماءٌ وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته(*) أوصافه، وهي على قسمين: **أحدهما**: صفات

الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر المقتدر، المقدم، المؤخر الأول الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني المانع الضار، النافع، النور، الهادي البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.» أخرجه الترمذي في سننه: (٣٥٠٧) وقال: «هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح»، وابن ماجه في سننه: (٣٨٦١)، وابن حبان في صحيحه: (٨٠٨)، والحاكم في المستدرك: (٤١) وصححه، والبيهقي في الاعتقاد: ص٥٠-٥١.

(١) الاعتقاد: ص٥٢، وانظر: الأسماء والصفات للإمام البيهقي: ص١٤-١٨، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري.

(*) نهاية: ق٤/أ.

ذات، والآخر: صفات فعل.

[صفات الذات]

فصفات ذاته ما يستحقُّه فيما لَمْ يَزَلْ ولا يَزال، وهو على قسمين: أحدهما: **عقليٌّ**، **والآخر**: سَمعيٌّ.

فالعقليُّ: ما كان طريق إثباته أدلَّة العقول مع ورود السَّمع به، وهو على قسمين:

أحدهُما: ما يدلُّ خَبَرَ المُخبِرِ به عنه، ووَصْفُ الواصِف له به، على ذاته، كوصْفِ الواصف له بأنَّه شيءٌ، ذاتٌ موجودٌ، قديْمٌ، إلهٌ، ملكٌ، قدوسٌ، جليلٌ، عظيمٌ، متكبِّرٌ، والاسم والْمسمَّى في هذا القِسْم واحِدٌ.

والثاني: ما يدلُّ خَبَرُ المُخبِرِ به عنه، ووَصْفُ الواصف له به، على صفاتٍ زائداتٍ على ذاتِهِ قائمات به، وهو كِوصْفِ الواصف له بأنه حيٌّ، عالِمٌ، قادرٌ، مريدٌ، سَميعٌ، بصيرٌ، مُتكلِّمٌ، بَاقٍ، فدلَّت هذه الأوصاف على صفات زائدة على ذاته قائمة به، **كحياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه** وبقائه، والاسم في هذا القسم صفة قائمة بالمُسمَّى لا يقال: إنَّها هي المُسمَّى، ولا إنَّها غير المُسمَّى[1].

---

(١) فليست هذه الصفات هي عين ذاته تعالى ؛لأن حقيقة الذات غير حقيقة الصفات، وهي قائمة بذاته تعالى، إذ من المحال أن تقوم الصفة بنفسها، بل لا بد لها من ذات تقوم بها، وهي صفات واجبة بذاتِها، مثل وجوب الذات، وليست ممكِنةً في ذاتها واجبة لغيرها، وذلك بسبب اقتضاء الذات لها، ولا توصف هذه الصفات أيضاً بأنها غير الذات؛لأنها قائمة بالذات ومتعلِّقة بها، والغَير هنا هو الغير المنفك عن الذات، فلا ينافي أنه غيرٌ ملازم لها، يعني قائم بها.

ومذهب أهل السُّنَّة أن صفات الذات الزائدة عليها سبعةٌ، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، وقالوا:إن الحقَّ تعالى حي بحياة، عالم بعلم قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه الصفات تسمى صفات المعاني، وهي صفات أزلية، قائمة بذاته، زائدة عليها، **وأضاف الإمام البيهقي** رحمه الله **على صفات الذات هنا صفةَ البقاء، وهي صفة اختلف العلماء في أنها من الصفات الذاتية أو من الصفات السلبية**، فذهب الإمام أبو الحسن **الأشعري** وأكثر أتباعه إلى أنها صفة زائدة على الذات قائمة بها (يعني من المعاني)،

وأما **السَّمعي**:فهو ما كان طريق إثباتـه الكتـاب والـسُّنَّة فقـط، كالوجـه واليـدين والعيْن، وهذه أيضاً صفات قائمة بذاته لا يقال فيها:إنَّها هي المُسمَّى، ولا غير المْـسمَّى، ولا يَجُـوز تكييفهـا، فالوجـه لـه صـفةٌ وليـست بـصورة واليـدان لـه صـفتان وليـستا الجارحتين، والعين له صفة وليست بِحدَقة، وطريق إثباتِها لـه:صـفات ذات ورد خـبْرُ الصَّادق به.[1]

[صفات الفعل]

وأمَا صفاتُ فِعلِه: فهي تسمياتٌ مشتقَّةٌ من أفعالِه وَرَدَ السَّمع بِهَا مستحقَّة له فـيما لا يَزال دُونَ الأزَل[2]؛لأنَّ الأفعال التِي اشتقت منهـا لم تكـن في الأزل، وهـو كوصـف الواصف له بأنه خالق، رازق، محيي، مميت، منعم، مفضل.

وذهب القاضي الباقلاني وإمام الحرمين والإمام الرازي والإمام البيضاوي إلى أنه تعالى باق لذاتـه لا ببقـاء، فعـلى هذا هي من الصفات السلبية(كالوحدانية والقِدَم والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس)وهي غير قائمة بذاته، فهي أمور عدمية، أي لا تحمل معنىً زائداً على الذات، وصفات الذات وجودية.

- وأنكر المعتزلة الصفات الذاتية (المعاني)، وأثبتوا الصفات المعنوية، وقالوا: إنه تعالى حي عالم قادر مريـد سـميع بصير متكلم لكنْ بذاته لا بصفة زائدة، وإنما نفَوها هروباً من تعدد القدماء، وأهل السنة قالوا:القديم لذاته واحد، وهو الذات المُقدَّس، وهذه صفات وجبت للذات، والتعدد لا يكون في القديم لذاته، وقد ردّ عليهم أهل الـسنة، وبيَّنـوا فـسادَ قـولهم، بأدلـة كثـيرة لا مجـال لـسردها هنـا، خـشية الإطالـة ولكـن تراجـع في كتـب العقيـدة المطوَّلة.ينظر:الغيث الهامع:٧٣٨-٧٣٩، اليواقيت والجواهر للـشعراني:ج١/ ١٤٤-١٤٥، شرح الـصاوي عـلى الجوهرة:ص١٩٤-١٩٥، عون المريد شرح جوهرة التوحيد:ج١/ ٤٠٩-٤١٠.

(١) الاعتقاد:ص٧٠-٧١، الأسماء والصفات:ص١١٢-١١٣.

(٢) يعني أن صفات الأفعال كالخلق والرِّزق والإحياء والإماتة ليستْ قديمة خلافاً للحنفية، بل هي حادثـة مـن حيث إنَّها متجددة، فإن الخالق حقيقة من صدر عنه الخلق، فلو كانت هذه الصفات قديمة لزم قدمُ الخلـق أيـضاً، وإذا سُمِّي خالقاً بعد وجود الخلـق لم يوجـب ذلـك تغـيراً في ذاتـه.ينظـر:تـشنيف المـسامع:ج١/ ٢٦٦، الغيـث الهامع:ص٧٤٠، البدر الطـالع:ج٢/ ٤٦٠، الـضياء اللامـع:ج٢/ ٥٥٩، شرح الكوكـب الـساطع:ج٢/ ٧٨٥، اليواقيت والجواهر:ج١/ ١٣٦-١٣٧.

فالتَّسمية في هذا القِسم إنْ كانت من الله ﷻ فهي صفة قائمة بذاته، وهو كلامه، لا يقال: إنَّها المُسمَّى، ولا غير المُسمَّى، وإنْ كانتْ التَّسمية من المخلوق فهي فيها غير المُسمَّى.

ومن أصحابنا من ذهب إلى أن جميع أسْمائه لذاته الذي(*) له صفات الذات وصفات الفعل، فعلى هذا الاسم والمُسمَّى في الجْميع واحد والله أعلم، وعلى هذه الطَّريقة يدلُّ كلام المْتقدمين مِن أصحابنا، فروينا عن الإمام الشافعي أنه كان يقول: إذا سَمعتَ الرَّجل يقول: «الاسم غير المسَّمى فاشهد عليه بالزَّندقة». وقال الشافعي في كتاب الإيمان ما دَلَّ على أنه لا يقال في أسماء الله تعالى: إنَّها أغيار(1).

قال بعضهم: «ومن قال بهذا احتج بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧) فأخبر أن اسمه يحيى، ثم قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ (مريم: ١٢)، فخاطب اسْمَه، فعلم أن المخاطَب يحيى، وهو اسْمه واسْمه هو، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ (الشورى: ١٠) وكذلك قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ (يوسف: ٤٠) وأراد المسميات وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)، كما قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ (الفرقان: ١)، وكما قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ (الملك: ١).

وأطال البيهقي في ذلك(2)، ثم قال:

«ولو كان اسْمه غيره، أو لا هو المسمى، لكان القائل إذا قال: عبدتُّ اللهَ، واللهُ اسْمُهُ أن يكون عَبَدَ اسْمَه، واسمه إما غيره، أو ما لا يقال: إنه هو، وذلك محال، وقوله: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»، معناه تسميات العباد لله؛ لأنه في نفسه واحد، قال

(*) نهاية: ق٤/ ب.

(1) الاعتقاد: ص٧٠-٧٢.

(2) الاعتقاد: ص٧٣-٧٥.

الشاعر: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما.............[1]

قال أبو عُبَيد[2]: أراد ثم السلام عليكما ؛ لأن اسم السلام هو السلام. »[3] انتهى.

قلتُ: ولهذا المبحث تحقيق آخر خاص بالأكابر ذكرناه في العقائد المختَصَّة بأكابر العارفين فراجعها، والله أعلم.

باب ذكر آيات وأخبار وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين

قال الله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص: ٧٥) بتشديد الياء من الإضافة، وذلك تحقيق في التثنية وفي ذلك منع من حَمَلَهما على النعمة أو القدرة؛لأنه ليس لتخصيص التثنية في نعم الله، ولا في قدرته معنى يصح؛ لأن نعم الله أكثر من أن تحصى؛ ولأنه خرج مخرج التخصيص وتفضيل آدم عليه السلام على إبليس، وحملهما[*] على القدرة أو على النعمة يزيل معنى التفضيل؛لاشتراكهم فيها، ولا يجوز حملها على الماء والطين ؛ لأنه لو أراد ذلك لقال:لما خلقت من يدي، كما يقال: صغت هذا الكوز من الفضة أو من النحاس، فلما قال:(بيدي) علمنا أن المراد بهما غير ذلك[4].

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه: ومَن يَبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر، وهذا البيت موجود في ديوان الحماسة للشاعر أبي تمام:ج١/ ٣٧٠.

(٢) هو:القاسم بن سلَّام بن عبد الله، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، ولد سنة:(١٥٧هـ)، سمع إسماعيلَ بن جعفر وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرَهم، وتفقَّه على الإمام الشافعي، قرأ القرآن على الإمام الكسائي وغيره، وأخذ اللغة وعلومها عن شيخه أبي عبيدة، صنف تصانيف كثيرة من أهمِّها:كتاب الأموال وكتاب الأمثال وكتاب غريب الحديث، تولى قضاء طرسوس (١٨) عاماً، توفي رحمه الله سنة:(٢٢٤هـ) بمكة.انظر:سير أعلام النبلاء:ج١٠/ ٥٠٧، طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي:ج٢/ ١٥٣-١٥٦.

(٣) الاعتقاد:ص٧٥.

(*) نهاية: ق٥/ أ.

(٤) الاعتقاد:ص٨٨.

٨ - وروى الحاكم والبيهقي مرفوعاً:«ما بُعِثَ نبيٌّ إلا قد أنذر الدَّجَّال، ألا وإنه أعور، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور»[١].

وفي هذا نفي العور عن الله تعالى، وإثبات العين له صفة، وعرَفْنا بقوله ﷻ:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١) وبدلائل العقل أنها ليست بحدقة، وأن اليدين ليستا بجارحتين، وأن الوجه ليس بصورة، وأنها صفات ذات أثبتناها بالكتاب والسنة بلا تشبيه، وبالله التوفيق[٢].

قلتُ:ومما يؤيد قول من قال:المراد بالوجه جملة الذات، قوله تعالى:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٤- ٢٥) فوصف الوجوه بالظن، ومعلوم أن الظن من أفعال القلوب لا الوجه الظاهر، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في القرآن

القرآن كلام الله ﷻ وكلام الله صفة من صفات ذاته، ولا يجوز أن يكون من صفات ذاته مخلوقاً[٣] ولا محُدَثاً ولا حادثاً، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل:٤٠) فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله سبحانه قائلاً له كن،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٩٧٣)، ومسلم في صحيحه: (٢٩٣٣)والحاكم في المستدرك: (٨٦١٣)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٩٠.

(٢) الاعتقاد:ص٩٠.

(٣) إن الله تبارك وتعالى قال مخبِراً عن المشركين أنهم قالوا:﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ (المدثر:٢٥) يعنون القرآن، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين؛ وقد قال تعالى أيضاً:﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (الكهف:١٠٩)، فلو كانت البحار مداداً يُكتَب به لنفدت البحار وتكسَّرت الأقلام ولم يلحق الفناءُ كلمات الله ﷻ كما لا يلحق الفناءُ علمَ الله؛لأن من فني كلامُه لحقتْه الآفات وجرى عليه السكوت، فلمَّا لم يجرِ ذلك على ربِّنا عزوجل صحَّ أنه لم يزلْ متكلِّماً ولا يزال متكلِّماً، وقد نفى النفاد عن كلامه، كما نفى الهلاك عن وجهه.انظر:الاعتقاد:ص ٩٧

. والقرآن قوله، ويستحيل أنْ يكونَ قوله مقولاً له؛لأنَّ هذا يوجب قولاً ثانياً، والقول في القول الثاني وفي تعلُّقه بقولٍ ثالثٍ كالأول، وهذا يفضي إلى ما لا نهاية له، وهو فاسد، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقاً، ووجب أن يكون القول أمراً أزليّاً متعلِّقاً بالمكوِّن فيما لا يزال، كما أن الأمر متعلِّقٌ بصلاة غد، وغد غير موجود، ومتعلِّق بِمَن يُخلَق من المكلَّفين إلى يوم القيامة، إلا أنَّ تعليقَه بِهم على الشَّرط الذي يصحُّ فيما بعد، كذلك قوله في التكوين، وهذا كما أنَّ علمَ اللهَ ﷻ أزليٌّ متعلِّق بالمعلومات(*) عند حدوثها، وسَمعه أزليٌّ متعلِّق بإدراك المسموعات عند ظهورها، وبصره أزليٌّ متعلِّق بإدراك المرئيات عند وجودها من غير حدوث معنى فيه تعالى عن أن يكون محلاً للحوادث، وأن يكون شيء من صفات ذاته محدَثاً؛وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ﴾ (الشورى: ٥١)، فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق، لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛لاستواء جميع الخلق في سماعه من غير الله ووجودهم-ذلك عند الجهمية-(١) مخلوقاً في غير الله، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم

(*) نهاية: ق٥/ ب.

(١) **الجَهْمِيَّة**:هم أصحاب جَهْم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، منها:قوله لا يجوز أن يوصَف الباري تعالى بصفة يوصَف بها خلقُه لأنَّ ذلك يفضي إلى التشبيه فنفى كونه تعالى حياً عالماً وأثبتَ كونه قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيءٌ من خلقه بالقدرة والفعل والخلق، ومنها قولهم أيضاً: إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال:أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرَّك الحجر وطلعت الشمس، إلى غير ذلك، والثواب والعقاب عندهم جبرٌ كما أنَّ الأفعال كلُّها جبرٌ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة، وكان السلف ﷺ كلُّهم من أشد الرادِّين عليه ونسبته إلى التَّعطيل المحض، وهو أيضا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام.انظر: الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي:ص١٩٩دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:٢/ ١٩٧٧م، الملل والنحل:ج١/ ٨٦-٨٨.

أجمعين، ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خَلَقَه في شجرة، أن يكون من سمع كلام الله من ملك أو من نبي أتاه به من عند الله أفضل مرتبة في سماع الكلام من موسى؛لأنهم سمعوه من نبي، ولم يسمعه موسى عليه السلام من الله، وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أنَّ اليهود إذ سمعتْ كلام الله من موسى نبي الله أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم؛ لأنَّ اليهود سمعته من نبي من الأنبياء، وموسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم سمعه مخلوقاً في شجرة، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن الله عز وجل مكلِّماً لموسى من وراء حجاب؛ولأنَّ كلامَ الله عز وجل لموسى عليه السلام لو كان مخلوقاً في شجرة كما زعموا لزِمَهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلَّم موسى، وقال له:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (طه:١٤) وهذا ظاهر الفساد، وقد احتج علي بن إسماعيل **الأشعري** بهذه الفصول، واحتجَّ بها غيره مِن سَلِفَنا رحمهم الله[١].

- وروى **البيهقيُّ**[٢]:أن الإمام الشَّافعي ذَكَرَ إبراهيمَ بن إسماعيل بن عُلَيَّة[٣]، فقال:«أنا مخالف له في كل قول، وفي قوله: لا إله إلا الله، لست أقول كما يقول، أنا أقول: لا إله إلا الله الذي كلَّم موسى من وراء حجاب، وذاك يقول: لا إله إلا الله الذي خلق كلاماً أسمعه موسى من وراء حجاب».

قال: وقوله تعالى:﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ

(١) الاعتقاد:ص٩٤-٩٦.

(٢) المصدر السابق:ص٩٦.

(٣) هو: إبراهيم بن الإمام إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة، أبو إسحاق الأسدي البصري، المتكلِّم الجهميّ، ناظَرَ الإمامَ الشافعيَّ رضي الله عنه، وكان يقول بخلق القرآن، ويناظر عليه، وكان يرد خبرَ الواحد، ويقول:الحجة بالإجماع، له مصنفات في الفقه تشبه الجدل، كان الإمام أحمد يقول عنه:«ضالٌ مضل.»، توفي بمصر (٢١٨هـ)وكان أبوه رحمه الله من أئمة الإسلام.انظر: تاريخ الإسلام للذهبي:ج١٥/ ٥٢-٥٣.

﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنبياء:٢) يحتمل(*) أن يكون معناه ذكرا غير القرآن، وهو كلام الرسول ﷺ ووعظه إياهم بقوله: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات:٥٥)، ولأنه لم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدَثاً، وإنما قال: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ فدَلَّ على أنَّ ذكْراً غير محدث، ثمَّ إنه إنما أراد ذكر القرآن لهم وتلاوته عليهم وعلمهم به، وكلُّ ذلك محدَث، والمذكور المتلو المعلوم غير محدث، كما أن ذكر العبد لله وعلمه به وعبادته له محدث، والمذكور المعلوم المعبود غير محدث[1].

وحين احتُجَّ بذلك على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال أحمد: «قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدَث لا الذكر نفسه محدَث»[2] [كما يقال][3]: حَدَث عندنا اليوم ضيف، وهو شيخ قد طعن في السن.

٩- وروى أبو داود والبيهقي وغيرهما أن النبي ﷺ كان يقول عند مضجعه: «اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته..»[4] فاستعاذ ﷺ في هذا الخبر وغيره بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم،

(*) نهاية: ق٦/ أ.

(١) الاعتقاد: ص٩٧-٩٨.

(٢) الاعتقاد: ص٩٨.

- قال الإمام البيهقي رحمه الله عن كلام الإمام أحمد هذا: «وهذا الذي أجاب به أحمد بن حنبل رحمه الله ظاهر في الآية، وإتيانه تنزيله على لسان الملك الذي أتى به، والتنزيل مُحْدَث.» المصدر المذكور.

(٣) في الأصل (يقول).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: (٥٢)، النسائي في سننه الكبرى: (١٠٦٠٣)، البيهقي في الاعتقاد: ص١٠٠، من حديث سيدنا علي رضي الله عنه مرفوعاً.

وبقيته: «اللهم أنت تكشف المَغرَم والمأثَم، اللهمَّ لا يُهْزَم جندُك، ولا يُخلَف وعدُك، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك.»

فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير مخلوقة، وكلام الله واحد لم يزل ولا يزال، وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحِجْر:٩) وإنَّما سَمَّاها تامَّة؛ لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيبٌ أو نقْصٌ كما يكون ذلك في كلام الآدميين[١].

- قال **الإمام البيهقيُّ** «وقد ذكر الشافعيُّ رحمه الله ما دلَّ على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا، ونسمعه بآذاننا، ونكتبه في مصاحفنا يُسَمَّى كلام الله عز وجل، وأن الله عز وجل كَلَّمَ به عبادَه بأن أرسلَ به رسولَه عليه السلام. وبمعناه ذكره أيضاً عليُّ بن إسماعيل[٢] **في كتابه الإبانة**»[٣].

- **قال الشافعيُّ** رحمه الله في كتاب الجزية: «من جاء من المشركين- قال: يعني الإمام - أن يجيرَه حتى يَسمعَ كلامَ الله، ثم يُبلِغه مأْمنَه، كان ذلك فرضاً على الإمام؛ لقول الله لنبيه عليه الصلاة والسلام[*] ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾»[٤].

---

(١) انظر: الاعتقاد:ص١٠١

(٢) يعني **الإمام الأشعري** رحمه الله، ونص كلامه في كتاب الإبانة ص١٠٠: «والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦).

(٣) الاعتقاد: ص١٠٨.

(*) نهاية: ق٦/ ب.

(٤) انظر: الأم للإمام الشافعي: ج٤/ ١٩٠، ونصُّ كلامه رضي الله عنه: «ومن جاء من المشركين يريد الإسلام، فحقٌّ على الإمام أن يؤمِّنَه حتى يتلوَ عليه كتابَ الله عز وجل ويدعوه إلى الإسلام بالمعنى الذي يرجو أن يُدخلَ اللهُ عز وجل به عليه الإسلامَ، لقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾»

وقال(١) في كتاب الإيمان في: «من حلف لا يكلِّمَ رجلاً فأرسل إليه رسولاً، من قال: يحنث ذهب إلى أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ (الشورى:٥١) وقال: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبة:٩٤)، وإنما نبأهم من أخبارهم بالوحي الذي تنزل به جبريل ﷺ على النبي ﷺ، ويخبرهم النبي ﷺ بوحي الله، قال: ومن قال: لا يحنث، قال: إن كلام الآدميين لا يشبه كلام الله ﷻ، كلام الآدميين بالمواجهة»(٢) إلى آخر ما قال.

- قال البيهقيُّ: «فقد سَمَّى الشافعيُّ رحمه الله على القولين جميعاً ما نسمِّيه من القرآن كلامَ الله، وأن الله كلَّم به عبادَه بأنْ أرسل به رسولَه ﷺ، وأنَّ كلام الآدميين وإن كان يكون بالمواجهة [في الجهة](٣) في أحد القولين فكلام الله تعالى عباده قد يكون بالرسالة والوحي كما جاء به الكتاب، ويسمى ذلك كلاماً وتكليماً، والله تعالى أعلم»(٤).

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل رحمه الله في كتابه(٥): «فإن قال قائل: حدثونا أتقولون: إن كلام الله ﷻ في اللوح المحفوظ ؟قيل له: نقول ذلك لأن الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١-٢٢) فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ (العنكبوت:٤٩)، وهو متلوٌّ بالألسنة، قال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾

(١) القائل هو الإمام الشافعي رضي الله عنه.

(٢) الأم: ج٧/ ٨٠

(٣) هكذا في الأصل، والموجود في كتاب الاعتقاد: ص١٠٩: (في الحكم)

(٤) المصدر السابق: ص١٠٩

(٥) الإبانة: ص١٠٠.

(القيامة:١٦)، فالقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظٌ في صدورنا في الحقيقة، متلوٌّ بألسنتنا في الحقيقة مسموعٌ لنا في الحقيقة[1]، كما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:٦) ومعلوم أن التالي رسولُ الله ﷺ.

- وروى الحاكم والبيهقيُّ عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: «سَمعتُ أبا قدامة[2]، يقول: سمعتُ يحيى بن سعيد القطان[3] يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة.»، قال البخاري(*): «حركاتُهم وأصواتُهم واكتسابُهم وكتابتُهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعَى

---

(١) وهذا الذي نقل عن الإمام الأشعري هو مذهب أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، ينظر: العقيدة الطحاوية بشرح الشيخ عبد الغني الغنيمي: ص٦٧-٦٨، تشنيف المسامع للإمام الزركشي: ج٢/ ٢٧٠-٢٨١، الغيث الهامع للإمام ولي الدين العراقي: ص٧٤٣-٧٤٨، البدر الطالع للإمام المحلي: ج٢/ ٤٦٢، الضياء اللامع شرح جمع الجوامع: ج٢/ ٥٦٥-٥٧١، شرح الكوكب الساطع للإمام السيوطي: ج ٢/ ٧٩٢-٧٩٤، غاية الوصول للشيخ زكريا الأنصاري: ص١٥٤-١٥٥، اليواقيت والجواهر: ج١/ ١٦٨-١٧٧.

(٢) هو: عبيد الله بن سعيد بن يحيى بن بُرْد اليَشكُرِي، مولاهم، أبو قدامة السَّرْخسي، الإمام المجود الحافظ المصنِّف، نزيل نيسابور، سمع حفصَ بن غياث وسفيان بن عيينة ويحيى القطان، روى عنه من الأئمة: البخاري في كتاب أفعال العباد، ومسلم والنسائي وابن خزيمة وخلق كثير، قال عنه الإمام النسائي: «ثقة مأمون قلَّ مَن كتبنا عنه مثلَه.»، وقال عنه الإمام ابن حبان: «هو الذي أظهر السنة بسرخس ودعا الناس إليها.»، كان إماماً فاضلاً خيِّراً، توفي رحمه الله: (٢٤١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ج١٢/ ١١٢-١١٣.

(٣) هو: يحيى بن سعيد بن فرُّوخ، أبو سعيد التميمي مولاهم، البصري، القَطَّان، الإمامُ الكبير، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، ولد في أول سنة: (١٢٠هـ)، سمع سليمان التيمي وهشام بن عروة وعطاء بن السائب وغيرهم، وعني بالحديث وعلومه أتمَّ عناية، ورحل في طلبه وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ الكبار، وكان في الفروع على الإمام مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه روى عنه سفيان وشعبة وهما من شيوخه، وعبد الرحمن بن مهدي ومسدد وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم، أثنى عليه كثير من الأئمة على رأسهم الإمام أحمد رضي الله عنه، كان رحمه الله من المتشددين في نقد الرجال. انظر: سير أعلام النبلاء: ج٩/ ١٧٥.

(*) نهاية: ق٧/ أ.

في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله ﷻ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾»[1].

- **قال البيهقيُّ**: «وهذا القول لا يخالف قول أحمد بن حنبل رحمه الله. وقد روينا عنه أنه أنكر على تلميذه أبي طالب قوله: (لفظي بالقرآن غير مخلوق)، وكره الكلام في اللفظ»[2].

قال: وروينا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، **يريد به القرآن، فهو كافر**»[3].

- **قال البيهقيُّ**[4]: «فإنَّما[5] أنكر قولَ من تذرَّع بهذا إلى القول بخلق القرآن، وكان يستَحِبُّ تركَ الكلام فيه لهذا المعنى، والله أعلم»[6].

قلت: وقد بسطْنا الكلامَ على هذه المسألة في كتابنا المسمى باليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر، فراجعه إن شئتَ، والله أعلم[7].

---

(١) **انظر** قول الإمام البخاري هذا في كتابه خلق أفعال العباد: ص٤٧ دار المعارف، الرياض، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الاعتقاد: ص١١٠.

(٢) الاعتقاد: ص١١٠.

(٣) **ينظر**: السنة لعبد الله بن أحمد: ص١٦٥، وما سمعه من والده الإمام أحمد، كما قال: سَمعتُ أبي رحمه الله يقول: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، سمعت أبي رحمه الله وسُئل عن اللفظيَّة، فقال: هم جهمية وهو قول جهم، ثم قال: لا تجالسوهم، سمعت أبي رحمه الله يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق هذا كلام سوء رديء، وهو كلام الجهمية.» **وليس في كلامه: (فهو كافر) كما جاء أعلاه.**

(٤) الاعتقاد: ص١١٠.

(٥) في الأصل (فما) وما أثبتُّه هو الصواب، كما الاعتقاد: ص١١٠.

(٦) **قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله**: «وكان أبي رحمه الله يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال مخلوق أو غير مخلوق.» السنة لعبد الله بن أحمد: ص١٦٥-١٦٦.

(٧) **ينظر**: اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني: ج١/ ١٦٧-١٧٧ وقد أفاد رحمه الله فيه غاية الإفادة والإجادة، ومما قاله هناك: «أجمع المتكلِّمون أن صفة الكلام لله تعالى، لا يتعقل كيفها كبقية الصفات؛ لأن كلامه تعالى لا هو

بابُ القولِ في الاستواء على العرْش

قال الله تعالى وتبارك: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥).

- قال البيهقي: « والعرش هو السَّرير المشهور فيما بين العقلاء، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام: ١٨) وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ (النحل: ٥٠) وقال: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ (فاطر: ١٠) إلى سائر ما ورد في هذا المعنى[1]، وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الملك: ١٦)، وأراد كما قال: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ (طه: ٧١)، يعني على جذوع النخل »[2].

وأصحابُ الحديث والصَّحابةُ والتابعون لم يتكلَّموا في تأويل ما وَرد من أمثال ذلك في الكتاب والسنة على نسقٍ واحدٍ، بل منهم من:

عن صمت متقدِّم، ولا عن سكوت متوهَّم، إذ هو قديم أزليٌّ كسائر صفاته، من علمه وإرادته وقدرته، كلَّمَ الله به موسى عليه الصلاة والسلام، من غير تشبيه ولا تكييف إنَّما هو أمر يذوقه النبيُّ أو المَلَك في نفسه فلا يستطيع أن يكيِّفَه بعبارة، كما لو سُئِل الذَّائقُ للعَسَل كيف وجدت طعمه؟، أو ما الفرق بين حلاوة عسل النحل والعسل الأسود؟ مثلاً ما قدر على إيصال الفرق بينهما إلى السائل بعبارةٍ، ولو قيل لموسى ﷺ: كيف سمعتَ كلامَ رَبِّك؟، ما قدر على تكييف ما سمع، فإن قيل: كيف تنوعت ألفاظ الكلام إلى عربي وغيره مع أنه واحد في نفسه غير متجزِّئ؟ فالجواب: صحيح أنَّ الكلام واحدٌ، ولكنْ المخلوقون هم الذين يعبِّرون بلغاتهم المختلفة، فهو كذات الله تعالى، يُعبِّر عنها العربيُّ بـ (الله) والفارسيُّ بـ (خُداي)، فإن عَبَّر عن كلامه بالعربية كان قرآناً، وبالسِّريانية كان إنجيلاً، أو بالعبرانية كان توراةً.... » بتصرُّف يسير.

(١) ينظر: الاعتقاد: ص١١٢-١١٣. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ (هود: ٧) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ (يونس: ٣) وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ (البروج: ١٥).

(٢) الاعتقاد: ص١١٢، قال الإمام البيهقي رحمه الله: «كل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية والله أعلم: أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات. » الاعتقاد: ص١١٣.

١- قَبِله وآمن به، ولم يُؤوِّله، ووَكَلَ علمَه إلى الله، ونفى الكيفيةَ والتَّشبيه عنه.

٢- ومنهم من قَبِله وآمن به، وحمَلَه على وجه يصحُّ استعمالُه في اللغة، ولا ينـاقِضُ التَّوحيدَ(١).

وأطال في ذلك، ثم قال:

«وبالجملة فيجب على كل عبد أن يَعلَم أن استواءَ الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا(*) استقرار في مكان، ولا مُماسَّة لشيء مـن خلقـه، لكنـه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف [بلا أين](٢) لِمباينته لجميع أحوال خلقه(٣)، وأنَّ إتيانه لـيس بإتيان من مكان إلى مكان، وأنَّ مجيئَه ليس بِحركَةٍ، وأنَّ نزولَه لَيس بنقْلةٍ، وأنَّ [ذاتـه](٤) ليست بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يـده ليـست بجارحـة، وأن عينـه ليـست بحدقة، **وإنما هذه أوصاف جاء بهـا التوقيـف، فقلنـا بهـا ونفينـا عنهـا التكييـف،** فقـد قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ (الشورى:١١) وقال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾

---

(١) المصدر السابق:ص١١٧.

(*) نهاية: ق٧/ ب.

(٢) غير موجودة في الأصل، وإنما أضفتها من الاعتقاد:ص١١٧ زيادة في توضيح المعنى.

(٣) كلام الإمام البيهقي هنا قريب مما ذكره الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، حيث قال:«وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الـذي أراده اسـتواءً مُنزَّهـاً عـن المُماسَّـة والاستقرار، والتمكُّن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهـورون في قبـضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تُخوم الثرى، فَوقِيَّةً لا تزيده قُرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الـدرجات عن العرش، كما أنَّه رفيعُ الدَّرجات عن الثَّرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهـو أقـرب إلى العبـد مـن حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.) الإبانة:ص٢١، دار الأنصار، القاهرة، ط:١/ ١٣٩٧هـ، تحقيق: د.فوقية حسين محمود، وهو محقَّقٌ على أربع نسخ خطية، وهذا عين ما ذكره الإمام حجة الإسلام الغـزالي في كتابـه قواعـد العقائد: ص٥٢ دار عالم الكتب، لبنان، ط: ٢/ ١٤٠٥هـ١٩٨٥م، تحقيق: موسى محمد علي.

(٤) الموجود في الاعتقاد: ص١١٧ (نفسه) ولعلَّ العبارة (ذاته) التي اختارهـا الـشيخ الـشعراني رحمه الله أدقُّ، والله أعلم.

(الإخلاص:٤))، وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾» (مريم:٦٥)[1].

- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ أنَّ الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد سُئِلوا عن هذه الأحاديث فقالوا كلهم: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيفية»[2].

- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ أيضاً عن سفيان بن عيينة أنه قال: «كل ما وَصَفَ اللهُ به نَفسَه في كتابه، فتفسيرُه تلاوته والسُّكوت عليه»[3].

- قال الشيخ البيهقيُّ: «وإنَّما أراد به - والله أعلم - فيما تفسيره يؤدِّي إلى تكييف، وتكييفُهُ يقتضي تشبيهاً له بِخلْقه في أوصاف الحَدَث»[4].

بابُ القولِ في إثباتِ رؤية الله ﷻ في الآخرة بالأبصار

قال الله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة ٢٢- ٢٣) قال البيهقي: «وليس يخلو النظر من وجوه:

١- إما أن يكون الله ﷻ عَنَى به نَظَرَ الاعتبار كقوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية:١٧)

٢- وإمّاَ أن يكون عَنَى به نظَرَ الانتظار كقوله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ (يس:٤٩).

٣- وإمّاَ أن يكون عَنَى به نظَرَ الرحمة والتعطف، كقوله: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾[5] (آل عمران:٧٧).

---

(١) الاعتقاد: ص١١٧-١١٨، وانظر هذه المسألة مفصلة في: اليواقيت والجواهر: ج١/ ١٧٧-١٨٥

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ج٣/ ٢، الاعتقاد: ص١١٨.

(٣) سنن البيهقي الكبرى: ج٣/ ٢، الاعتقاد: ص١١٨.

(٤) الاعتقاد: ص١١٨.

(٥) في الأصل: (لا ينظر الله إليهم)، ولا توجد بهذه الصيغة آية قرآنية.

٤- وإمّا أن يكون عَنَى به نَظَر الرؤية، كقوله:(*)﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد:٢٠)

- قال: ولا يجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر التفكر والاعتبار؛ **لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار، وإنما هي دار اضطرار**، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ؛ لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم، فهم مُمَكَّنون مما أرادوا وقادرون عليه، وإذا خطر ببالهم شيء أتوا به مع خُطُورِه ببالهم، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون الله أراد بقوله:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه كما قال تعالى:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة:١٤٤)، وأراد بذلك تقلب عينيه نحو السماء ولأنه قال:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ونظَرُ الانتظار لا يكون مقرونا بـ« إلى » لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار:«إلى»، ألا ترى أن الله ﷻ لما قال: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ لم يقل:«إلى»؛إذ كان معناه الانتظار، وقالت بلقيس فيما أخبر الله عنها:﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل:٣٥)، فلمّا أرادت الانتظار لم تقل:«إلى».

قلت[1]:« ولا يجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التَّعطُّفَ والرَّحمة ؛لأنَّ الخلق لا يجوز أن يَتعطَّفوا على خالقهم، فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة صحَّ القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾أنها رائية ترى الله ﷻ، **ولا يجوز أن يكون معناه:إلى ثواب ربها ناظرة؛ لأنَّ ثواب الله غير الله**، وإنما قال الله ﷻ:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ **ولم يقل: إلى غير ربها ناظرة، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا**

(*) نهاية: ق٨/ أ.

(١) القائل هو الإمام البيهقي، انظر:الاعتقاد:ص١٢٢.

بحجـة، ألا تـرى أنـه تعـالى لَّما قـال:﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة:١٥٢)[١]، لم يجز أن يقال: أراد ملائكتي أو رسلي».

ثم نقول: «إن جازَ لكم[*] أن تدَّعـوا هذا في قوله:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ جـاز لغيركم أن يدعيه في قولـه:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (الأنعـام:١٠٣)، فيقـول: أراد بهـا: لا تـدرك غيره، ولم يرد أنهـا لا تدركـه تعـالى، فـإن لم يُجِـزْ ذلـك لم يُجِـزْ هـذا، ولا حجـة لهـم في قوله:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، فإنه إنما أراد به: لا تدركـه أبـصار المـؤمنين في الـدنيا دون الآخـرة، ولا تدركـه أبـصار الكـافرين مطلَقـاً كـما قـال:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين:١٥)، فلمّا عاقب الكفـارَ بحجـبهم عـن رؤيتـه دَلَّ عـلى أنـه يثيـب المؤمنين برفْع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه، ولَّما قـال في وجـوه المـؤمنين:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾، فقيدها بيوم القيامة ووَصَفَها، فقال:﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ ثم أثبت لها الرؤية فقـال:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، علمْنا أن الآية الأخرى في نفيها عنهم في الدنيا دون الآخرة، وفي نفيها عـن الوجوه الباسِرة[٢] دون الوجوه الناضرة جمْعاً بين الآيتين حَمْلاً للمطلق من الكـلام عـلى المقيد منه»[٣].

- ثُمَّ قد قال بعض أصحابنـا: «إنَّما نفى عنـه الإدراك دون الرؤيـة، والإدراك هـو

---

(١) في الأصـل: (اعبـدوني واشـكروا لي) ولا توجـد آيـة قرآنيـة بهـذه الـصيغة، والـذي أثبتـه أعـلاه موافـق للاعتقاد: ص١٢٢.

(*) نهاية: ق٨/ ب.

(٢) قال الله تبارك تعالى:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٤-٢٥) أي وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة، ومتغيرة الألوان مسودَّة، توقن وتعلم أنها ستلاقي فاقرةً وهي الداهية والأمر العظيم، يقال: فقرتْه الفاقرةُ أي كسرتْ فقارَ ظهره، وقيـل: الفـاقرة الـشر. انظـر: تفـسير الطـبري: ج ٢٩/ ١٩٣، تفـسير القرطبي: ج ١٩/ ١١٠.

(٣) الاعتقاد: ص١٢٢.

الإحاطة بالمرئي دون الرؤية، فالله يُرَى ولا يدرك كما يعلم ولا يُحاط به عِلْماً»[1].

- وقد روى **الحاكمُ والبيهقيُّ** عن عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ (الكهف: ١١٠) قال: «المراد بالآية من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يخبر به أحداً»[2].

١٠- وروى **البخاريُّ** وغيْره عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « أما إنكم ستعرضون على ربكم ﷻ فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»[3].

- **قال البيهقيُّ**: «وتُضامُّون بضم التاء وتشديد المْيم، ومعناه لا تجتمعون لرؤيته من جهته ولا يُضَمُّ بعضكم إلى بعض لذلك، **فإنه ﷻ لا يُرى في جهة كما يرى المخلوق في جهة**، وأمَّا معناه بفتح التاء فهو أيضاً نحو معنى ضمِّها **أي لا تتضامون في رؤيته بالاجتماع**(*)**في جهة**، وهو دون معنى تشديد الميم من الضَّيم معناه: **لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض وأنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو يتعالى عن جهة**»[4].

---

(١) الاعتقاد: ص١٢١-١٢٢. ومما يدلُّ على أن الله ﷻ يُرى بالأبصار قول موسى الكليم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، ولا يجوز أن يكون نبي من الأنبياء، قد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه مما عصم منه المرسلين، يسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك وإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ، فقد علمْنا أنه لم يسأل ربَّه مستحيلاً، وأن الرؤية جائزة على ربنا ﷻ. ينظر: الاعتقاد: ص١٢٢-١٢٣.

(٢) الاعتقاد: ص١٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥٢٩) ومسلم في صحيحه: (٦٣٣) وللفظ للإمام مسلم.

(*) نهاية: ق٩/ أ.

(٤) الاعتقاد: ص١٢٨.

قال [الإمام محمد بن سليمان][1]:«والتشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً». وأطال البيهقي بذكر سياق أخبار كثيرة في الرواية[2]، ثُمَّ قال:«ولهذه الأخبار الصحيحة شواهد من حديث علي، وعبد الله بن مسعود، وعبادة بن الصَّامت، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وغيرهم ﷺ، عن النبي ﷺ»، وقال:«ورَوينا في إثبات الرُّؤية عن أبي بكر الصِّدِّيق وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، ولم يُروَ عن أحد منهم نفيُها، ولو كانوا فيه مختلفين لنُقِلَ اختلافُهم إلينا، وكما أنَّهم لَّما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقِل إلينا اختلافُهم، وكما أنهم لَّما اختلفوا في رؤيته بالأبصار في الدنيا نُقل اختلافهم إلينا، فكذلك لَّما نقلت رؤيةُ الله بالأبصار في الآخرة عنهم، لم يُنقَل عنهم في ذلك اختلاف، كما نقل إلينا اختلافهم في الدنيا، علمنا أنَّهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين مجتمعين، والله أعلم»[3].

- قال البيهقي:«[ورويناه بالسند الصحيح][4] عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان

---

(١) هكذا في الأصل، والصحيح كما في الاعتقاد أن القائل هو ولده الإمام سهل بن محمد شيخ الإمام البيهقي، فقد قال في الاعتقاد ص١٢٨:«سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رحمه الله يقول فيما أملاه علينا..». وقد تقدمت ترجمته في القسم الدراسي لهذا الكتاب عند ذكر شيوخ الإمام البيهقي.

(٢) وكلها تدور حول معنى حديث سيدنا جرير بن عبد الله ﷺ الذي سبق تخريجه قبل قليل، فمنها ما هو روايات أخرى عنه أو روايات عن صحابة آخرين رضي الله عنهم أجمعين. انظرها في الاعتقاد:ص١٢٩-١٣١.

(٣) تصرَّفَ الإمام الشعراني - باختصاره- في عبارة الإمام البيهقي تصرفاً يسيراً.انظر: الاعتقاد:ص١٣٠-١٣١.

(٤) هذه العبارة بحرفيتها (.. بالسند الصحيح..) غير موجودة في الاعتقاد، والموجود من نص الإمام البيهقي هو التالي:«أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي:سمعت جعفر بن محمد بن الحارث، يقول: سمعت الحسن بن محمد بن بحر، يقول:سمعت المزني يقول: سمعت ابن هرم القرشي، يقول: سمعت الشافعي رحمه الله

يقول في قول الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ «فلمّا حَجَبهم في السخط كان هذا دليلاً على أنهم يرونه في الرضا». وبالله التوفيق.

باب القول في الإيمان بالقدر[1]

١١- وروى ابنُ القَطَّان والبيهقيُّ عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه في القَدَر، فنزلت هذه الآية(*): ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٧- ٤٩)»[2].

١٢- وروى الحاكم وغيره عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله طُبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[3].

يقول في قول الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ قال: «فلمّا حَجَبهم في السَّخَط كان هذا دليلاً على أنهم يرونه في الرضا.» الاعتقاد: ص ١٣١.

(١) قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢) وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (الحديد: ٢٢) وقال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩).

- القَدَر لغةً: اسم لما صَدَر مقدَّراً عن فعل القادر، يقال: قَدَّرتُ الشيءَ وقَدَّرتُه بالتشديد والتخفيف فهو قَدَرَ أي: مقدور ومُقَدَّر، كما يقال: هدمت البناء فهو هَدَمَ أي: مهدوم، وقبضت الشيء فهو قَبَضَ أي: مقبوض.

- والإيمان بالقَدَرِ اصطلاحاً: هو الإيمان بتقدُّم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه تعالى، وخَلْقٍ لها خيرها وشرها. ينظر: الاعتقاد: ص١٣٢.

(*) نهاية: ق٩/ ب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٩٧٣٤)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٥٦)، والترمذي في سننه: (٢١٥٧)، وابن ماجه في سننه: (٨٣)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٣٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢١١٥٩)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٦١)، وأبو داود: (٤٧٠٥)، والترمذي: (٣١٥٠)، وابن ماجه: (٨٣)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٣٩، وعليه بحث مهم عند الكلام عن أطفال المسلمين، وغيرهم.

باب القول في خلق الأفعال

قال الله عز وجل ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (غافر:٦٢) فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر وقال: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الرعد: ١٦) فنفى أن يكون خالقٌ غيرَه ونَفَى أن يكون شيءٌ سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غيرَ مخلوقة لكان الله تعالى خالقٌ بعضَ الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية، ومعلوم أن الأفعالَ أكثرُ من الأعيان فلو كان الله خالقٌ الأعيانَ والناسُ خالقي الأفعال لكان خلقُ الناس أكثرَ من خلقه، ولكانوا أتَمَّ [قدرة][1] منه، والأَولى بصفة المدح من ربهم سبحانه وتعالى.

- **قلنا**: ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:١٠١) فامتَدَحَ بالقولين جميعاً، فكما لا يخرج شيءٌ عن عِلْمه لا يَخْرُج شيءٌ غيرُه عن خَلْقه.

- **وقال تعالى**: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم: ٤٣-٤٤) فلما كان مميتاً محيياً بأن خَلَق الموتَ والحياةَ كان مضحِكاً مبكِياً بأن خلق الضَّحِكَ والبُكاءَ، وقد يضحك الكافر سروراً بقتل المسلمين وهو منه كفر، وقد يبكي حزناً بظهور المسلمين وهو منه كفر، فثبت أن الأفعالَ كلُّها خيرُها وشرُّها [صائرةٌ][2] عن خلقه وإحداثه إياها.

- **ولأنه قال**: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال: ١٧) **وقال**: ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (الواقعة:٦٤) فسَلَب عنهم [اسم][3] القتل والرَّمي والزَّرْع مع مباشرتهم إياها وأثبت فعلها لنفسه ليدل

(١) في الاعتقاد: ص١٤٢: «لكانوا أتمَّ قوة منه.»

(٢) في الاعتقاد: ص١٤٢: «صادرةٌ...»

(٣) في الاعتقاد: ص١٤٢: «فعلَ القتل و..و..»

بذلك على أن المعنى المؤثر في وجودها(*) بعد عدمها هو إيجادُه وخلقه[1]. فيا مَنْ يقول: إن الله لا يفعل بالآلة ماذا تقول في هذه الآيات، فإن للحق أن يفعل بآلة وبغير آلة.

فعُلِمَ من أن مباشرة الأفعال إنَّما وُجِدتْ من عباده بقدرةٍ حادِثَةٍ أحدَثَها خالِقُنا على ما أراد فهي من الله سبحانه خلقٌ على معنى أنه هو الذي اخترعها بقدرته القديمة، وهي من عباده كسبٌ على معنى تعلُّق قدرة حادثة بمباشرتهم، التي هي من أكسابُهم أي كسَبهم اللهُ تعالى إياها.

- قال **البيهقيُّ** رحمه الله: «مع أنَّ وقوع هذه الأفعال أو بعضِها على وجوه تخالِفُ قصْدَ مكتَسِبِها يدلُّ على[موقِعٍ][2]أوقَعَها على ما أراد غيرُ مكتسبها[3] وهو الله ربنا خَلَقنا، وخلَقَ أفعالَنا لا شريك له في شيء من خلقه تبارك الله رب العالمين»[4].

- **وكان الإمام أبو الطَّيب سهل بن محمد بن سليمان**[5] يعبر عن هذا بعبارةٍ حسنةٍ، فيقول: «فِعلُ القادر القديم خَلْقٌ، وفِعلُ القادر المُحْدَث كَسْبٌ فتعالى القديم عن الكسب، وجَلَّ وصَغُرَ المُحدَثُ عن الخلق وذَلَّ». فبين الخَلْق والكسب فَرقان بينهما في اللفظ والمعنى.

(*) نهاية: ق١٠/أ.

(١) انظر: الاعتقاد: ص١٤٣.

(٢) هكذا في الاعتقاد: ص١٤٤، وهو الصحيح، وفي الأصل «على وقوع.» وكأنها خطأ في الكتابة، والله أعلم.

(٣) يعني أن الله تعالى هو الذي خَلَقَ أفعالَ العباد كلها، فهو خالق لها، غيرُ مكتسِب لها، بل المكتسِب لها إنَّما هو العبد المخلوق، فهي صَدرتْ من الله تعالى خلقاً وإيجاداً ومن المخلوق كسْباً واختياراً، وعبارة الإمام أبي الطيب الصُّعلوكي تؤكد على هذا المعنى والله أعلم.

(٤) الاعتقاد: ص١٤٤.

(٥) وهو الإمام الأستاذ أبو الطيب الصعلوكي، شيخ الإمام البيهقي، وقد مرَّت ترجمته قبل قليل، وقوله هذا في الاعتقاد: ص١٤٤.

- قال البيهقيُّ:«وقد أثبت الله سبحانه كسبَ العباد، وخلقَه كسبَهم بنحو قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦)، وبمثل ذلك جاءت السنة عن رسول الله ﷺ.

١٣- فروينا كالحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:«إن الله يصنع كلَّ صانع وصنعته»[1].

- وروى الحاكم وغيره عن إياس بن معاوية[2]، قال:«لم أخاصِم بعقلي [كلمةً][3] من أهل الأهواء غيرَ أصحاب القَدَر»[4].

١٤- وروى الحاكم عن معمر[5] قال: بلغَني أن عمرو بن العاص قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه:«وددت أني أجد من أخاصِمُ إليه ربِّي، فقال أبو موسى: أنا، فقال عمرو: أيُقَدِّرُ عليَّ شيئاً ويعذِّبُني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لمَ؟، قال: لأنه لا

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد:ص٤٦، والبزار في مسنده: (٢٨٣٧)، والحاكم في المستدرك: (٨٦)وقال:«هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في الاعتقاد:ص١٤٤، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد:ج٧/ ٩٧:«رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن الكردي، وهو ثقة.»

(٢) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني الليثي، أبو واثلة، قاضي البصرة، يُضرَب بذكائه وفطنته وسؤدد عقله المثل، وكان صاحب فراسة، روى عن أنس رضي الله عنه وجماعةٍ، وثَّقه الإمامُ يحيى بن معين، ليس له رواية في الكتب الستة، توفي سنة:(١٢١هـ)أو (١٢٢هـ) كهلاً.انظر: سير أعلام النبلاء:ج٥/ ١٥٥، شذرات الذهب:ج١/ ١٦٠.

(٣) هكذا في الأصل، وفي الاعتقاد:ص١٥٠: [كلِّه].

(٤) أخرجه الإمام الفريابي في كتاب القدر:ص٣٥ دار ابن حزم، بيروت، ط:١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تحقيق:عمرو سليم، وقال:«إسناده صحيح.»، و الإمام البيهقي في الاعتقاد:ص١٥٠.

(٥) هو:مَعمَر بن راشد، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، البصْري، نزيل اليمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، ولد سنة:(٩٥أو٩٦هـ)، شهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حَدَث، حَدَّث عن قتادة والزهري وهمَّام بن منبه رضي الله عنه وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم وله كتاب الجامع، وهو أقدم من الموطأ، توفي سنة: (١٥٣هـ) انظر:سير أعلام النبلاء:ج٧/ ٥-١٨، شذرات الذهب:ج١/ ٢٣٥.

يظلمُكَ، فقال: صدقْتَ»[1].

وسُئِل(*) أبو بكر أحمد بن إسحاق[2]- شيخ الحاكم - عن الظُّلْم في كلام العرب ما هو؟ قال: «أن يأخذ الرَّجلُ ما ليس له». فقال السائلُ: «فإن الله له كل شيء». وفي رواية: فقال: «الظُّلم عند العرب هو: فعل ما ليس للفاعل فعله، وليس من شيء يفعله الله إلا وله فعله، ألا ترى أنه فاعل بالأطفال والمجانين والبهائم ما شاء من أنواع البلاء، فقال: ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ (نوح ٢٥) فأغرقهم صغيرَهم وكبيرَهم، وقال: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (الذاريات: ٤١) وغير ذلك من الآيات الواردة في تعذيب الصغير والكبير والأطفال والمجانين بأنواع البلاء». **والله تعالى أعلم**[3]

باب القول في الهداية والإضْلال[4]

١٥- روى الحاكم والبيهقي عن رافع الزُّرقي[5]، قال: لَمَّا كان يوم أُحُد انْكَفَأ المشركون، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الإمام معمر في جامعه: (٢٠٠٩٧)، وعبد الرزاق في مصنفه: (٢٠٠٩٧)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٤٩.

(*) نهاية: ق١٠/ ب. والسائل له هو الإمام الحاكم رحمه الله كما في الاعتقاد: ص١٥٠.

(٢) تقدمت ترجمته في القسم الدراسي من هذا الكتاب أثناء الكلام عن شيوخ الإمام البيهقي.

(٣) الاعتقاد: ص١٥٠.

(٤) قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧) ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الأنعام: ٣٩) ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (القصص: ٥٦).

(٥) هو: رافع بن رفاعة بن خديج الأنصاري المدني، من ثقات التابعين، يروي عن حذيفة رضي الله عنه أخرج له الإمامان أحمد وأبو داود، توفي رحمه الله سنة (١٠٠هـ) في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: ج٣/ ١٩٩ دار الفكر، بيروت ط: ١/ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الإصابة لابن حجر: ج٢/ ٤٣٧ دار الجيل، بيروت، ط: ١ / ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

« استووا حتى أثنيَ على ربِّي فصارُوا خلْفَه صُفوفاً فقال: اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه، اللهمَّ لا مانعَ لِمَا بسطتَّ، ولا باسطَ لما قبضتَّ، ولا هادي [لِمَنْ] أضْللتَ، ولا مضلَّ [لِمَنْ][1] هديتَ، ولا [مُنطيَ] لِمَا منعْتَ، ولا مانعَ لِمَا [أنطيتَ][2]، ولا مقرِّبَ لِمَا باعدتَّ، ولا مباعِدَ لِمَا [قرَّبْتَ][3]»[4]. الحديث.

باب القول في وقوع أفعال العبد بمشيئة الله ﷻ لا بمشيئة أنفسهم[5]

١٦- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ وغيرهُما عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ النبي ﷺ

(١) هكذا في الأصل، وفي الاعتقاد: ص١٥٣ (لما) والذي أثبته الإمام الشعراني جاء في رواية أحمد والنسائي والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي في الدعوات الكبير، كما تمَّ تخريجه.

(٢) هكذا في الأصل، والذي في الاعتقاد: ص١٥٣: (لا مُعْطي) و(أعْطَيتَ)، والذي أثبته الإمام الشعراني جاء من رواية البيهقي في الدعوات الكبير: (١٧٣)، و(أنطى) و(مُنْطِي على وزن مُفْعِل) لغة أهل اليمن في أعطى، ومنه الحديث: «اليد المُنطية خير من اليد السفلى.» انظر: النهاية في غريب الأثر للإمام ابن الأثير: ج٥/ ٧٥ المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

(٣) هكذا في الأصل، وفي الاعتقاد: ص١٥٣ (قاربْتَ) والذي أثبته الإمام الشعراني جاء في رواية أحمد والنسائي والبزار والطبراني والحاكم.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: (١٥٥٣١)، والنسائي في سننه الكبرى: (١٠٤٤٥)، والبزار في مسنده: (٣٧٢٤)، والطبراني في الكبير: (٤٥٤٩)، والحاكم في المستدرك: (١٨٦٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.» والبيهقي في الاعتقاد: ص١٥٣، قال الإمام الهيثمي: «رواه أحمد والبزار واقتصر على عبيد ابن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح،...ورجال أحمد رجال الصحيح.» مجمع الزوائد: ج٦/ ١٢٢.

(٥) قال الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠) فأخبر اللهُ أنَّا لا نشاء شيئاً إلا أن يكون الله قد شاءه وأراده، لأنه لا يخرج شيء في الوجود كله عن إرادة الله تعالى ومشيئته، وقال أيضاً: ﴿مَّا كَانُوٓاْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ (الأنعام: ١١١)، وقال أيضاً: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ (السجدة: ١٣) والمتتبع للآيات القرآنية يجدها كثيرة في هذا المعنى، والله تعالى أعلم. انظر: الاعتقاد: ص١٥٦.

- وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان».

قال:«لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يُختَم له، فإنَّ العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثُمَّ يتحوَّلُ فيعمل عملاً سيئاً، وإنَّ العبد ليعمل قبل موته زماناً من دهره بعملٍ سيِّء لو مات عليه لدخل النار، ثم يَتَحوَّل فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته، قالوا: يا رسول الله، وكيف يستعمله قبل موته ؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه»[1].

قلتُ[2]: ومَن تأمَّل في قول إبليس ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ (الأعراف:١٦) وجده أكثر(*) أدباً مع الله من المعتزلة؛ لأنه أضاف فعل الإغواء إلى الله، والمعتزلة أضافوه إلى أنفسهم. والله تعالى أعلم[3]

باب القول في الأطفال [إنَّهم يُولَدون على فطرة الإسلام]

١٧ - روى أبو داود والبيهقيُّ وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَد على الفِطْرة فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه كما تُناتَج الإبل من بهيمة

[أخرجه أحمد في مسنده: (٢٣٣١٣)، وأبو داود الطيالسي في مسنده: (٤٣٠)، وأبو داود في سننه: (٤٩٨٠) والنسائي في سننه الكبرى: (١٠٨٢١)، والبيهقي في سننه الكبرى: (٥٦٠١).]

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١٢٢٣٥)، وأبو يعلى في مسنده: (٣٧٥٦)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٥٧ قال **الإمام الهيثمي**: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.» مجمع الزوائد: ج٧/ ٢١١.

(٢) القائل هو الإمام الشعراني وليس الإمام البيهقي.

(*) نهاية: ق١١/ أ.

(٣) **قال الإمام البيهقي** رحمه الله في الاعتقاد: ص١٦٢ - بعدما ذكر الآيات والأحاديث والإجماع وأقوال العلماء وخاصة الإمام الشافعي على أن كل الأعمال التي تصدر من الإنسان خيرها وشرها إنما هي بمشيئة الله وإرادته - ما نصه: «وعلى نحو قول الشافعي ﷺ في إثبات القدر لله، ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله درج أعلام الصحابة والتابعين، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار: الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم ﷺ، وحكينا عن أبي حنيفة رحمه الله مثل ذلك».

جَمْعاء هل تُحسُّ من جدعاء؟»[1] قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يَموت وهو صغير؟ قال:« الله أعلم بما كانوا عاملين»[2].

- **قال البيهقي**:«فآخر هذا الخبر يدلُّ على أن المرادَ بالأول بيان حكمه في الدنيا، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ :«والفطرة هي التي فَطَرَ اللهُ عليها الخَلقَ فجعلهم رسولُ الله ﷺ ما لم يُفصِحوا بالقول فيختاروا أحدَ القولين، الإيمانَ أو الكفرَ [لا حكمَ لهم في أنفسهم إنما الحكمُ لهم بآبائهم][3] فما كان عليه آباؤهم يومَ يولَدون فهم بحالهم إما مؤمِنٌ فعلى إيمانه، وإما كافر فعلى كفره»[4].

- **قال البيهقي**:«يؤكد هذا ما رويناه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في هذا الحديث، فإن كانا مسلمين فمسلم، **فأما حكمهم في الآخرة** فبيانه في آخر الخبر، وهو قوله:« الله أعلم بما كانوا عاملين.» فحكمهم في الدنيا في النكاح والمواريث وسائر أحكام الدنيا حكم آبائهم حتى يعربوا عن أنفسهم بأحدهما، وحكمهم في الآخرة موكول إلى علم الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم».

- **قال البيهقي**:«وعلى مثل هذا يدل حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ في أطفال

---

(١) ومعناه:كما تلد البهيمةُ بهيمةً جَمعاء بالمد أي مجتمعة الأعضاء، سليمة من نقص لا توجد فيها جدعاء بالمد، وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء، والمقصود منه:أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها.انظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووي:ج١٦/ ٢٠٩ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٢/ ١٣٩٢هـ.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٢٢٦)، ومسلم في: (٢٦٥٨)، وأبو داود في سننه: (٤٧١٤)، والبيهقي في الاعتقاد:ص١٦٤.

(٣) في الأصل: (لا حكم لهم بآبائهم) والذي أثبته هو نص الاعتقاد:ص١٦٤-١٦٥، وهو الصحيح والله أعلم.

(٤) انظر: الاعتقاد:ص١٦٤-١٦٥

المسلمين، فروينا عنها أنها قالت:

١٨- «أتي النبي ﷺ بصبيٍّ من الأنصار ليصلِّيَ عليه قالت: فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءًا، ولم [يَدْرِه][(١)]»، فقال: «أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلاً خَلَقَها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق(*) النار وخلق لها أهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم»[(٢)(٣)]. فهذا الحديث يَمنع من

(١) في الأصل [يَدْرَنْ] والذي أثبتُّه موافق للاعتقاد: ص١٦٥، وكأن المثبت أعلاه سهو قلم من الناسخ، لأنه غير موجود في روايات هذا الحديث فقد جاء «يدرك الشر» عند أحمد، وعند مسلم والنسائي وابن ماجه: «ولم يدركه»، وعند الطيالسي: «ولم يدربه» والله أعلم.

(*) نهاية: ق١١/ ب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢٥٧٨٣)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٦٢)، والطيالسي في مسنده: (١٥٧٤)، والنسائي في سننه الكبرى: (٢٠٧٤)، وابن ماجه في سننه: (٨٢)، وابن حبان في صحيحه: (٦١٧٣)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٦٥.

(٣) **قال الإمام النووي** رحمه الله عند شرح هذا الحديث، مبيناً العقيدة الصحيحة في هذه المسألة:

«أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلَّفاً، وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا، وأجاب العلماء عنه:

أ- بأنه لعلَّه نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد رضي الله عنه في قوله: «أعطه إني لأراه مؤمناً».

ب- ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، فلمَّا عَلِم قال ذلك في قوله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم.» [أخرجه البخاري: (١١٩١)] وغير ذلك من الأحاديث والله أعلم.

- **وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب:**

١- قال الأكثرون: هم في النار تبَعاً لآبائهم.

٢- وتوقفتْ طائفةٌ فيهم.

٣- **وهو الصحيح** الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها:

قطع القول بكونهم في الجنة[1].

-حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا:«يا رسول الله وأولاد المشركين قال:وأولاد المشركين.» رواه البخاري في صحيحه.

- ومنها **قوله تعالى:** ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:١٥) ولا يتوجَّه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول ﷺ: وعن الصبي حتى يبلغ. وهذا متفق عليه والله أعلم.

- **وأما الفطرة** المذكورة في هذه الأحاديث، فقال المازري:«قيل هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وأن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين، وقيل: هي ما قضى عليه من سعادة أو شقاوة يصير إليها.

- **وقيل**:معناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به، فليس أحد يولَد إلا وهو يقِرُّ بأن له صانعاً، وإنْ سمَّاه بغير اسمه أوعَبَدَ معه غيره، **والأصح**: أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا، وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم وإلا مات على كفره.**انظر**:شرح صحيح مسلم للنووي:ج١٦/ ٢٠٧-٢٠٨

(١) لكن هذا الحديث معارَض بأدلة كثيرة قوية، تُثْبت أن أولاد المؤمنين في الجنة، منها ما ذكره الإمام النووي رحمه الله ، من القرآن والسنة والإجماع، كما مرَّ معنا آنفاً، **ومنها ما ذكره غيره من الأئمة، كالإمام الكبير ابن عبد البر المالكي الذي يستوقفنا كلامه** حول هذه المسألة، حيث قال رحمه الله معلِّقاً على حديث البخاري السابق في شأن أولاد المؤمنين:

«ومعناه عند أهل العلم الذين لم يبلغوا الحلم، ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة والله أعلم؛لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم من أجلهم استحال أن يُرحَموا من أجْلِ مَن ليس بمرحوم ألا ترى إلى قوله ﷺ بفضل رحمته إياهم، فقد صار الأب مرحوماً بفضل رحمتهم، وهذا على عمومه؛لأنَّ لفظه ﷺ في هذه الأحاديث لفظ عموم وقد **أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافاً إلا فرقة شذت من المُجبِرة فجعلتهم في المشيئة، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة، وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط في مثل هذا.** ثم ذكر عدة أحاديث تدل على هذا الكلام فمنها:

- [عند مسلم:(٢٦٣٥)] عن أبي حسان قال:قلت لأبي هريرة:إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال:«نِعْم صغارُهُم **دَعاميص الجنة** يتلقَّى أحدُهم أباه أو قال

أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة».

- وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة بن إياس المزني عن أبيه عن النبي ﷺ: أن رجلاً من الأنصار مات له ابن صغير فوجد عليه، فقال له رسول الله ﷺ:«أما يسرُّك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدتَّه يستفتحُ لك، فقالوا:يا رسول الله أَلَهُ خاصَّةً أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامَّةً.» **قال الإمام ابن عبد البر**:«وهذا حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه، وفي هذه الآثار مع إجماع الجمهور **دليل واضح على سقوط حديث طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين**... وهذا حديث ساقط ضعيف مردود بما ذكرنا من الآثار والإجماع، **وطلحة بن يحيى ضعيف** لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه.»انظر:التمهيد لابن عبد البر:ج٦/ ٣٤٧-٣٥٠ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ تحقيق: مصطفى العلوي ،محمد البكري.

- ومعنى قوله:«**دَعامِيْص الجَنَّة**» بالدال والعين والصاد المهملات واحدهم دُعْموص، بضم الدال أي صغار أهلها، وأصل الدُّعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي إن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم:ج١٦/ ١٨٢.

- **قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث:**

«وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة، وقد نقل جماعة فيهم إجماع المسلمين وأما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع متحققٌ على أنهم في الجنة، وأما أطفال من سواهم من المؤمنين فجماهير العلماء على القطع لهم بالجنة، ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعاً لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ (الطور:٢١)، **وتوقف بعض المتكلمين فيها**، وأشار إلى أنه لا يقطع لهم كالمكلَّفين والله أعلم.» شرح مسلم:ج١٦/ ١٨٣.

(١) **طُبِعَ**:أي جُبل على الكفر، وكتب في بطن أمه من الأشقياء، ولا يعارضه خبر كل مولود يولد على الفطرة؛لأن المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام، وذلك لا ينافي كونه شقياً في جبلته، لذلك يجب تأويله قطعاً-كما قال العلماء - لأنَّ أبويه كانا مؤمنين فيكون هو مسلماً، **فيُتَأَوَّل** على أن معناه أن الله يعلم أنه لو بلغ كان كافراً، لا أنه كافر حالاً إذ أبواه مؤمنان، ولا يجري عليه في الحال أحكام الكفار، لكنه لو عاش حتى بلغ لأرهق أبويه، أي لحملهما حبه على اتباعه في كفره، فكان ذلك طغياناً وتجاوزاً للحَدِّ في المعصية وكفراً أي جحوداً للنعمة والله أعلم.انظر: شرح مسلم للنووي:ج١٦/ ٢٠٨، فيض القدير للإمام المناوي:ج٤/ ٤١٦المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط:١/ ١٣٥٦هـ.

كافراً»[1]. يدلُّ على ذلك فقد كان أبواه مؤمنين[2].

وقد روينا في أواخر كتاب القدر أخباراً في أنَّ أولاد المشركين مع آبائهم في النار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة وأخباراً غيرَ قوية في أولاد المشركين أنهم خدام أهل الجنة، وما صحَّ من ذلك يدل على أن أمرهم موكول إلى الله تعالى، وإلى ما علم الله من كل واحد منهم وكتب له السعادة أو الشقاوة، وقد قيل في أولاد المسلمين: إن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة بأن ألْحَقَ بِهم ذرياتِهم في الجنة»[3].

١٩ - فروى **الحاكمُ والبيهقيُّ** وغيرُهما عن ابن عباس ﷺ، في قوله ﷻ: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال: «الله ﷻ يَرفعُ ذرِّيَّةَ المؤمن معه في درجته في الجَنَّة، وإن كانوا دونه في العمل، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[4] (الطور:٢١)، يقول: وما نقصناهم»[5].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢١١٥٩)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٦١)، وأبو داود في سننه: (٤٧٠٥)، والترمذي في سننه: (٣١٥٠)، وابن ماجه: (٨٣)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٣٩، وقد تقدم.

(٢) يدلُّ كلامُ الإمام البيهقي هذا على أن هناك قولاً بالتوقف في مصير أولاد المؤمنين وأولاد الكافرين إذا ماتوا صغاراً، يعني أنهم موكولون إلى الله تعالى، ولا نقطع لهم بجنة أو نار، وقد قال به جماعة من العلماء، ولكنه خلاف الصحيح كما ذكر الإمامان الجليلان ابن عبد البر والنووي وغيرهما، وهو اختاره الإمام البيهقي أيضاً كما سيأتي في كلامه اللاحق.

(٣) انظر: الاعتقاد: ص١٦٥-١٦٦.

(٤) هذه الآية الكريمة بهذه القراءة ليست قراءة حفص المشهورة في بلادنا، ففي قراءة حفص: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾، فقد قرأ الجمهور: ﴿ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بإسناد الفعل إلى الذرّية، وقرأ أبو عمرو ﴿ أَتْبَعناهم ﴾ بإسناد الفعل إلى المتكلم، كقوله: ﴿ ألحقنا ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالإفراد، وقرأ ابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب بالجمع، إلاّ أن أبا عمرو قرأ بالنصب على المفعولية لكونه قرأ ﴿ وأَتْبعناهم ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالإفراد، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب على الجمع. انظر: فتح القدير للإمام الشوكاني: ج٥/ ٩٧ دار الفكر - بيروت.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٣٧٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢١٠٨٠)، والاعتقاد: ص١٦٦.

- قال البيهقيُّ: «وروينا عن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩) فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني: بإيمان، فأدخل الله ﷻ الأبناء بصلاح الآباء الجنة»[1].

- قال البيهقيُّ[2]: «فيحتمل أن يكون خبر عائشة ؓ في وَلَدِ الأنصاريِّ قبل نزول الآية، فجرى رسول الله ﷺ على الأصل المعلوم في جريان القلم بسعادة كل نسمة أو شقاوتها فمنع من القطع بكونه في الجنة، ثم أكرم الله تعالى أمته بإلحاق ذرية المؤمن به وإنْ لَم يعملوا عملَه، فجاءت أخبار بدخولِهم الْجَنَّة، فعلمْنَا بِها جريان القلم بسعادتِهم، فمنها:

٢٠- حديث أبي هريرة ؓ: «صغارهم دَعَامِيص الْجَنَّة»[3]. أو قال: «دَعامِيص أهل الْجَنَّة».[4]

٢١- وفي حديث أبي هريرة ؓ أيضاً، عن[*] عن النبي ﷺ: «أولاد المسلمين في جبل في الْجَنَّة يَكفُلُهُم إبراهيمُ وسارَّةُ[5] عليهما السلام، فإذا كان يوم القيامة دُفِعوا إلى آبائهم»[6].

---

(١) الاعتقاد: ص١٦٦.

(٢) في الاعتقاد: ص١٦٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١٠٣٣٠)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٣٥)، والبيهقي في سننه الكبرى: (٦٩٣٤)، وقد تقدم معنى قوله ﷺ: «دعاميص.»

(٤) الاعتقاد: ص١٦٧.

(*) نهاية: ق١٢/أ.

(٥) بالسِّين المهملة والراء المشددة، لأنها كانت لبراعة جمالها تسرُّ كل من يراها، وقيل: إنها أعطيت سدس الحسن، وهي بنت عم إبراهيم عليه الصلاة والسلام. انظر: فيض القدير: ج١/ ٥٣٨.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٨٣٠٧) وابن حبان في صحيحه: (٧٤٤٦) بدون ذكر سارَّة، والحاكم في المستدرك: (١٤١٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في

٢٢- وفي حديث معاوية بن قُرَّة[1]، عن أبيه[2]، عن النبي ﷺ في قصة الرجل الذي هلك ابن له قال: فعزّاه النبي ﷺ فقال: «يا فلان أيُّها أحبُّ إليك: أن تَمَتَّع به عُمُرَك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجَنَّة إلا وجدتَّه قد سبقك إليه يفتحُه لك؟» فقال: يا نَبِيَّ الله، لا بل يسبقني إلى أبواب الجَنَّة أحبُّ إليَّ، قال: فذاك له، فقام رجلٌ من الأنصار فقال: يا نبيَّ الله، جعلني الله فداك أهذا لهذا خاصة أو من هَلَكَ له طفلٌ من المسلمين كان ذاك له ؟ قال: «من هَلَكَ له طفلٌ من المسلمين كان ذلك له»[3].

- **قال البيهقيُّ**[4]: «وأسانيدُ هذا الحديث مع غيرها ذكرناها في باب الصَّبر من كتاب الجامع، وكلُّ ذلك فيمن وافى أبويه يوم القيامة مؤمنين أو أحدهما، فيَلْحقْ

الاعتقاد: ص١٦٧، قال الإمام الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت، وثَّقه المدينيُّ وجماعةٌ، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.» مجمع الزوائد: ج٧/ ٢١٩.

(١) هو: معاوية بن قرة ابن إياس بن هلال بن رئاب، التابعي، الإمام العالم، الثبت، الثقة، أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس، قيل: إنه ولد يوم الجمل، حَدَّث عن والده وعن علي، وابن عمر وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة وابن عباس والحسن وأنس بن مالك وغيرهم ﷺ، حَدَّث عنه ابنُه إياس وثابت البناني وغيرهما، توفي سنة: (١١٣هـ) وهو ابن (٧٦) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء: ج٥/ ١٥٣-١٥٥.

(٢) هو: قرة بن إياس بن هلال بن رياب المزني ﷺ، جد إياس بن معاوية القاضي الحكيم الذكي قاضي البصرة ويقال له قرة بن الأغر، له صحبة، روى عنه ابنه معاوية، استعمله عثمان ﷺ على كرمان، خرج في زمن معاوية ﷺ في نحو من عشرين ألفاً يقاتلون الخوارج ومعه ابنه معاوية بن قرة، فقتل قرة ﷺ في ذلك اليوم من سنة (٦٤هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣/ ١٢٨٠ دار الجيل، بيروت، ط:١/ ١٤١٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٥/ ٤٣٣.

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى: (٢٠٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦٨٨١)، الاعتقاد: ١٦٧.

- **قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد**: ج٦/ ٣٥٠: «وهذا حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه.»، **وقال الإمام النووي في خلاصة الأحكام**: ج٢/ ١٠٤٦: «رواه النسائي بإسناد حسن.»

(٤) في الاعتقاد: ص١٦٨.

بالمؤمن ذرِّيته كما جاء به الكتاب(١)، ويستفْتِحُ له كما جاءت به السُّنَّة، ويحكم لها بأنها كانت ممن جرى له القلم بالسعادة».

- وقد ذكر **الشافعيُّ** رحمه الله في كتاب المناسك(٢) ما دَلَّ على صحَّة هذه الطَّريقة في أولاد المسلمين فقال: «إن الله عز وجل بفَضْل نعمته أثاب الناس على الأعمال أضعافها، ومَنَّ على المؤمنين بأَنْ أَلْحَقَ بهم ذُرِّياتِهم، وَوَفَّر عليهم أعمالَهم فقال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فلمَّا مَنَّ على الذَّراري بإدخالهم جنَّته بلاعمل كان أنْ مَنَّ عليهم بأنْ يَكتُب لهم عَمَلَ البِرِّ في الحج، وإن لم يجبْ عليهم مِن ذلك المعنى، قال: وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنهم يَدْخُلون الجنة» انتهى.

- **قال البيهقيُّ**(٣): «وهذه طريقة حسنة في جملة المُؤمنين الذين يُوافُون القيامةَ مُؤمِنِيْن، وإلحاق ذريتهم بهم كما ورد به الكتاب، وجاءت به الأحاديث إلا أن القطع به في واحد من المؤمنين بعينه(*) غير مُمكِن لما يُخشى من تغيُّر حالِه في العاقبة ورجوعه إلى ما كُتب له من الشَّقاوة، فكذلك قَطعُ القول به في واحد من المولودين غير مُمكِنٍ؛ لعدم علمنا بما يؤول إليه حال متبوعه، وبما جرى له به القلم في الأزل من السعادة أو الشقاوة، وكان إنكار النبي صلى الله عليه وسلم القطع به في حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها لهذا المعنى، فنقول بما ورد به الكتاب والسنة في جملة المؤمنين وذرياتهم ولا نقطع القول به في آحادهم لما ذكرنا، وفي هذا جمع بين جميع ما ورد في هذا الباب والله أعلم».

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١).

(٢) في كتاب الأم: ج٢/ ١١١.

(٣) في الاعتقاد: ص١٦٨، وكلام الإمام البيهقي وتوجيهه للأدلة هنا قريب جداً من كلام الإمامين ابن عبد البر والنووي الذي هو مذهب المحققين من العلماء، والذي هو أيضاً مذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه كما قال في الأم.

(*) نهاية: ق١٢/ ب.

- **قال:**«ومن قال بالطريقة الأولى في التوقف في أمرهم جَعَل امتحانَهم وامتحان أولاد المشركين في الآخرة، محتجّاً بما رويناه

٢٣- عن الأسود بن سريع رضي الله عنه[1] أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال:«أربعةٌ يومَ القيامة يُدْلون على الله بحُجَّةٍ: رجلٌ أصَمٌّ لا يسمع، ورجلٌ أحْمق، ورجل هَرِمٌ، ورجل مات في فترة، فأمَّا الأصَمُّ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في فترة فيقول: رب ما أتاني الرسول، فيأخذ مواثيقَهم لَيُطيْعُنَّه، ويرسل إليهم أن ادخلوا النار، فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها ما كانت عليهم إلا برداً وسلاماً»[2]. **قال:**« وهذا إسناد صحيح»[3].

٢٤- وروى ليثُ بن أبي سليم[4] والحاكم مرفوعاً:« يؤتى يوم القيامة بمن مات في

---

(١) هو: الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزال...بن سعد بن زيد مناة بن تميم، التميمي، السعدي، الصحابي الجليل رضي الله عنه، والشاعر المشهور، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع غزوات، خرج له ابن حبان في صحيحه وابن السكن من طريق السري، وروى له البخاري في الأدب المفرد له حديثاً، كان في أول الإسلام قاصاً، ثم كان أول من قَصَّ في مسجد البصرة، كانت له دار بجانب الجامع بالبصرة، اختُلف في وفاته، فقيل توفي في عهد معاوية رضي الله عنه، وقيل: مات سنة: (٤٢هـ)، وقيل: إنه فُقِدَ أيامَ الجمل، وجزم بذلك جماعة من العلماء، وقيل: لما قتل عثمان رضي الله عنه ركب سفينةً، وحمل معه أهله وعياله فانطلق فما رُئِيَ بعد. انظر: الإصابة: ج١/ ٧٤.

(٢) أخرجه أحمد: (١٦٣٤٤)، وابن حبان: (٧٣٥٧)، والطبراني في الكبير: (٨٤١)، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٦٩، قال الإمام الهيثمي في المجمع ج٧/ ٢١٦:«رواه الطبراني وذكر بعده إسناداً إلى أبي هريرة بمثل هذا الحديث.. وهذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح.... »

(٣) الاعتقاد: ص١٦٩.

(٤) ليث بن أبي سليم أبو بكر ويقال أبو بكير الكوفي، مُحَدِّث الكوفة، وأحد علمائها الأعيان على لِينٍ في حديثه لنقصِ حفظه ولد بعد الستين في دولة يزيد، وحدث عن أبي بردة والشعبي ومجاهد وطاووس وعطاء ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، معدود في صغار التابعين وكان في حياة بعض الصحابة كابن أبي أوفى وأنس رضي الله عنهم، حدث عنه

الفترة، والشيخ الفاني والمعتوه والصغير الذي لا يعقل، فيتكلمون بحُجَّتِهم وعُـذْرِهم، فيأتي عُنُقٌ من النَّار، فيقول لهم ربُّهم:(إني كنت أرسل إلى الناس رسلاً من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه النار)، فأمَّا من كُتِب عليهم الـشَّقاوة فيقولـون: ربنـا منها فررنا، وأما أهل السَّعادة فينطلقون حتى يدخلوها فيدخل هؤلاء الجَنَّـة، ويـدخل هؤلاء(*) النار، فيقول للذين كانوا لم يطيعوه:(قد أمرتُكم أن تـدخلوا النـار فعـصيتموني وقد عاينتموني، فأنتم لرسلي كنتم أشدَّ تكذيباً)»[1]

- قـال البيهقـيُّ[2]:«وهكـذا ينبغـي أن يقـول مـن قـال بالطريقـة الثانيـة في أولاد المسلمين، فمن لم يوافِ أحَدَ أبويه القيامة مؤمناً يُجعلُ امتحانُه في الآخـرة حيـث لم يَجِـدْ متبعاً يلحق به في الجَنَّة». والله تعالى أعلم.

باب القول في الآجال والأرزاق[3]

٢٥- روى البيهقيُّ وابنُ القَطَّان وغيرُهما مرفوعاً:«يُوكَل الموكَّل على النُّطْفة بعدما تسْتقرُّ في الرَّحِم بأربعين أو خَمسٍ وأربعـين ليلـةً، فيقـول: أي ربِّ مـاذا أشـقيٌّ هـو أو

الثوري وشعبة والفضيل بن عياض، وخلق كثير، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٨هـ) وقيـل:(١٤٣هـ).انظـر: سير أعلام النبلاء:ج٦/ ١٧٩-١٨١.

(*) نهاية: ق١٣/أ.

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد:ص١٦٩-١٧٠، وابن عبد البر في التمهيد:ج١٨/ ١٢٨عن أنس ﷺ مرفوعـاً، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد:ج٧/ ٢١٦:«رواه أبو يعلى والبزار، فيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقيـة رجال أبي يعلى رجال الصحيح.»

(٢) في الاعتقاد:ص١٧٠.

(٣) **الآجال** جمع أجل وهو: عبارة عن الوقت الذي ينقطع فيه فعلُ الحياة، كما أن أجل الدَّين عبـارة عـن الوقـت الذي يحل فيه الدين فالمقتول والميت أجلُهما عند خروج روحهما، قـال الله تبـارك وتعـالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٤).انظر: الاعتقاد:ص١٧١.

سعيدٌ؟ فيقولُ الله ﷻ فيكتبان، ثم يقول: أي ربِّ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ﷻ فيكْتُبان، ويَكتُبُ عمَلَه وأجَلَه ورزْقَه وعُمُرَه، ثم تُرفَع الصُّحُفُ فلا يُزاد فيها ولا يُنقَصُ»[1].

٢٦- وروى **البيهقيُّ** عن أم حبيبة ﷺ قالت:«اللهمَّ أمتِعْني بزوجي رسولِ الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها النبيُّ ﷺ: قد دعوتِ اللهَ لآجالٍ معلومةٍ وأرزاقٍ مَقْسومة وآثارٍ مَبْلوغة لا يُعجِّلُ شيءٌ منها قبل حِلِّها، ولا يُؤخِّر شيءٌ منها بعد حِلِّها، فلو دعوتُ الله أنْ يُعافيَكِ أو سألتِ اللهَ أنْ يعيذَكَ أو يُعافيَكِ من عذابٍ في النار أو عذابٍ في القبر لكان خيراً أو لكان أفضل»[2]. والله أعلم.

باب القول في الإيمان[3]

٢٧- وروى **البيهقيُّ** وغيرُه عن النبيِّ ﷺ أنه سُئِل أيُّ المؤمنين أكملُ إيماناً؟ قال:«رجلٌ يجاهِد في سبيل الله بنفسه وماله، ورجل يعبدُ اللهَ في شِعْبٍ من الشِّعاب قد كَفَى النَّاس شَرَّه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣١٢)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٥١٩٩) والاعتقاد: ص١٧١ عن حذيفة بن أسيد ﷺ مرفوعاً.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٧٠٠) ومسلم في صحيحه: (٢٦٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى: (١٠٠٩٤) والبيهقي في الاعتقاد: ص١٧٣.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال:٢- ٤) فأخبر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضُها يقع في القلب، وبعضُها باللسان وبعضُها بها وسائر البدن، وبعضُها بها أو بأحدهما وبالمال، وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما نبَّه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص- يزيد بالطاعات كقراءة القرآن وذكر الله تعالى وينقص بالمعاصي والعياذ بالله- وإذا قَبِل الزيادةَ قَبِل النُّقْصان، والله أعلم.انظر:الاعتقاد: ص١٧٤.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده: (١١٥٥٢)، وأبو داود في سننه: (٢٤٨٥)، والحاكم في المستدرك: (٢٣٩٠) وقال:«حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.»، والبيهقي في الاعتقاد:ص١٧٨.

٢٨- **وفي روايةٍ أخرى للبيهقيِّ** مرفوعاً: «أكملُ المؤمِنِينَ إيماناً أحسنُهم خُلُقاً»(١).

- **قال البيهقيُّ**: «وقوله «أكمل المؤمنين إيماناً» أراد به - والله أعلم - «من أكمل المؤمنين إيماناً» جَمْعاً بينه وبين سائر ما ورد في هذا المعنى، وهذا لفظٌ [شائعٌ](٢)(*) في كلام العرب، يقولون: أكمل وأفضل، ومرادهم به: من أكمل ومن أفضل»(٣). **ثم قال**: «والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيماناً، وأنَّ **الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد** إذا كان الإسلام حقيقة ولم يكن بمعنى الاستسلام، وأن الإيمان يزيد وينقص سوى ما ذكرنا كثيرة، **وفيما ذكرنا هاهنا كفاية، قال**: وروينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ، وغيرهم من الصحابة والتابعين ما يكثر تعدادهم، وهو قول فقهاء الأمصار: مالك بن أنس، والأوزاعي(٤)،

- وأخرجه البخاري في صحيحه: (٢٦٣٤)، ومسلم في صحيحه: (١٨٨٨) بلفظ آخر هو: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «مؤمنٌ يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»، قالوا: ثم مَنْ؟ قال: «مؤمنٌ في شِعْب من الشِّعاب يتَّقي اللهَ ويَدَع النَّاس من شَرِّه». وكلهم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٧٣٩٦)، وأبو داود في سننه: (٤٦٨٢)، والترمذي في سننه: (١١٦٢) وقال: «حديث حسن صحيح.»، والدارمي في سننه: (٢٧٩٢)، وابن حبان في صحيحه: (٤٧٩)، والحاكم في المستدرك: (٢) وقال: «هذا حديث صحيح، ولم يُخرَّج في الصحيحين، وهو صحيحٌ على شرط مسلم.»، والبيهقي في الاعتقاد: ص١٧٨. قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٤ / ٣٠٣: «رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.»

(٢) هكذا في الأصل والذي في الاعتقاد: ص١٨٠: [سائغٌ].

(*) نهاية: ق١٣/ ب.

(٣) الاعتقاد: ص ١٧٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو، الأوزاعي - نسبة إلى أوزاع قرية بدمشق تسمى الآن بالعقيبة - الدمشقي، الفقيه الثقة المأمون، إمام أهل الشام، ولد في بعلبك سنة: (٨٨هـ) ونشأ في البقاع، ثم نقلته أمه إلى بيروت، وهو من كبار تابعي التابعين وأئمتهم البارعين، فقد سمع من الزهري وعطاء وروى عنه الثوري، وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كبيرة، قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، توفي رحمه الله سنة: (١٥٧هـ) يوم الأحد ببيروت. ينظر: وفيات الأعيان: ج٣/ ١٢٧، شذرات الذهب: ج١/ ٢٤١-٢٤٢.

والسُّفيانَين[1]، وحَمَّاد ابن زيد[2]، وحَمَّاد بن سلمة[3]، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد ابن حنبل، وإسحاق[4]، وغيرِهم من أهل الحديث»[5].

---

(١) السفيانان هما:سفيان الثوري وسفيان بن عيينة رحمهما الله فأما الأول فهو:

- سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، أبو عبد الله، الثوري، الكوفي، ولد سنة:(٩٥هـ)كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، سمع الحديثَ من أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومَن في طبقتهما، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك رحمهم الله جميعاً، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبصرة سنة:(١٦١هـ) متوارياً من السُّلطان، ودفن عشاء، ولم يعقِّب.ينظر:وفيات الأعيان:ج٢/ ٣٨٦-٣٩١.

- وأما الثاني فهو:سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد، الإمام العالم الثبت الحجة الزاهد، المجمع على صحة حديثه وروايته، ولد بالكوفة سنة:(١٠٧هـ)، وأصلها منها، نقله أبوه إلى مكة، روى عن الزهري ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرىء وغيرهم من أعيان العلماء، وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وابن جريج وعبد الرزاق، وغيرهم ﷺ، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة: (١٩٨هـ) بمكة ودفن بالحجون بمدافن أهل مكة.ينظر: وفيات الأعيان:ج٢/ ٣٩١-٣٩٣.

(٢) هو حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل، الأزدي مولاهم البصري الضرير، كان من أهل الورع والدين، قال الإمام ابن مهدي:«لم أرقط أعلم بالسنة منه، كان حديثه أربعة آلاف حديث يحفظها، ولم يكن له كتاب»، وقال الإمام ابن معين:«ليس أحد أثبت من حماد بن زيد»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة:(١٧٩هـ).ينظر: شذرات الذهب:ج١/ ٢٩٢.

(٣) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري الحافظ، سمع قتادة وأبا جمرة الضبعي وطبقتهما، كان سيد أهل وقته، فصيحاً مفوَّهاً إماماً في العربية، صاحب سُنَّة، له تصانيف في الحديث، وهوأحد الحمَّادَين وأجلُّهما، صاحبَي المذهبين، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة:(١٦٦هـ).ينظر: شذرات الذهب:ج١/ ٢٦٢.

(٤) هو إسحاق بن رَاهُويَه- لقب أبيه إبراهيم - بن مَخْلَد الحَنْظَلي، المروزي النيسابوري، الإمام الكبير، عالم المشرق وسيد الحفاظ، ولد سنة:(١٦١هـ)، جمع بين الحديث والفقه والورع، وكان أحد أئمة الإسلام، رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام، وسمع من سفيان بن عيينة ومَن في طبقته، وسمع منه البخاري ومسلم والترمذي، سكن في آخر عمره نيسابور، توفي سنة:(٢٣٨هـ).ينظر:وفيات الأعيان:ج١/ ١٩٩-٢٠٠، سير أعلام النبلاء:ج١١/ ٣٥٨-٣٨٣، شذرات الذهب:ج٢/ ٨٩.

(٥) الاعتقاد:ص١٨٠ بتصرف.

٢٩- **قال البيهقيُّ**:«وروينا عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«الإيمان قولٌ باللسان، عملٌ بالأركان، معرفةٌ بالقلب»[1].

[الاستثناء في الإيمان]

- **قال**:«وأما الاستثناء في الإيمان فقد كان يَستثني فيه جماعةٌ من الصَّحابة والتابعين وأتباعهم، وإنما رجع استثناؤهم إلى كمال الإيمان، وإلى بقائهم على إيْمانهم في ثاني [في الحال][2]، فأمَّا أصلُ الإيمان فكانوا لا يشُكُّون في وجوده في الحال»[3].

- **وقد روينا كالحاكم** عن الحسن البصري أنه سُئِل عن الإيمان، فقال:« الإيمان إيمانان، فإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال:٢ - ٤) **فو الله ما أدري أنامنهم أم لا؟**»[4].

فلم يتوقَّف الحسنُ في أصل إيمانه في الحال، وإنما توقف في كماله الذي وَعَدَ اللهُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٦٥) والطبراني في الأوسط: (٦٢٥٤)، وقال: لا يروى هذا الحديث عن علي ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد السلام بن صالح الهروي، والبيهقي في الاعتقاد:ص١٨٠، وفيه أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي وهو متفق على ضعفه، بل اتُّهمه بعض العلماء بوضع هذا الحديث.انظر: نصب الراية للحافظ الزيلعي:ج١/ ٣٤٥، مصباح الزجاجة للإمام البوصيري:ج١/ ١٢، اللآلىء المصنوعة للإمام السيوطي:ج١/ ٣٧.

(٢) هكذا في الاعتقاد:ص١٨٢، والموجود في الأصل [المآل].

(٣) الاعتقاد:ص١٨٢.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٧٦) والاعتقاد:ص١٨٢.

ﷻ لأهله الجنةَ بقوله: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:٤).

قلت: روى الإمامُ(*) أبو حنيفة ﷺ عن عطاء[1] أنه سئل عن ناس لا يثبتون الإيمان لأنفسهم، ويكرهون أن يقولوا: إنَّا مؤمنون، فقال:«وما لهم لا يقولون»؟فقال له علقمة:«يقولون إنا إذا أثبتنا لأنفسنا الإيمان جعلنا أنفسنا من أهل الجنة» فقال عطاء:«سبحان الله هذا من خدع الشيطان وحبائله، لقد رأيت أصحاب النبي ﷺ يثبتون الإيمان لأنفسهم، ويذكرون ذلك عن رسول الله ﷺ، فقل لهم: يقولون إنا مؤمنون، ولا يقولون إنا من أهل الجنة»[2]. والله أعلم.

- وروى البيهقيُّ عن سفيان الثوري أنه كان يقول:« قد خالفنا المرجئةَ في ثلاث، نحن نقول: الإيمان قول وعمل وهم يقولون قول بلا عمل، ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون:نحن عند الله مؤمنون مع جهلهم بالخاتمة»[3].

[حرمة مَن قالَ: لا إله إلا الله]

٣٠- وروى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال:«ثلاث من أصل الإيمان، الكَفُّ عمَّنْ قال لا إله إلا الله لا نكفِّره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد

(*) نهاية: ق١٤/أ.

(١) لم أجده فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٢) قال الإمام البيهقيُّ رَحِمَهُ اللهُ :«فسفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ أخبر عن أهل السنة أنهم لا يقطعون بكونهم مؤمنين عند الله يعني في ثاني الحال؛لأن الله تعالى يعلم الغيب، فهو عالم بما يصير إليه حال العبد ثم يموت عليه، ونحن لا نعلمه فنكل الأمر فيما لا نعلمه إلى عالمه خوفاً من سوء العاقبة، ونستثني على هذا المعنى ونرجو من الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والأحاديث التي وردت في جريان القلم بما هو كائن ورجوع كل إنسان إلى ما كتب له من الشقاوة والسعادة، فموته عليه مانعة من قطع القول بما يكون في العاقبة حاملة على الاستثناء وعلى الخوف من تبدُّل الحالة، والله يعصمنا من ذلك بفضله وسعة رحمته». الاعتقاد:ص١٨٣.

(٣) أخرجه البيهقي في الاعتقاد:ص١٨٣.

ماضٍ منذ بعثني الله ﷻ إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»[1].

- **قال البيهقي**:«ولهذه الأحاديث شواهد ذكرناها في كتاب الإيمان [وغيره][2]، وعلى هذا درج من مضى من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل السنة والجماعة».

٣١- وروى أبو داود والحاكم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال يعني عن الله ﷻ «أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام»[3].

[الإيمان والإسلام والإحسان في حديث سؤال جبريل]

٣٢- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ عن يحيى بن يَعمُر قال:«قلتُ لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، إن قوماً يزعمون أنْ ليس قدر؟ قال:فهل عندنا منهم أحد؟قال:قلت:لا، قال: فأبلغهم عني إذا لقيتهم أنَّ ابنَ عمر بريء إلى الله منكم وأنتم(*) براء منه»[4].

٣٣- وفي حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان[5]:«وتؤمن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٢٥٣٢) وأبو يعلى في مسنده: (٤٣١١) والبيهقي في السنن الكبرى: (١٨٢٦١) وفي الاعتقاد:ص١٨٨، وفيه يزيد بن أبي نُشبة - بضم النون-لم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود وهو مجهول، لم يرو عنه إلا جعفر بن برقان. ينظر: نصب الراية للحافظ الزيلعي:ج٣/ ٣٧٧، فيض القدير: ج٣/ ٢٩٣.

(٢) في الاعتقاد:ص١٨٨«ذكرناها في كتاب الإيمان وفي كتاب البعث والنشور».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٥٩٤) وقال:«حديث حسن غريب»، والحاكم في المستدرك، (٢٣٤) وقال:«صحيح الإسناد ولم يخرجا قوله من ذكرني أو خافني في مقام»، والبيهقي في الاعتقاد:ص٢٠١.

(*) نهاية: ق١٤/ ب.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٦٧)، والبخاري في صحيحه، (٥٠)، ومسلم في صحيحه، (٨)، وأبو داود في سننه، (٤٦٩٥) والترمذي، (٢٦١٠)، وابن ماجه، (٦٣)، وابن خزيمة، (١)، وابن حبان في صحيحه (١٧٣)، والبيهقي في سننه الكبرى، (٨٥٣٧)وفي الاعتقاد:ص٢٠٧، والدارقطني في سننه، (٢٠٧)وقال:«إسناد ثابت صحيح.» كلهم عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ﷺ، والبخاري عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) تنظر: المصادر السابقة.

بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

- قال البيهقيُّ:«وفي قوله ﷺ في الحديث:«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتحج البيت وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتتم الوضوء، وتصوم رمضان»[1] تسمية كلمة الشهادة إسلاماً، وسَمَّاه في حديث ابن عباس في قصة وَفْد عَبدِ القَيس[2] إيماناً، قال:وفي الحديثين دلالة على أنَّهما اسْمان لِمسمَّىً واحدٍ، إلا أنه في هذا الحديث فَسَّر الإيمان بما هو صريح فيه وهو التصديق، وفَسَّر الإسلامَ بما هو أمارة له، وإن كان اسمُ صريحِه يتناول أمارَتَه واسم أمارَتِه يتناول صريحَه، وهذا كما فَصَلَ بينهما وبين الإحسان، وإن كان الإيمان والإسلام إحساناً، والإحسان الذي فَسَّرَه بالإخلاص واليقين يكون إيماناً»[3].

[ثلاثة مواطن لا يذكر أحدٌ أحداً]

٣٤- وروى أبو داود والبيهقيُّ وغيرُهما عن عائشة ﵂ أنها ذكرت النار، فبكت فقال رسول الله ﷺ:«ما يبكيك؟» قالت: ذكرتُ النارَ فبكيتُ فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامة؟فقال رسول الله ﷺ:«أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً عند الميزان حتى يَعلم أيَخِفُّ ميزانُه أم يَثقُل، وعند الكتاب حين يقال:﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾

---

(١) هذه الرواية هي إحدى روايات الحديث السابق، وهي عند: ابن خزيمة في صحيحه، (١)، وابن حبان في صحيحه، (١٧٣)، والبيهقي في سننه الكبرى، (٨٥٣٧)، وفي الاعتقاد:ص٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٩٢٨)، ومسلم في صحيحه، (١٧) عن عبد الله بن عباس ﵁، ونصه، قال ﵁: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقالوا:يا رسول الله إنا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام فَمُرْنا بأمرٍ نعمل به، وندعو إليه مَن وَرَاءنا، قال:«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله ثم فَسَّرَها لَهم، فقال:شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم...»

(٣) الاعتقاد:ص٢٠٧-٢٠٨ بتصرف يسير.

(الحاقة:١٩)، حتى يعلم أين يقعُ كتابُه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم»[1].

- قال البيهقيُّ: «فالإيمان بالميزان واجب بما ذكرنا، ثم كيفية الوزن، فقد قيل: توضع صحف الحسنات في إحدى كفتي الميزان وصحف السيئات في الكفة الأخرى، ثم توزن، وقد ورد في بعض الأخبار ما يدل عليه، وقد يَجوز أن يُحدثَ اللهُ تعالى أجساماً مُقدَّرةً بعدد الحسنات والسيئات بحيث يتميز إحداهما من الأخرى، ثم توزن كما توزن الأجسام، والله أعلم(*)، وما ورد به خبر الصادق نؤمن به ونحمله على وجه يصح، وبالله التوفيق»[2].

٣٥- وروى الحاكمُ والبيهقيُّ مرفوعاً: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيْمانُها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَّال ودابَّةُ الأرض»[3].

٣٦- وروى الحاكم والبيهقيُّ وغيرُهما عن يعقوب بن عاصم قال: سمعتُ رجلاً قال لعبد الله بن عمرو ﷺ: إنك تقول: إنَّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: لقد هممت أنْ لا أحدِّثكم بشيء إنما قلتُ: إنَّكم ترون بعد قليل أمراً عظيماً، فكان حريق البيت،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٤٧٤٠)، وأبو داود في سننه، (٤٧٥٥)، والحاكم في المستدرك، (٨٧٢٢)، وقال: «هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة ﷺ وأم سلمة»، والبيهقي في الاعتقاد: ص٢١٠، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: ج٢/ ١٢٤٥: «وإسناده جيد.»

(*) نهاية: ق١٥/ أ.

(٢) الاعتقاد: ص٢١١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٩٧٥١)، ومسلم في صحيحه، (١٥٨)، والترمذي في سننه، (٣٠٧٢)، وقال: «حديث حسن صحيح.»، والبيهقي في الاعتقاد: ص٢١٣، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.

قال شعبة هذا أو نحوه، قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ:«يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين سنة، فيبعث الله عيسى ابن مريم ﷺ، كأنه **عروة بن مسعود الثقفي**، فيطلبه فيهلكه، ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قَبَضتْه حتى لو أنَّ أحَدَكم كان في كبد جبل لدخلت عليه، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون، فيأمرهم بالأوثان، فيعبدونها، وهم في ذلك دارَّةٌ[1] أرزاقُهم حَسَنٌ عَيشُهم، ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتاً يعني: ورَفَعَ لِيتاً[2] – ورفع بندار إحدى منكبيه – وأول من يسمعه رجل يلوط[3] حوضه، فيُصْعَق[4]، ثُمَّ لا يبقى أحد إلا صُعِق، ثم يرسل الله أو ينزل الله مطراً كأنَّه الطَّلُّ[5] أو الظُّلَل – شك الراوي – فينْبُتُ

---

(١) قوله (دارَّة) بتشديد الراء أي كثيرة أرزاقهم. ينظر: مرقاة المفاتيح للإمام ملا علي القاري: ج١٠/ ١٧٦.

(٢) قال الإمام النووي ﷺ في شرح صحيح مسلم: ج١٨/ ٧٦: «اللِّيت بكسر اللام وآخره مثناة فوق وهي صفحة العنق وهي جانبه، وأصغى أمال.» يعني أمال صفحة عنقه خوفاً ودهشة، ورفع ليتاً، والمراد منه هنا أن السامع يصعق فيصغى ليتاً، ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا، وكذلك شأن من تصيبه الصيحة فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الإصغاء إليه إسنادَ الفعل الاختياري. ينظر: مرقاة المفاتيح: ج١٠/ ١٧٦.

(٣) يلوط حوضه– أو يلوط حوض إبله عند غير البيهقي – أي يطيِّنُه ويصلِحُهُ. ينظر: شرح صحيح مسلم: ج١٨/ ٧٦.

(٤) أي يموت هو أولاً. مرقاة المفاتيح: ج١٠/ ١٧٦.

(٥) الطَّل – وهو الأصحُّ كما قال العلماء – بفتح الطاء وتشديد اللام أي المطر الضعيف الصغير القطر. ينظر: شرح صحيح مسلم: ج١٨/ ٧٧، مرقاة المفاتيح: ج١٠/ ١٧٦.

منه أجسادُ الناس، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨) ثم يقال: يا أيها الناس هلمُّوا[1] إلى ربكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ[2] النار(*)، فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تِسعَمائَةٍ وتسعةً وتسعين»[3].

- قال البيهقي: «سقط من كتابي ورفع لِيتاً، واللِّيت مجرى القُرط من العنق»[4].

باب الإيمان بعذاب القبر نعوذ بالله منه ومن عذاب النار

٣٧- روى البيهقيُّ وغيرُه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الميِّت إذا وُضِع في قبره إنه ليسمع خَفْقَ[5] نعالِهم حين يولُّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصَّلاة عند رأسه، وكان الصِّيام عن يمينه، وكانت الزَّكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصَّدقة، والصِّلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه، فتقول الصَّلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخل، ثم يُؤتَى مِن قِبل رِجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل، فيقال

---

(١) أي: تعالَوا أو ارجعوا أو أسرعوا إلى ربكم. مرقاة المفاتيح: ج١٠/ ١٧٧.

(٢) بعث النار: أي مَبْعوثَها بمعنى من يُبْعث ويُفْرَز إليها. المرجع السابق. قال **الإمام ملا علي القاري** رحمه الله في مرقاة المفاتيح: ج١٠/ ١٧٧: «قيل: هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يُتْركون فيها بِقدْرِ ذنوبهم، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة، ويجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة، لكن الظاهر أن المراد بهم الكفار الذي يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله تعالى أعلم بالصواب.»

(*) نهاية: ق١٥/ ب.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٦٥٥٥)، ومسلم في صحيحه، (٢٩٤٠)، والنسائي في سننه الكبرى، (١١٦٢٩)، وابن حبان في صحيحه، (٧٣٥٣)، والحاكم في المستدرك، (٨٦٥٤)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٢١٤، مع اختلاف بسيط في الألفاظ.

(٤) الاعتقاد: ص٢١٥.

(٥) الخَفْق: صوت وقع النعل على الأرض. ينظر: لسان العرب: ج١٠/ ٨٢، المصباح المنير: ج١/ ١٧٦.

له: اجلس....[1]» فذكر الحديث إلى أن قال: وأما الكافر أو [الفاجر][2] أُتِي من قِبَل رأسه فلم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلم يوجد شيء، ثم أتي عن يساره فلم يوجد شيء، ثم أتي من قبل رجليه فلم يوجد شيء، فيقال له: اجلس فيجلس خائفا مرعوباً، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، أيُّ رجل هو؟ وماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول: أيُّ رجل ؟ فيقال: الذي فيكم، فلا يهتدي لاسمه حتى يقال له: محمد، فيقول: ما أدري سمعت الناس قالوا قولاً، فقلت كما قال الناس، فيقال له: على ذلك حييتَ وعلى ذلك متَّ وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: ذلك مقعدك من النار، وما أوعد الله لك فيزداد حسرةً وثُبوراً[3]، ثم يفتح له باب من أبواب الجَنَّة فيقال له: ذلك كان مقعدك من الجَنَّة، وما أعد الله لك فيها لو أطعْتَه، فيزْدادُ حَسْرةً وثبوراً، ثم يُضَيَّق عليه قبره حتى تَختلفَ أضلاعُه»[4][5]. الحديث

---

(١) بقيته: «فيجلس قد مُثِّلتْ له الشمس قد دنت للغروب، فيقال له: هذا الرجل ماذا تقول فيه ؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، قال: عم تسألوني ؟ قالوا: ماذا تقول في هذا الرجل الذي فيكم، وبماذا تشهد عليه ؟ فيقول: أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حَيِيتَ وعلى ذلك مُتَّ، وعلى ذلك تُبعَث إن شاء الله، ثم يُفتَح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: انظر إلى مقعدك منها، وما أعدَّ اللهُ ﷻ لك فيها، فيزداد غِبطةً وسروراً ثم يُفسَح له قبره سبعون ذراعاً، ويُنوَّر له، ويُعادُ الجَسَدُ كما بُدِئ، ويُجعل نسمة من النَّسَم الطَّيِّب، وهي طائر تَعلَّقَ في شجرة الجنة » قال أبو هريرة ﷺ فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (إبراهيم:٢٧).

(٢) غير موجودة في أصل الحديث.

(٣) الثُّبور هو: الهلاك والخسران والويل. ينظر: لسان العرب: ج٤/ ٩٩.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٣١١٣)، والحاكم في المستدرك، (١٤٠٣) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.» والطبراني في الأوسط، (٢٦٣٠)، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٣/ ٥٢: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».

(٥) وفي نهايته: قال أبو هريرة ﷺ: فذلك قول الله ﷻ: ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٤).

باختصار. والأحاديث في عذاب القبر كثيرة، وقد استعاذ منه ﷺ [1]، وأَمَر أُمَّته بالاستعاذة منه[2]، والله أعلم.

باب الاعتصام بالكتاب والسنة، واجتناب البدعة

٣٨- روى البيهقيُّ وغيره مرفوعاً:«لا تجالسوا أهل القَدَر ولا تُفَاتِحوهم»[3][4].

٣٩- قال أبو ذر ﷺ:«وأمَرَنَا رسولُ الله(*) ﷺ أن لا نُغْلَبَ على أنْ نَأمرَ بالمعروف ونَنْهى عن المنكر ونُعلِّمَ النَّاسَ السُّننَ»[5].

- **قال البيهقيُّ**[6]:«وإنما سُمُّوا قدريةً؛لأنَّهم أثبتوا القَدَرَ لأنفسهم، ونَفَوه عن الله

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه، (٧٩٨)، ومسلم في صحيحه، (٥٨٩)عن السيدة عائشة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة:«**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر** وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجَّال، وأعوذ بك من فتنة المَحْيَا وفتنة المات، اللهمَّ إني أعوذ بك من المأثم والمَغْرَم».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، (٥٩٠) أبو داود في سننه، (١٥٤٢)، والترمذي في سننه (٣٤٩٤) وقال:«حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى، (٢١٩٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يُعلِّمُهم هذا الدُّعاء كما يُعلِّمُهم السُّورَةَ من القُرآن، يقول:«قولوا اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المَحيا والممات».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٠٦)، أبو داود في سننه، (٤٧١٠)، وابن حبان في صحيحه، (٧٩)، والحاكم في المستدرك، (٢٨٧)، وإسناده ضعيف، كما قال الإمام المناوي في فيض القدير:ج٦/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٤) قال الإمام الحافظ المناوي شارحاً هذا الحديث:«لا تجالسوا أهل القدر بالتَّحريك أي فإنه لا يُؤمَن أن يَغْمِسُوكم في ضلالهم، أو يَلبِسُوا عليكم بعضَ ما تعرفون، ولا تُفاتِحوهم أي:لا تحاكموهم- أي ترفعوا أمرَكم إلى حُكَّامهم- أو لا تبدؤوهم بالسلام، أولا تبدؤوهم بالمجادلة والمناظرة في الاعتقاديات؛لئلا يقع أحدكم في شكٍّ، فإنَّ لهم قدرة على المجادلة بغير حق، والأول أظهر.» فيض القدير:ج٦/ ٣٨٩.

(*) نهاية: ق١٦/ أ.

(٥) أخرجه البيهقي في الاعتقاد:ص٢٣٢، والحافظ ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق:ج٦٦/ ١٩٢.

(٦) الاعتقاد:ص٢٣٧.

سبحانه وتعالى، ونَفَوا عنه خلقَ أفعالِهم وأثبتوه لأنفسهم، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظُّلْمة، وأنَّ الخيرَ من فعل النُّور والشَّرَّ من فعل الظُّلْمة». وسيأتي بسط الاعتصام بالكتاب والسنة، بعد هذه العقيدة، في باب يخصه إن شاء الله تعالى.

باب طاعة الولاة، ولزوم الجماعة، وإنكار المنكر بلسانه أو كراهيته بقلبه، والصَّبْر على ما يصيبُه من سُلْطانِه[1]

٤٠- روى البيهقيُّ وغيْرُه مرفوعاً:«من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً إلا مات مِيتةً جاهليةً»[2].

باب معرفة جُمَلِ ما كُلِّف المؤمنون أنْ يَعقِلوه ويَعملوه ويُعطُوا مِنْ أنفسهم وأموالهم وأنْ يَكفُّوا عنه، وما حُرِّم عليهم منه

٤١- روى الحاكم والبيهقيُّ عن ابن الخصاصية قال:أتيت رسول الله ﷺ لأبايِعَه على الإسلام فاشترط عليَّ:«تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وتُصلِّي

---

(١) قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (النساء:٥٩) وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء:١١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٢٧٠٢)، والبخاري في صحيحه، (٦٧٢٤)، ومسلم في صحيحه، (١٨٤٩)، البيهقي في الاعتقاد:ص٢٤٥.

- والمعنى أن من خرج عن طاعة الإمام، وفارق جماعة الإسلام المنتظمة بنصب الإمامة، وشَذَّ عنهم ولو قدراً يسيراً (شبراً)، وخالف إجماعهم، ومات على ذلك فمات على هيئةٍ كانَ يموتُ عليها أهل الجاهلية؛ لأنهم ما كانوا يرجعون إلى طاعة أمير فلا يتبعون هُدى إمامٍ، بل كانوا مستنكفين عنها، مستبدِّين في الأمور، لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي، نسأل الله تعالى السلامة.ينظر: مرقاة المفاتيح:ج٧/ ٢٢٩.

الخمس، وتصوم رمضان، وتؤدي الزكاة، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله» قال: قلت: يا رسول الله، أما اثنتان فلا أطيقهما، أما الزكاة فما لي إلا عشرُ ذَودٍ هُنَّ رسل أهلي وحمولتهن، وأما الجهاد فيزعمون أنه من وَلَّى فقد باء بغضب من الله، فأخاف إذا حضرني قتالٌ كرهتُ وخشعتْ نفسي، قال: فقبض رسولُ الله يَدَه ثُمَّ حرَّكها ثم قال: «لا صدقةَ ولا جهادَ فَبِمَ تَدخُل الجَنَّة؟» قال: ثُمَّ قلت: يا رسول الله، أبايِعُك فبايعْنِي عليهِنَّ كلِّهنَّ[1]. والله أعلم(*).

باب القول في إثبات نبوة مُحَمَّد المصطفى ﷺ

- **قال البيهقيُّ**[2]: «ودلائل النُّبوَّة كثيرةٌ، والأخبار بظهور المْعجزات ناطقةٌ، وهي وإنْ كانت في آحاد أعيانِها غيْرَ متواترةٍ، ففي جنسها متواترةٌ متظاهِرَةٌ من طريق المعنَى؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ منها مُشاكلٌ لصاحبه في أنه أمر مُزعجٌ للخواطر ناقض للعادات، وهذا أحد وجوه التواتر الذي يثبت بها الْحُجَّة، وينقطع بها العذر، قال: وقد جَمعناها في **كتاب**[3] مع بيان ما جرى عليه أحوال صاحب المْعجزة أيام حياته ﷺ».

- **قال**: وقد روينا عن عبد الله بن سَلَّام[4]: إنه كان يقول: «إنا لنجدُ صِفةَ رسول

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٢٠٠٢) والطبراني في الأوسط، (١١٢٦) والكبير، (١٢٣٣)، والحاكم في المستدرك، (٢٤٢١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه الكبرى، (١٧٥٧٤)، والاعتقاد:ص٢٤٨.

(*) نهاية: ق١٦/ ب.

(٢) في الاعتقاد:ص٢٥٥.

(٣) هو كتاب دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة، وهو مطبوع عدة طبعات، منها بدار الحديث بالقاهرة.

(٤) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري وكان من بني قينقاع، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، يقال:كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ، روى عنه ابناه يوسف ومحمد، ومن الصحابة ﷺ فَمَن بعدهم أبو هريرة وعبد الله بن معقل وأنيس وآخرون، توفي ﷺ بالمدينة سنة (٤٣هـ).ينظر: الإصابة:ج٤/ ١١٨-١١٩.

الله ﷺ:(إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وحِرْزاً للأمِّيِّين[1]، أنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيتُه المتوكِّلَ[2]، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صَخَّاب[3] في الأسواق، ولا يَجزي بالسَّيِّئة مثلها، ولكن يعفو ويتجاوز، ولن أقبِضَه حتَّى يُقيمَ المِلَّة المتعوِّجة[4] بأن يشهد أن لا إله إلا الله، يفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً»[5]. قال:«وروينا ذلك عن كعب

---

(١) أي حصناً وموئلاً للعرب يتحصَّنون به من غوائل الشيطان، أو سطوةِ العجم وتغلُّبِهم، ويجوز أن يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال أو الحفظ لهم من العذاب ما دام النبي ﷺ فيهم، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال) ولعلَّه هو الأوجَه، والأمِّيين هم العرب، وإنما سُمُّوا أمِّيين لأنَّ أغلبهم لا يقرؤون ولا يكتبون، أو لأنهم ينسبون إلى أم القرى وهي مكة، أو لكون نبيهم أمياً ولعل هذا الوجه في هذا المقام أوجه ليشمل جميع الأمة ولا يبقى متمسك لليهود على ما زعموا من أنه مبعوث إلى العرب خاصة، والله تعالى أعلم. ينظر:مرقاة المفاتيح:ج١٠/ ٤٣١-٤٣٢.

(٢) أي خصصْتُك بهذا الوصف لكمال توكلك عليّ وتفويضك إليّ وتسليمِك لديَّ، عَمَلاً بما في القرآن الكريم، نحو:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب) و:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان). ينظر: مرقاة المفاتيح:ج١٠/ ٤٣٢.

(٣) صَخَّاب بتشديد الخاء أي صَيَّاحٍ في الأسواق، فهو ﷺ لَيِّن الجانب، شريف النفس، لا يرفع الصوتَ على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصِّياح عليهم في السوق لدناءته، بل يُلين جانبَه لهم ويرفق بهم. ينظر: المرجع السابق.

(٤) أي ولن نَقْبَض رسولَ الله ﷺ حتى نقيمَ به المِلَّةَ العَوجاءَ ونجعلها مستقيمة، والمقصود بها ما كانت العرب تتدين بها، وتزعم أنها ملة إبراهيم ﷺ، وإنَّما وَصَفها بالعوجاء، وسَمَّاها مِلَّة على الاتساع، كما يقال الكفر ملة واحدة. ينظر: المرجع السابق.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (٦٦٢٢)، والدارمي في سننه، (٦)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، والبخاري في صحيحه، (٢٠١٨) (٤٥٥٨)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٢٥٦عن عبد الله بن سلام ﷺ.

الأحبار[1]»[2].

- **قال البيهقيُّ**[3]:«وفيما قرأتُ من كتاب الشيخ أبي سليمان الخَطَّابي: ومن دلائل نبوَّته أنَّه وجد في بدء أمره يتيماً ضعيفاً عائلاً فقيراً، ليس له مال يَستميل به القلوبَ، ولا له قُوَّة يقهر بِها الرِّجال، ولا كان في إرثِ مَلِكٍ فتثوب إليه الآمال طَمَعاً في دَرْك الحْال المُتقدِّمة، وعود المُلك المَوروث، ولا كان له أنصارٌ وأعوانٌ يُطابِقونه على الرأي الذي أظهره والدِّينِ الذي دعا إليه، فخرج على هذا الحْال إلى العرب قاطبة، وإلى الشُّعوب والقبائل كافة وحيداً طريداً مهجوراً مَحقوراً، وهم مُجمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام، مقيمون على عبادة الجاهلية في الحميَّة والعصبيَّة والتَّعادي والتَّباغي وسفْك الدِّماء وشـنِّ الغارات واستباحة [الحريم][4](*)، لا يَجمعهم أُلفةُ دينٍ، ولا تَمْنعهم دعوةُ إمام، ولا يكفُّهم طاعةُ مَلِكٍ، ولا يَحجزُهم عن سوء أفعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة أو لائمة، فألَّف قلوبها وجمع كلمتها حتى اتفقت الآراء، وتناصرت القلوب، وترافدت الأيدي وصاروا واحداً في نصرته وطاعته، وهجروا بلادهم وأوطانهم، وجفوا قومهم وعشائرهم في مَحبَّته ونبذوا الأصنام المعبودة وتركوا السِّفاح، وشربَ

---

(١)هو:كعب بن مَاتِع الحِمْيَري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، التابعي الثقة المخضرَم، أدرك النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، روى عن وعمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين ومات قبلها وصهيب الرومي ﷺ، روى عنه عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عباس فق وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن المسيب وغيرهم، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه، في حمص سنة (٣٢هـ)ودفن بها.ينظر: تهذيب الكمال: ج٢٤ / ١٨٩- ١٩٣، تقريب التهذيب:ج١/ ٤٦١.

(٢) قال الإمام الدارمي في سننه:ج١/ ١٦ والإمام البيهقي في الاعتقاد:ص٢٥٦ :«قال عطاء بن يسار: أخبرني أبو واقد الليثي أنه سمع كعبَ الأحبار يقول مثلَ ما قال عبدُ الله بن سلام. »

(٣) في الاعتقاد:ص٢٥٧ وما بعدها.

(٤) هكذا في الأصل، والذي في الاعتقاد:ص٢٥٧: الحرام.

(*) نهاية: ق١٧/ أ.

الخمر وكان ذلك أقصى شهواتهم، ووفق طباعهم، والربا وكان معظم أموالهم وبذلوا مهجهم وأرواحهم في نصرته، ونصبوا وجوههم لوقع السيوف بها في إعزاز كلمته، بلا دنيا بَسَطها لهم، ولا أموال أفاضها عليهم ولا عوض في العاجل أطمعهم في نيله من مال يحوزونه أو ملك أو شرف في الدنيا يحرزونه، بل كان من شأنه أن يجعل الملك فيهم سوية، الغني فقيراً، والشريف أسوة الوضيع، فهل تلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله من قبل الاختيار العقلي أو التدبير الفكري أو من جهة الاجتهاد أو من باب الكون والاتفاق، لا، والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الأمور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك، وإنَّما هو أمر إلَهيٌّ وشيءٌ غالبٌ سَماويٌّ ناقضٌ للعادات، يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، قال: وقد انتظم جملة ما ذكرناه في هذا الفصل قوله سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال) ».

قال الخَطَّابيُّ[1]: «ومن دلائل نبوَّته ﷺ أنه كان أُمِّياً لا يَخُطُّ كتابا بيده ولا يقرؤه، وُلِدَ في قوم أُمِّيِّين، ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس بها عالمٌ يعرف أخبارَ المُتقدِّمين، وليس فيهم مُنجِّمٌ يتعاطى علم الكوائن، ولا مهندسٌ يعرف التقدير، ولا فيلسوف(*) يُبصِّر الطَّبائع، ولا مُتكلِّم يهتدي لرسوم الجدل ووجوه المُحاجَّة والمُناظرة والاستدلال بالحاضر على الغائب، ولم يَخرج في سفر ضارباً إلى عالمٍ فيعكُفُ عليه، ويأخذ منه هذه العلوم، وكلُّ هذا معلوم عند أهل [البلدة][2] مشهورٌ عند ذوي المعرفة والخبرة بشأنه،

---

(١) ينظر: الاعتقاد:ص٢٥٨.

(*) نهاية: ق١٧/ ب.

(٢) هكذا في الأصل، والموجود في الاعتقاد:ص٢٥٨: عند أهل بلده، وهي أقرب.

يَعرفُه العالِمِ والجَاهل والخاصُّ والعام منهم، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية، وقد كان ذهب معالم تلك الكتب، ودُرِستْ وحُرِّفتْ عن مواضعها، ولم يَبقَ من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها من سقيمها إلا القليل، ثم حاجَّ كلَّ فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حُذَّاق المتكلمين وجهابذة المُحصِّلين لم يتهيأْ لهم نقضُ شيء منه، فكان ذلك من أدلِّ شيء على أنَّه أمرٌ جاءه من عند الله ﷻ، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت:٥١) ففيه إشارة إلى ما اقتصصنا من حاله ووصفنا من أمره في أنَّه أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولم يُعرَفْ بدرْس الكتب، وطلب الأخبار، وإنَّما هو شيء أنزله الله عليه فهو يتلوه عليهم، وكفى به دلالة على صحة أمره وصدق دعواه».

قال الخُطَّابِي[1]: «ومن دلائل نبوَّته وصدقه فيما جاء به من عند الله سبحانه من القرآن العظيم، وقد تَحدَّى الخلق بما فيه من الإعجاز، ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة مثله، فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه».

وأطال البيهقي في بيان وجوه الإعجاز، ثم قال: «ومن دلائل [نبوته][2] أنه كان من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، وقد قَطَع القول فيما أَخبرَ عن ربِّه ﷻ بأنَّهم لا يأتون بمثل ما تحدَّاهم به، فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢٤)، فلولا عِلمُه بأنَّ ذلك من عند عَلَّام الغيوب، وأنه لا يَقع فيما أَخبر عنه خلافٌ، وإلا لم يأذن له عقلُه في أن يَقطع القول في شيء يكون بأنه لا يكون وهو بفَرَض أن يكون»[3]. والأخبار في

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) هكذا في الأصل والموجود في الاعتقاد: ص٢٦٦: ومن دلائل صدقه.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ص٢٦٦-٢٦٧.

دلائل نبوته كثيرة مشهورة(*).

- **قال البيهقيُّ**[1]:«ولا يَخفى أن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام كلَّهم تردُّ إليهم أرواحُهم بعدما قُبضوا، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء[2]».

قال: وقد رأى نبيُّنا ﷺ جماعةً منهم ليلةَ المعراج[3]، وأمَرَنا بالصلاة عليه والسلام، وأخبر – وخبره صدق – أن صلاتَنا معروضةٌ عليه، وأن سلامَنا يبلُغُه، وأنَّ اللهَ حَرَّم

(*) نهاية: ق١٨/أ.

(١) في الاعتقاد:ص٣٠٥.

(٢) يدلُّ على ذلك ما رواه سيِّدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«الأنبياء أحياء في قبورهم يُصلُّون.» أخرجه أبو يعلى في مسنده، (٣٤٢٥)، وهو حديث صحيح.ينظر: مجمع الزوائد:ج٨/ ٢١١، فتح الباري:ج٦/ ٤٨٧، فيض القدير:ج٣/ ١٨٤.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، (١٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«لقد رأيتني في الحِجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثبتها- يعني لم أحفظها- فَكُرِبتُ كربةً ما كُربْتُ مثله قط، قال فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتُهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شَنوءة، وإذا عيسى بن مريم ﷺ قائم يصلي أقرب الناس به شَبَهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم ﷺ قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ﷺ فحانت الصلاة، فأممْتُهم.» يعني صَلَّى بهم إماماً.

- ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٣٧٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«أتيتُ وفي رواية مررتُ على موسى ليلةَ أسريَ بي عند الكثيبِ الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

- وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة التي قَصَّتْ علينا حادثة معراجه ﷺ رؤياه لجماعة من الأنبياء في السماء، منهم آدم.وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم صلوات الله عليهم، وأن سيدنا موسى ﷺ سبباً في تخفيف الصلاة عن هذه الأمة، عندما أرشد سيدَنا محمداً ﷺ أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف، فمن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٤٢)، ومسلم في صحيحه (١٦٢) وغيرهما.

على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء[1]، [وقد أثبتْنا لصحَّة حياتِهم كتاباً][2] فَعُلم أن نبيَّنا ﷺ كان مكتوباً عند الله ﷻ قبل أن يُخلقَ نبياً ورسولاً، وهو بعدما قبضه نبيُّ الله ورسولُه وصفيُّه وخيرته من خلقه، والذين يبلِّغون عنه أوامرَه ونواهيَه خلفاؤه، فرسالته باقية وشريعته ظاهرة حتى يأتي أمر الله ﷻ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه».

باب القول في كرامات الأولياء

روى البيهقيُّ وغيرُه عن قتادة قال: «كان مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[3] وصاحب له سَرَيَا في ليلة مظلمة، فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء، فقال لصاحبه: أَمَا إنا لو حدَّثْنا الناسَ بهذا كذبونا، قال مطرِّف: المكذِّب أكْذَب»[4].

---

(١) عن أوس بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال:«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصَّلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أرمْتَ أي بَلِيتَ؟ قال:إن الله قد حَرَّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء.» أخرجه أبو داود في سننه، (١٠٤٧)، ابن ماجه في سننه، (١٠٨٥) والنسائي في سننه الكبرى، (١٦٦٦)، وابن خزيمة في صحيحه، (١٧٣٣)، والحاكم في المستدرك، (١٠٢٩)وقال:«حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.»

(٢) هكذا في الأصل، والموجود في الاعتقاد:ص٣٠٥: وقد أَفْردْنا لإثبات حياتهم كتاباً، وهو أقرب. واسم هذا الكتاب:حياة الأنبياء في قبورهم، توجد منه نسخة خطية بمكتبة أحمد الثالث باسطنبول، ب (١١٢٧/ ٢)، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٥٧هـ) بتعليق الشيخ محمد الخانجي الأزهري.ينظر: الإمام البيهقي للدكتور نجم عبد الرحمن خلف، دار القلم، دمشق:ط:١/ ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

(٣) هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري، أبو عبد الله البصري، ثقة من كبار التابعين وزهادهم، روى عن أبيه وعثمان وعلي وأبي ذر وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وعائشة وغيرهم ﷺ، وروى عنه أخوه أبو العلاء يزيد والحسن البصري وثابت البناني، وهو من أهل الطبقة الثالثة من أهل البصرة، كان ثقة ذا فضل وورع وأدب، توفي رحمه الله سنة (٩٥هـ) وقيل: سنة (٨٧هـ).ينظر: تهذيب التهذيب:ج١٠/ ١٥٧.

(٤) أخرجه الإمام معمر في جامعه، (٢٠٥٤٣)، وعبد الرزاق في مصنفه، (٢٠٥٤٣)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣١١.

- قال البيهقيُّ: «يقول: المكذب بنعمة الله أكذب، ومُطَرِّف بن عبد الله من كبار التابعين»[1].

٤٢- قال البيهقيُّ: «وقد روينا من أوجه، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «ما كنا ننكر ونَحن متوافرون أن السَّكِينة تَنطِق على لسان عمر»[2].

٤٣- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكاً يسدده»[3].

٤٤- وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «كان عمر يقول القول فننتظر متى يقع»[4].

٤٥- قال البيهقي[5]: «وكيف لا يكون، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنه كان في الأمم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر بن الخطاب»[6]. قال: وهذا الحديث أصل في [جواز][7] كرامات الأولياء».

٤٦- وفي قراءة أبي بن كعب(*) (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا

---

(١) الاعتقاد: ص٣١١.

(٢) أخرجه عن سيدنا علي ﷺ: والإمام أحمد في مسنده، (٨٣٤)، والطبراني في الأوسط، (٥٥٤٩)، والبيهقي في الاعتقاد: ص ٣١٤، وأخرجه عن سيدنا عبد الله بن مسعود: الطبراني في الكبير، (٨٨٢٧)، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩/ ٦٧: «رواه الطبراني وإسناده حسن.»

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٣١٩٨١)، والطبراني في الكبير، (٨٨٣١)، والبيهقي في الاعتقاد: ص ٣١٤، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩/ ٧٨: «رواه الطبراني من طرق وفي بعضها عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث وبقية رجالها رجال الصحيح وبعضها منقطع الإسناد ورجالها ثقات».

(٤) أخرجه البيهقي في الاعتقاد: ص٣١٥.

(٥) في الاعتقاد: ص٣١٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٢٨٢)، والترمذي في سننه، (٣٦٩٣)، وابن حبان في صحيحه، (٦٨٩٤)، والحاكم في المستدرك، (٤٤٩٩) عن عائشة ﷺ.

(٧) هكذا في الاعتقاد: ص٣١٥، وفي الأصل غير موجودة.

(*) نهاية: ق١٨/ ب.

مُحَدَّث)[1] وقرأها ابن عباس كذلك[2].

٤٧- ثم في بعض الروايات عن النبي ﷺ أنه قيل: كيف يُحَدَّث ؟ قال: «تتكلَّم الملائكةُ على لسانه»[3]. **قال:** «وذلك يوافق ما روينا عن علي وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في عمر رضي الله عنه»[4].

باب القول في أصحاب رسولِ الله ﷺ[5]

٤٨- روى البيهقيُّ وغيرُه مرفوعاً: «النُّجوم أَمَنَة[6] للسَّماء، فإذا ذهبتِ النُّجوم أتى

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، (١٠٥٩)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣١٥، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني فتح الباري: ج٧/ ٥١: «أخرجه سفيان بن عيينة في أواخر جامعه، وأخرجه عبد بن حميد من طريقه، وإسناده إلى ابن عباس صحيح».

(٢) تنظر المراجع السابقة.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، (٦٧٢٦)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣١٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج٥٦/ ٩٢، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩/ ٦٩: «فيه أبو سعد خادم الحسن البصري، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

(٤) الاعتقاد: ص٣١٥.

(٥) لقد مدح الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ في كتابه الكريم أكثر من مرة، فقال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح) فأثنى عليهم ربُّهم وأحسنَ الثناءَ عليهم، ورَفَع ذكرَهم في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ثم وَعَدَهم في آخر هذه الآية المغفرةَ والأجرَ العظيمَ، وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم ورضاهم عنه، ثم بشَّرهم بما أعدَّ لهم، فقال: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة)، وأمرَ رسولَه ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم، ثم أمرَه بمشاورتهم تطييباً لقلوبهم، وتنبيهاً لِمَن بَعْدَه من الحكَّام على مشاورتهم في الأحكام، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران)، وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعل في قلوبهم غِلاً للذين آمنوا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر)، وأثنى رسول الله ﷺ عليهم، وشبَّههم بالنجوم، ونبَّه بذلك أُمَّته إلى الاقتداء بهم في أمور دينهم، كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في مصالحهم. ينظر: الاعتقاد: ص٣١٧.

(٦) الأمنة بفتح الهمزة والميم بمعنى الأمن والأمان. شرح النووي على صحيح مسلم: ج١٦/ ٨٣.

أهلَ السَّماء ما يوعدون، وأنا أَمَنَة لأصحابي فإذا ذهبْتُ أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَة لأمَّتي فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمَّتي ما يوعدون»[1].

٤٩- قال البيهقيُّ:ورويناً في حديث غير قوي:«إن مثل أصحابي كمثل النجوم في السماء؛ مَن أخذ بنجم منها اهتدى»[2].

٥٠- وروى البيهقيُّ[3] وغيرُه مرفوعاً:«لا تَسبُّوا أصحابي[4] فلو أنَّ أحدكم أنفقَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (١٩٥٨٤)، ومسلم في صحيحه، (٢٥٣١)، والبزار في مسنده، (٣١٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٤٩)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣١٥، عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً.

- قال **الإمام النووي** ﷺ في شرح النووي على صحيح مسلم:ج١٦/ ٨٣:«ومعنى الحديث أنَّ النُّجوم ما دامتْ باقية فالسَّماء باقية فإذا انكدرت النُّجوم وتناثرت في القيامة، وَهَنَت السماءُ فانفطرت وانشقت، وذهبت، وقوله ﷺ:«وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون»، أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك، وقوله ﷺ:«وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ».

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، (٧٨٣)، وابن عدي في الكامل:ج٢/ ٣٧٦، ثم قال:«فيه حمزة ابن أبي حمزة النصيبي يضع الحديث.» ثم نَقَلَ عن الإمام يحيى بن معين قولَه:حمزة بن أبي حمزة النصيبي ليس بشيء، وعن الإمام البخاري في صحيحه قولَه:حمزة بن أبي حمزة النصيبي منكر الحديث. ينظر: الكامل: ج٢/ ٣٧٦.

- وقد حكم عليه بالوضع كثير من العلماء منهم الإمام ابن منده في فوائده:ج١/ ٢٩، والإمام ابن حزم في الإحكام:ج٥/ ٦١، والإمام ابن حجر في الأمالي المطلقة:ج١/ ٥٩ والمطالب العالية:ج١٧/ ٦٥، والإمام ابن الملقن في تذكرة المحتاج:ج١/ ٦٩.

- وهنا لا بد من الإشارة إلى ما قاله البيهقي في الاعتقاد:ص٣١٩ من أنَّ لهذا الحديث- على الرغم من نكارة أسانيده كلها- ما يؤدي بعض معناه، منها الحديث المذكور آنفاً، وقد أيَّده الحافظ ابنُ حجر في تلخيص الحبير:ج٤/ ١٩٠-١٩١فقال:«صدق البيهقي فهو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم خاصة أما في الاقتداء فلا يظهر في حديث، نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم».

(٣) في الاعتقاد:ص٣٢٠.

(٤) النَّهي هنا للتحريم، وعليه فسبُّ الصَّحابة- نعوذ بالله من ذلك- ﷺ حَرام من فواحش المحرمات، وكبائر

مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفه[1]»[2]. «ولا يُبْغِضُ الأنصارَ[3] رَجلٌ يُؤمِن

المعاصي، سواء مَن لابَسَ الفتن منهم وغيره؛لأنهم مجتهدون في تلك الحروب مُتأوِّلون. ينظر: شرح صحيح مسلم:ج١٦/ ٩٣.

- والخطاب بذلك للصحابة، كما ورد في رواية الإمام مسلم، (٢٥٤١) أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف ﷺ شيءٌ فَسبَّه خالدٌ، فالمراد بأصحابي أصحابٌ مخصوصون، وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام، وهذا ما رجحه الإمام السبكي، وقيل: نزل السَّابُ منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السَّبِّ منزلةَ غيرهم، فخاطبه خطابَ غير الصحابة، ويمكن أن يكون الخطاب للأمة جميعاً بما فيهم الصحابة وغيرهم ؛لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيكون النبي ﷺ قد علم بنور النبوة أن مثل الأمر الفاحش يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السُّنَّة.

ينظر: عمدة القاري:ج١٦/ ١٨٨، الديباج على مسلم للإمام السيوطي:ج٥/ ٤٨٦، مرقاة المفاتيح: ج١١/ ١٥٢.

(١) **قال أهل اللغة**: النَّصيف هو النِّصف، وفيه أربع لغات:نِصْفٌ بكسر النُّون، ونُصْفٌ بِضَمِّها، ونَصْفٌ بفتحها، ونَصيفٌ بزيادة الياء.**ينظر**: شرح النووي على صحيح مسلم:ج١٦/ ٩٣، عمدة القاري للبدر العيني:ج١٦/ ١٨٨.

ومعناه:لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابُه في ذلك ثوابَ نفقةِ أَحدِ أصحابي مُدّاً ولا نِصف مُدٍّ، وسبب تفضيل نفقتهم:أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ﴾ (الحديد:١٠)، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، **وفضيلةُ الصُّحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تُنالُ دَرَجتُها بشيءٍ والفضائل لا تؤخذ بالقياس**، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.**ينظر**: شرح صحيح مسلم:ج١٦/ ٩٣، فتح الباري:ج٧/ ٣٤، عمدة القاري:ج١٦/ ١٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً.

(٣) خُصَّ الأنصارُ ﷺ بهذه المنقبة العظمى لِمَا فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي ﷺ والذين معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميعَ الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوةُ تَجرُّ البُغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذُكِر موجباً للحسد، والحسدُ يَجرُّ البُغضَ؛فلهذا جاء التحذير من بغضهم وجعله علامةَ النفاق، والترغيب في حبهم، حتى جَعل ذلك آية الإيمان، تنويها بعظيم فضلهم وتنبيهاً على كريم فعلهم، وقد أثنى عليهم الله تعالى في كتابه، فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٤) **ينظر**:فتح الباري:ج١/ ٦٣.

بالله واليوم الآخر»[1].

قلت: وصَدْر هذا الحديث في الصحيحين، والله أعلم.

٥١- قال البيهقيُّ:« وروينا عن ابن عمر ﷺ قال:«لا تَسُبُّوا أصحابَ محمد ﷺ فإن مقام أحدهم ساعة أفضل من عمل أحدكم عمره»[2].

باب القول في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأزواجه

٥٢- وروى البيهقيُّ وغيرُه مرفوعاً:«أن رسول الله ﷺ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:«أما بعد أيها النَّاس إنَّما أنا بشر يوشك أن يأتِيَ رسولُ ربي فأُجيبُه، وإني تارك فيكم الثَّقَلين[3]: أَوَّلُهما كتابَ الله فيه الهدى والنور فاستمسكوا بكتاب الله وخذوا به، فَحَثَّ على كتاب الله، وَرَغَّبَ فيه، ثم قال:وأهلَ بيتي أذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بَيتِي، قالها ثلاثَ مَرَّات، [فقال له حُصَين ومَن أهل بيته يا زيد؟ أليسَ نساؤُه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته][4]، ولكنْ أهلُ بيته من حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَه، قال:ومن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٧٦)، والترمذي في سننه، (٣٩٠٦)، والنسائي في سننه الكبرى، (٨٣٢٣) وابن حبان في صحيحه، (٧٢٧٤) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٣٢٤١٥)، وابن ماجه في سننه، (١٦٢)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣٢٣، قال الإمام البوصيري في مصباح الزجاجة:ج١/ ٢٤:«هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.»

(٣) قال العلماء:سُمِّيا ثَقلين لِعِظَمِهِمَا، وكبير شأنِهما، وقيل: لِثِقَل العمل بهما. ينظر: شرح صحيح مسلم: ج١٥/ ١٨٠.

(٤) ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل، وإنما أثبتُّه هنا لأنَّه من أصل الحديث، ولما له من أهمِّيَّة في توضيح النَّصِّ، فهو يبيِّن مكانة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ودخولهن في آل البيت الكرام ﷺ، في وجوب المحبة والتقدير والاحترام، وحفظ الحرمة، لا في تحريم الصدقة، كآل علي وجعفر وغيرهما ﷺ جميعاً، وهذا ما وضَّحه سيدنا زيد ﷺ، قال الإمامُ البيهقي في الاعتقاد:ص٣٢٥ «قد بين زيد بن أرقم أن نساءه ﷺ من أهل بيته، واسم أهل البيت للنساء تحقيق، وهو متناول للآل، واسم الآل لكل من يحرم الصدقة من أولاد هاشم وأولاد المطلب ؛ لقول النبي ﷺ:«إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»، وقد يُسَمَّى أزواجُه آلاً بمعنى التشبيه بالنسب، فأراد

هم؟ فقال(*): آلُ عليٍّ وآلُ جَعفر وآلُ العبَّاسِ وآلُ عَقيل»(1).

٥٣- وروى البيهقيُّ وغيرُه مرفوعاً: «أحبوا الله لما يَغْذُوكم(2) بِه من نعمهِ، وأحبُّوني بِحبِّ الله، وأَحِبُّوا أهلَ بيتِي لِحُبِّي»(3). والأحاديث في ذلك كثيرة.

باب تَسمية العَشَرة الذين شَهِدَ لَهم رسولُ الله ﷺ فيما رُوي عنه بالجنة

٥٤- وروى البيهقيُّ وغيرُه عن سعيد بن زيد ﷺ قال: «أشهد على رسول الله ﷺ بما سَمعتْه أذُناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته أنه قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة،

زيد تخصيصَ الآل من أهل البيت بالذكر، ولفظ النبي ﷺ في الوصية بهم عامٌ يتناول الآلَ والأزواجَ، وقد أَمَرَنا بالصلاة على جميعهم...»

- وعن أم سلمة ﷺ قالت: «في بيتي أنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾ (الأحزاب: ٣٣) فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال: هؤلاء أهلي، فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت ؟ قال: بلى إن شاء الله». [أخرجه الطبراني في الكبير، (٦٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، (٢٦٨٣) وقال: «قال أبو عبد الله هذا حديث صحيح، سنده ثقاتٌ رواتُه، قال: وقد روي في شواهده ثم في معارضته أحاديث لا يثبت مثلها، وفي كتاب الله البيان لما قصدناه في إطلاق النبي ﷺ الآل ومراده من ذلك أزواجه أو هن داخلات فيه». والاعتقاد: ص٣٢٧، وقال بعد تصحيحه: «وهذا يؤكد ما ذكرنا من دخول آله وأزواجه في أهل بيته وعلينا محبتهم جميعهم وموالاتهم في الدين».

(*) نهاية: ق١٩/أ.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٤٠٨)، والنسائي في سننه الكبرى، (٨١٧٥)، والدارمي في سننه، (٣٣١٦)، وابن خزيمة في صحيحه، (٢٣٥٧) والبيهقي في سننه الكبرى، (١٣٠١٧) والاعتقاد: ص٣٢٥، عن زيد بن أرقم ﷺ، وهذا الحديث يسمى حديث غَدير خُم، وهو مكان بين مكة والمدينة، ويسمى أيضاً حديث الثقلين

(2) أي يرزقكم.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٧٨٩) وقال: «حسن غريب»، والحاكم في المستدرك، (٤٧١٦) وقال: «حديث صحيح الإسناد» والبيهقي في شعب الإيمان، (١٣٧٨) والاعتقاد: ص٣٢٨.

وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن مالـك في الجنة»، وتاسع المسلمين لو شئتُ أن أسَمِّيَه لسمَّيتُه قال المغـيرة بـن شـعبة: فـرجَّ أهـل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله ﷺ، مـن التاسـع؟ قـال نـشدتُموني بـالله والله عظيم، أنا تاسع المؤمنين ورسول الله ﷺ العاشر، ثم أتبعَ ذلك يميناً: والله لمشهدٌ شَهدَه رَجلٌ مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عَمَّرَ عُمُرَ نوح»[1]. **والله أعلم.**

باب تسمية الخلفاء الذين نَبَّه رسولُ الله ﷺ على خلافتهم بعدَه وعلى مُدَّة بقائهم

٥٥- روى الحاكم والبيهقيُّ أن النبي ﷺ قال: «خِلافة النُّبوَّة ثلاثون سَنةً»[2].

- **قال أبو مَعشر**[3]: «استخلف أبو بكر في شهر ربيع الأول حين تـوفي رسـول الله ﷺ ومات لثمانٍ بَقِينَ من جُمادى الآخرة يوم الاثنـين، في سـنة ثـلاث عـشرة، فكانـت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وقُتل عمر يوم الأربعاء لأربعِ ليالٍ بَقِينَ مـن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٦٥٠)، والترمذي في سننه، (٣٧٤٨) وقال: «سمعت محمداً يقول هـو أصح من الحديث الأول»، والنسائي في سننه الكبرى، (٨١٩٣)، وابـن حبـان في صـحيحه، (٧٠٠٢)، والبيهقـي في الاعتقاد: ص٣٣١.

(٢) أخرجـه أبـو داود الطيالـسي في مـسنده، (١١٠٧)، وأحمـد في مـسنده، (٢١٩٦٩)، وأبـو داود في سـننه، (٤٦٤٦) والترمذي في سننه، (٢٢٢٦) وقال: «حديث حسن»، والبـزار في مـسنده، (٣٨٢٨)، وابـن حبـان في صحيحه، (٦٩٤٣)، والطبراني في الكبير، (٦٤٤٤)، والحاكم في المستدرك، (٤٤٣٨) وقـال: «وقـد أسـندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعاً إلى النبي ﷺ». والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٣٣ عن سفينة ﷺ مرفوعاً.

(٣) أبو معشر هو: نَجيح بن عبد الرحمن السِّنْدي أبو معشر المدني، مولى بني هاشم، رأى أبا إمامـة بـن سـهل بـن حنيف، وروى عن سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب القرظي وأبي بردة بن أبي موسى وهشام ابن عروة وغيرهم، وروى عنه ابنه محمد، وهو خاتمة أصحابه والأئمة الثوري والليث بن سعد وعبد الرحمن بن مهدي ووكيـع، كـان كيِّساً حافظاً، له مكان في العلم والتاريخ، وتاريخه احتج به الأئمة ولكنهم ضعَّفوه في الحديث مـن جهـة حفظـه، تغير قبل أن يموت تغيُّراً شديداً، توفي رحمه الله سنة (١٧٠هـ) ببغداد. ينظر: تهذيب الكمال: ج٢٩/ ٣٢٢-٣٣٠، تهذيب التهذيب: ج١٠/ ٣٧٤-٣٧٥، تقريب التهذيب: ص٥٥٩.

ذي الحجة تَمام سنة ثلاثٍ وعشرين، فكانت(*) خلافتُه عَشرَ سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وقتل عثمان بن عفان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وقُتل عليٌّ بن أبي طالب في رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان سنة أربعين، فكانت خلافته خَمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: إلا شهرين»[1].

- وروي البيهقيُّ[2] عن الرَّبِيع بن سليمان[3] قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول في الخلافة والتفضيل: «نبدأ بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ».

- قال[4]: وروينا عن أحمد بن حنبل أنه قيل له: إلى ما تذهب في الخلافة؟ قال: «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فقيل له: كأنك تذهب إلى حديث سفينة قال: أذهب إلى حديث سفينة وإلى شيء آخر، رأيتُ علياً في زمن أبي بكر وعمر وعثمان لم يَتسمَّ بأمير المؤمنين، ولم يُقِمِ الجُمَعَ والحُدودَ، ثم رأيتُه بعدَ قَتْلِ عثمان قد فَعلَ ذلك، فَعلمْتُ أنه قد وجب له في ذلك الوقت ما لم يكنْ له قَبلَ ذلك». والله تعالى أعلم.

(*) نهاية: ق١٩/ ب.

(١) الاعتقاد: ص٣٣٤.

(٢) في الاعتقاد: ص٣٣٥.

(٣) هو: الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم، أبو محمد المصري المؤذن بجامع عمرو بن العاص، وصاحب الإمام الشافعي ﷺ، وخادمه وراوية كتبه الجديدة، ولد سنة (١٧٣هـ أو ١٧٤هـ)، اتصل بخدمة الشافعي، وحمل عنه الكثير، وحدث عنه، روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم، وروى عنه الترمذي بالإجازة، وكان الشافعي يحبه كثيراً، رحل الناس إليه من أقطار الأرض؛ لأخذ علم الشافعي، ورواية كتبه، فهو آخر من روى عن الشافعي بمصر، توفي رحمه الله سنة (٢٠٧هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي: ج٢/ ١٣١-١٣٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج١/ ٦٥-٦٦.

(٤) في الاعتقاد: ص٣٣٦.

بابُ تنبيه رسول الله ﷺ على خلافة أبي بكر الصديق بعده وبيان ما في الكتاب من الدلالة على صحة إمامته وإمامة من بعده من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

٥٦- وروى البيهقيُّ وغيرُه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، كَشَفَ النبيُّ ﷺ سترَ الحجرة، يَنظُر إلينا، وهو قائم كأنَّ وجهه ورقة مصحف ثم تبسَّم يضحك قال: فَهَمَمْنا أن نَفْتَتِنَ ونَحن في الصلاة من فَرحٍ برؤيةِ رسول الله ﷺ ونَكَصَ[1] أبو بكر على عَقِبَيه لِيَصِلَ[*] الصَّفَّ، وظَنَّ أنَّ النبيَّ ﷺ خارجٌ إلى الصلاة قال: فأشار إلينا رسولُ الله ﷺ بيده أن أَتِمُّوا صلاتَكم ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأرخى الستر فتوفي من يومه ذلك[2].

- **قال البيهقيُّ**: «وهذا الذي رواه أنس بن مالك من إرخائه ﷺ الستر بعدما، نظر إليهم وأظهر الفرح بمكانهم صفوفاً خَلْف أبي بكر كان في الركعة الأولى من صلاة الصبح، ثم أنه وجد في نفسه خِفَّة، فخرج فأدرك الركعة الثانية فصلاها خلف أبي بكر فلما سَلَّم أبو بكر رضي الله عنه أَتَمَّ رسولُ الله ﷺ الركعةَ الأخرى، وتوفي من يومه ذلك». هذا ما ذكره موسى بن عقبة[3] في مغازيه وغيره[4].

---

(١) يعني رجع وتأخَّر. (*) نهاية: ق٢٠/أ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٤٨)، ومسلم في صحيحه، (٤١٩).

(٣) هو: موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي، أبو محمد، المدني، مولى آل الزبير بن العوام، الفقيه الثقة، إمام المغازي، أدرك ابن عمر والأعرج ونافع بن جبير بن مطعم وأبي سلمة بن عبد الرحمن ونافع مولى ابن عمر وعروة بن الزبير وغيرهم، وروى عنه من الأئمة: يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وعبد الله بن المبارك وغيرهم، قال الإمام مالك: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة.»، ومرة قال: «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي، وهو رجل ثقة طلبها على كبر السن ولم يكثر كما أكثر غيره.»، توفي رحمه الله سنة (١٤١هـ). ينظر: تهذيب الكمال: ج٢٩/ ١١٥-١٢١، تهذيب التهذيب: ج١٠/ ٣٢١-٣٢٢.

(٤) الاعتقاد: ص٣٣٨-٣٣٩.

٥٧- **قال**[1]: ويشهد له ما رويناه كالترمذي عن أنس ﷺ أنه قال: «آخر صلاة صلَّاها رسولُ الله ﷺ مع القوم صَلَّى في ثوب واحد موشحاً به خلف أبي بكر الصديق»[2].

٥٨- وروى الحاكم وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتُنِي على قليب[3] عليها دلوٌ فنزعتُه فَنَزَعْتُ[4] منها ما شاء الله، ثُمَّ أَخَذَها ابنُ أبي قُحافة فَنَزَع منها ذَنُوباً[5] أو ذَنُوبَين، وفي نزعه ضُعْفٌ[6]، والله يغفر له، ثم استحالت[7] غَرْباً[8]، فأخذها ابنُ الْخَطَّاب، فلم أرَ عَبْقريّاً[9] من النَّاس يَنْزِع نَزْعَ عمر بن الخطاب حتى ضَرَبَ النَّاسَ بِعَطَن[10]»[11].

---

(١) المرجع السابق: ص٣٣٩ بتصرف يسير من الإمام الشعراني.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (١٢٦٣٨)، والترمذي، (٣٦٣) وقال: «حسن صحيح.»، والنسائي في الكبرى، (٨٦٠)، وابن حبان في صحيحه، (٢١٢٥)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٣٩.

(٣) أي البئر غير المُطويَّة. شرح صحيح مسلم: ج١٥/ ١٥٩.

(٤) أي استقيتُ والنزع هو الاستقاء. المرجع السابق.

(٥) الذنوب بفتح الذال الدلو المملوءة. المرجع السابق.

(٦) الضُّعف بضم الضاد وفتحها لغتان مشهورتان، والضم أفصح، كما قال الإمام النووي ﷺ في شرح صحيح مسلم: ج١٥/ ١٦٠.

(٧) استحالت أي صارت وتحوَّلتْ من الصِّغر إلى الكبر أي بعد أن كانت ذنوباً تحولت إلى غَرْب وهي أكبر. ينظر: المرجع السابق.

(٨) الغَرْب بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء، هي الدلو العظيمة. المرجع السابق.

(٩) أي سيِّداً. المرجع السابق.

(١٠) أي أَرْووا إبلهم، ثم آوَوها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح. المرجع السابق: ج١٥/ ١٦١.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٤٦٤)، ومسلم في صحيحه، (٢٣٩٢) وغيرهما.

- قال الإمامُ الشَّافعيُّ: رؤيا الأنبياء وحي، وقوله «وفي نزعه ضُعفٌ» قِصَرُ مُدَّتِه، وعَجَلَةُ مَوتِهِ، وشُغْلِه بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيُّد الذي بَلَغهُ عمرُ ﷺ في طول مدته[1].

٥٩- قال البيهقيُّ[2]: وروينا عن جبير بن مطعم ﷺ، قال: أتت النبيَّ ﷺ امرأة فكلَّمتْه في شيء، فأمرها أن ترجعَ إليه قالت: يا رسول الله، أرأيتَ إن رجعت فلم أجدك - كأنها تعني الموت - قال: «فإن لم تَجديني فائتِ أبا بكر(*)»[3].

---

(١) أورد هذا القول الإمامُ البيهقيُّ في الاعتقاد: ص٣٣٩ بسنده المتصل إلى الإمام الشافعي ﷺ.

- وقريب منه ما قاله **الإمامُ النَّوويُّ** رحمه الله عند شرح هذا الحديث في شرح صحيح مسلم: ج١٥/ ١٦١: «قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر ﷺ في خلافتهما، وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبي ﷺ هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام ومهَّد أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ (المائدة: ٣)، ثم توفي ﷺ، فخلفه أبو بكر ﷺ سنتين وأشهراً، وهو المراد بقوله ﷺ: «ذنوباً أو ذنوبين» وهذا شك من الراوي، والمراد ذنوبان، كما صرح به في الرواية الأخرى، وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام، ثم توفي، فخلفه عمر ﷺ فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبَّر بالقليب عن أمر المسلمين لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم وشبَّه أميرَهم بالمستقِي لهم، وسقيُه هو قيامُه بمصالِحهم وتدبيرُ أمورهم، وأما قوله ﷺ في أبي بكر ﷺ: «وفي نزعه ضعف.» فليس فيه حَطٌّ من فضيلة أبي بكر، ولا إثباتَ فضيلةٍ لِعُمرَ عليه، وإنما هو إخبار عن مُدَّة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات، وأما قوله ﷺ: «والله يغفر له » فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامَهم، ونعمتِ الدِّعامة، وقد سبق في الحديث في صحيح مسلم، وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها. »

(٢) سنن البيهقي الكبرى، (١٦٣٦٦)، الاعتقاد: ص٣٤٠.

(*) نهاية: ق٢٠/ ب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٤٥٩)، ومسلم في صحيحه، (٢٣٨٦) وغيرهما.

٦٠- قال: «وقد روينا عن النبي ﷺ في حديث أبي قتادة في قصة الميضأة، عمومُ قول النبي ﷺ: «وإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا»[1] وأطال في ذلك ثم قال: فهذه الأخبار وما في معناها تدل على أن النبي ﷺ رأى أن يكون الخليفة من بعده أبو بكر الصديق، فنبَّه أمَّتَه، بما ذكر من فضله، ثم بالاقتداء به وبعمر بن الخطاب رضي الله عنهما على ذلك.

قال: وإنما لم يَنصَّ عليه نَصّاً لا يحتمل غيرَه - والله أعلم- لأنَّه عَلِم بإعلام الله إياه أن المسلمين يجتمعون عليه، وأن خلافته تنعقد بإجماعهم على بيعته.

[دلالة القرآن الكريم على صحَّة خلافة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم]

وقد دلَّ كتابُ الله عز وجل على إمامة أبي بكر، ومَن بعده من الخلفاء، فقال الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ (النور:٥٥) وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (الحج:٤١) فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم دلَّ على أن خلافتهم حقٌّ، ودلَّ أيضاً على إمامة الصِّدِّيق رضي الله عنه قولُ الله عز وجل في سورة براءة للقاعدين عن نصرة نبيه ﷺ والمتخلِّفين عن الخروج معه في غزوة الحديبية ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾(التوبة:٨٣) وقال في (الفتح: ١٥): ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ يعني قوله تعالى: ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ ثم قال: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الفتح:١٥) وقال: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٨١)، وهو حديث طويل.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ﴾ يعني تطيعوا الداعي لكم(*) إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ يعني: تُعرِضوا عن إجابة الدَّاعي لكم إلى قتالهم، ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(الفتح)، وهل الداعي لهم إلى ذلك غيرُ النبي ﷺ الذي قال الله له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وقال في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فَمَنَعهم من الخروج مع نبيه ﷺ، وجعل خروجَهم معه تبديلاً لكلامِهِ، فوَجَبَ بذلك، أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ[1].

– وقد قال مجاهد في قوله: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ «هم فارس والروم»، وكذلك قال الحسن البصري، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «هم بنو حنيفة يوم اليمامة»[2].

– **قال البيهقيُّ**[3]: «فإن كانوا أهل اليمامة فقد قُتلوا في أيام أبي بكر، وهو الدَّاعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة وإن كانوا أهل فارس، فقد قوتِلوا أيام عمر، وهو الداعي إلى قتال كسرى وأهل فارس، وإن كانوا أهل فارس والروم، فإنَّه أراد تنحيةَ أهل الروم عن أرض الشام، وقد قُوتِلوا في أيام أبي بكر، ثُمَّ تَمَّ قتالُهم وتنحيتُهم عن الشام في أيام عمر، مع قتال فارس فوجب بذلك إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي وجوب إمامة أحدهما وجوب إمامة الآخر، وقد احتج بما ذكرنا من الآيات **علي بن إسماعيل الأشعري**[4] وغيره من علمائنا في إثبات إمامة الصديق رضي الله عنه».

(*) نهاية: ق٢١/ أ.

(١) أي البيهقي في الاعتقاد: ص٣٤٠ وما بعدها.

(٢) تنظر هذا الأقوال في الاعتقاد: ص٣٤٣.

(٣) في الاعتقاد: ص٣٤٣-٣٤٤ مع تصرف يسير للإمام الشعراني رحمه الله.

(٤) أي الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري، وقد ساق رحمه الله هذه الأدلة كلها في كتاب الإبانة: ص٢٥٢-٢٥٥.

- قال البيهقيُّ: « ودل على إمامة الصديق أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة: ٥٤) فكان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله ﷺ من ارتداد قوم، فوعد رسوله ووعده صدق أنه يأتي ﴿ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (*) أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾، فلمَّا وُجِد ما كان في علمه من ارتداد من ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ وُجِدَ تصديقُ وعده بقيام أبي بكر الصديق ﷺ بقتالهم، فجاهد بمن أطاعه من الصحابة مَن عَصاهُ من الأعراب، ولم يَخفْ في الله لومةَ لائم، حتَّى ظَهر الحقُّ، وزَهَق الباطل، وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله ﷺ آيةً للعالَمين، ودلالة على صِحَّة خلافة الصديق ﷺ»[1].

- روى الحاكم والبيهقيُّ عن الحسن في قوله: ﴿ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: «هم الذين قاتَلُوا مَعَ أبي بكر أهلَ الرِّدَّة من العرب، حتَّى رَجعوا إلى الإسلام بعد رسول الله ﷺ». وكذلك قاله عكرمة وقتادة والضحاك[2]. وأطال البيهقيُّ في ذلك.

باب اجتماع المسلمين على بيعة أبي بكر الصديق وانقيادهم لإمامته ﷺ

٦١- روى الحاكم والبيهقيُّ أنَّ عمر ﷺ ذكر أبا بكر يوم جلس على المنبر بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال: «إن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين، وإنه أحق المسلمين بأمرهم، فقوموا فبايعوه، وقد كان طائفة منهم بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعته على المنبر بيعة العامة»[3].

(*) نهاية: ق٢١/ ب.

(١) الاعتقاد: ص٣٤٣-٣٤٤ مع تصرف يسير للإمام الشعراني رحمه الله.

(٢) المرجع السابق: ص٣٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٧٩٣)، وابن حبان في صحيحه، (٦٨٧٥)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٤٨.

٦٢- وفي رواية للبيهقيِّ: **أن عمر أتى الأنصار**، حين قالوا: منا أمير ومنكم أمير، فقال: «يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلِّيَ بالنَّاس؟ قالوا: بلى، قال: فأيُّكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه»[1].

٦٣- وفي رواية للحاكم: أن زيد بن ثابت لمَّا أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، صَعَدَ أبو بكر(*) المنبرَ فنظر في وجوه القوم، فلم ير عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار، فَأَتَوا به، فقال أبو بكر: ابنَ عَمِّ رسول الله ﷺ وخَتْنَه أردتَّ أن تَشقَّ عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايَعه، ثُمَّ لَم يَرَ الزُّبيرَ بنَ العَوَّام، فسأل عنه، حتى جاؤوا به فقال: ابنَ عَمَّة رسولِ الله ﷺ وحواريَّه أردتَّ أن تَشُقَّ عصا المسلمين، فقال: مثلَ قولِه: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ، فبايعاه[2].

٦٤- **وفي رواية**[3]: **أن عمر أخذ بيد أبي بكر ذلك اليوم، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار.**

٦٥- **وروى الحاكم والبيهقيُّ أنَّ أبا بكر قام في ذلك اليوم فَخَطَبَ النَّاسَ واعتذرَ** إليهم- يعني إلى عليٍّ والزُّبير ومَن تخلَّف - وقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (١٣٣)، والنسائي في سننه الكبرى، (٨٥٣)، والحاكم في المستدرك، (٤٤٢٣)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والبيهقي في السنن الكبرى، (١٦٣٦٣)، والاعتقاد: ص٣٤٩، والضياء المقدسي في المختارة، (٢٢٩) قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٥/ ١٨٣: «وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.»

(*) نهاية: ق٢٢/ أ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، (٤٤٥٧) وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في السنن الكبرى، (١٦٣١٥).

(٣) أخرجها الطبراني في الكبير، (٦٣٦٧)، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٥٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٥/ ١٨٣: «ورجاله ثقات.»

يوماً وليلة قط، ولا كنتُ فيها راغباً، ولا سألتُهَا اللهَ في سِرٍّ ولا علانية، ولكني أشـفقتُ من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكنْ قُلِّدتُّ أمراً عظيماً ما لي به طاقـة ولا يـدان إلا بتقوية الله، ولوددتُّ أن أقوى الناس مكاني عليها اليوم»، فَقبِلَ المهـاجرون منـه مـا قال، وما اعتَذَر به، وقال عليٌّ والزُّبير:«ما غضبْنَا إلا أنا أُخِّرْنا عن المـشاورة، وإنـا نـرى أن أبا بكر أحقُّ الناسِ بها بعد رسول الله ﷺ إنـه لَـصاحِبُ الغـار، وثـاني اثنـين، وإنـا لنعرف شَرَفَه، وكُبرَه، ولقد أمره رسولُ الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ»[1].

٦٦- وفي روايةِ محمد بن عقبة وغيره أن أبا بكر قال في اعتذاره[2] عـلى المنـبر:«أمـا والله ما حَمَلَنا على إبرام ذلك دون مَن غاب عنه إلا مخافةَ الفتنـة، وتفـاقمَ الحِـدْثان، وإن كنتُ لها لكارِهاً، لولا ذلك ما شهدها أحدٌ كان أحبَّ إليَّ أن يشهدَها منك إلا مـن هـو بمثل منزلتك». ثم أشرف على الناس فقال:«أيها الناس، هذا عليُّ بنُ أبي طالب فلا بيعةَ لي[*] في عنقه، وهو بالخيار من أمره، أَلَا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتِكم إيَّايَ، فـإن رأيـتم لها غيري فأنا أول من يبايِعُهُ»، فلمَّا سمع ذلك عليٌّ من قوله، تَحَلَّل عنه ما كان قد دخلـه فقال:«لا حَلَّ، لا نرى لها غيرَكَ»، فَمدَّ يَدَه، فبايعه هو، والنَّفَرُ الذين كانوا معـه، وقـال جميعُ الناس مثلَ ذلك فردُّوا الأمرَ إلى أبي بكر، وقالوا:خليفـةُ رسـول الله ﷺ، وذلـك لأنه استقدَمه على الصَّلاة بعدَه، فكانوا يُسمُّونَه:خليفةَ رسول الله ﷺ، حتى هَلَكَ[3].

- **قال البيهقيُّ**:«وقد ذهب أبو بكر فيما خيرهم فيه من مبايعته مـذهبَ التواضـع، وليستبرئ قلوبهم في استخلافـه حتى إذا عـرف منهم الصـدق سكن إلى اجتماعهم على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، (٤٤٢٢) وقال:«حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٣٦٤)، والاعتقاد:ص٣٥١.

(٢) أي إلى علي وغيره ممن تخلف عن بيعته.

(*) نهاية: ق٢٢/ ب.

(٣) الاعتقاد:ص٣٥١.

ذلك في السر والعلانية.

قال: وقد صح بما ذكرنا اجتماعهم على بيعته مع علي بن أبي طالب، ولا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن عليٍّ أو غيره بخلاف ظاهره، فكان عليٌّ أكبر محلًّا، وأجلَّ قدراً من أن يُقدِم على هذا الأمر العظيم بغير حق، أو يظهر للناس خلاف ما في ضميره ولو جاز ادعاء هذا في إجماعهم على خلافة أبي بكر، لم يصحّ إجماع قط، والإجماع أحد حجج الشريعة، ولا يجوز تعطيله بالتَّوهُّم.

قال: والذي رَوَى أن عليّاً لم يبايع أبا بكر ستة أشهر، ليس من قول عائشة ﷺ، إنَّما هو من قول الزهري، فأدرجه بعض الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة ﷺ[1]، وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصَّلاً وجعله من قول الزهري منقطعاً من الحديث، **قال**:روينا في الحديث الموصول، عن أبي سعيد الخدري ومن تابعه من أهل المغازي أن عليّاً بايَعه في بيعة العامة التي جرت في السقيفة، ويحتمل أن عليّاً بايعه بيعةَ العامَّة، كما روينا[2]، ثم إنه شَجَر بين فاطمة وأبي بكر كلام بسبب الميراث، إذ لم تسمع من رسول الله ﷺ في باب الميراث ما سمعه أبو بكر وغيره فكانت معذورة فيما طلبتْه،

---

(١) أخرج هذه القصة: البخاري في صحيحه، (٣٩٩٨)، ومسلم في صحيحه، (١٧٥٩)، وهي قصة طويلة، وملخَّصها -كما هي في الصحيحين- أن فاطمة ﷺ طالبت أبا بكر ﷺ بميراثها من رسول الله ﷺ، فامتنع وعُذره في ذلك أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول:«لا نُورَث ما تركنا صدقة »، فقال:«وإني والله لا أغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها»، فهجرته بملازمة بيتها، حتى توفِّيت، وعُذرها أنَّها لم تسمع ما سمعه أبو بكر ﷺ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستةَ أشهر، وأمَّا علي ﷺ فتأخَّر عن مبايعة الصديق ﷺ لانشغاله بتمريض زوجته البتول ﷺ، ولِمَا وَجَد في نفسه من عدم مشاورته في أمر الخلافة، ومع ذلك لم يُبدِ أيَّ خلاف، ولم يشقَّ عصاً للمسلمين، ولكنَّ أبا بكر ﷺ زاره، وأبدى له عذره، من أن الأمر قد تم سريعاً خشية الفتنة، ثم بيَّن له مقدار حبِّه لقرابة النبي ﷺ، ومنزلتهم العالية عنده، حتى فاضت عيناه بالدموع، عند ذلك طابت نفس علي ﷺ وانشرح صدره، فذهب إلى المسجد وبايع أبا بكر أمام الناس، فسُرَّ المسلمون لذلك أعظمَ سرور.

(٢) أي في حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

وكان أبو بكر(*) معذوراً فيما منع، فتخَلَّف عليٌّ عن حضور أبي بكر حتى تُوفِّيتْ، ثم كان منه تجديد البيعة والقيام بواجباتِها كما قال الزهري، ولا يجوز أن يكون قعود علي في بيته على وجه الكراهية لإمارته[1]، **ففي رواية الزهري**:أنه بايعه بَعْدُ، وعَظُم حقُّه، ولـو كـان الأمر على غير ذلك لكانت بيعته آخراً خطأً، ومن زعم أن علياً بايَعـه ظـاهراً، وخالفـه باطناً فقد أساء الثناء على عليٍّ، وقال فيه أقبحَ القولِ.

٦٧- وقد قال عليٌّ ﷺ في إمارته وهو على المنبر:«ألا أخبركم بِخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ؟ قالوا: بلى قال:أبو بكر ثم عمر»[2]. ونحن نزعم أن علياً كان لا يفعل إلا مـا هو حقٌّ، ولا يقول إلا ما هو صدق وقد فعل في مبايعة أبي بكر ومؤازرة عمـر مـا يليـق بفضله، وعلمه وسابقته وحسن عقيدته وجميل نيته في أداء النُّصح للرَّاعي والرَّعيَّة[3].

- **قال البيهقيُّ**:«فلا معنى لقول من قال بخلاف ما قال وفعـل[4]»، وقـد دخـل أبـو بكر الصديق على فاطمة ﷺ[5] في مرض موتِها، وترضَّـاها حتَّـى رضـيت عنـه، فـلا طائل لسخط غيرِها مِمَّن يدَّعي موالاةَ أهل البيت، ثُمَّ يطعـن في أصــحاب رسـول الله ﷺ ويُهجِّن من يواليه، ويرميه بالعجـز والضعف، واختلاف السِّرِّ والعلانيـة في القول

(*) نهاية: ق٢٣/أ.

(١) أي لإمارة أبي بكر ﷺ.

(٢)أخرجه أحمد في مسنده، (٨٧١)، وأبو يعلى في مسنده، (٥٤٠)، والطبراني في الأوسط، (٧٣٨٢) والكبير، (١٧٧).

(٣) تنظر أقوال الإمام البيهقي رحمه الله والتي ساقها الإمام الشعراني في هذه الصفحة والتي قبلها في الاعتقاد:ص٣٥٢-٣٥٣.

(٤) أي أمير المؤمنين علي ﷺ.

(٥) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، (١٢٥١٥) عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي مرسلاً، وقال:«هذا مرسل حسن بإسناد صحيح»، والاعتقاد:٣٥٤، ودخوله عليها لزيارتها في مرضها إنما هو بإذن زوجها علي ﷺ.

والفعل، وبالله والتوفيق»[1].

- وروى **الحاكم والبيهقيُّ** عن الإمام زيد[2] بن علي بن الحسين[3] بن علي ﷺ أنه قال: «أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بمثل ما حكم به أبو بكر في فَدَكَ»[4].

- وروى **البيهقيُّ عن الربيع قال**: سمعت الشافعي رحمه الله يقول في معنى قول النبي ﷺ(*) لعلي بن أبي طالب ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[5]. يعني بذلك ولاء

---

(١) الاعتقاد: ص٣٥٣.

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، الإمام الشهيد، روى عن أبيه وجماعة، وروى عنه شعبة وغيره، بايعه خلق كثير على الخلافة، ظهر في أيام هشام بن عبد الملك، فحارب واليه على العراق يوسف بن عمر الثقفي، فقتله يوسف وصلبه، ولما خرج زيد يدعو إلى طاعته جاءته طائفة وقالوا: تبَرَّأ من أبي بكر وعمر، حتى نبايعك، فقال: بل أتبرَّأ مِمَّن تبرَّأ منهما، فقالوا: إذاً نرفضك، فسموا رافضة من يومئذ وسميت شيعته زيدية، وممن بايعه هلال بن خباب بن الأرت وابن شبرمة وغيرهم، وأرسل إليه أبو حنيفة (٣٠) ألف درهم، وحَثَّ الناسَ على نصره، قُتل ﷺ وهو ابن (٤٣) سنة، واستخرج بعد دفنه وصلب. ينظر: وفيات الأعيان: ج٥/ ١٢٢، شذرات الذهب: ج١/ ١٥٨-١٥٩.

(٣) هو: علي ابن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب، أبو الحسين، السَّيِّد، الإمام، الورع زين العابدين، الهاشمي، المدني، ولد سنة: (٣٨هـ) وحدث عن أبيه الإمام الحسين الشهيد ﷺ، وكان معه يوم كائنة كربلاء، وله (٢٣) سنة، وكان يومئذ موعوكاً، فلم يقاتل، ولا تعرضوا له بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه يزيد، وردَّه مع آله إلى المدينة، وحدث أيضاً عن جده ﷺ مرسلاً، وعمه الحسن وعبد الله بن عباس وأم سلمة وصفية ﷺ، حَدَّث عنه أولاده محمد الباقر وعمر وزيد المقتول ﷺ وخلقٌ سواهم، توفي ﷺ على الصحيح سنة (٩٤هـ) ودفن بالبقيع. ينظر: سير أعلام النبلاء: ج٤/ ٣٨٦-٤٠٠.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، (١٢٥٢٤)، والاعتقاد: ص٣٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج١٩/ ٤٦٣.

(*) نهاية: ق٢٣/ ب.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (٩٥٠)، والترمذي في سننه، (٣٧١٣) وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي في سننه الكبرى (٨١٤٥)، والطبراني في الصغير، (١٧٥) والأوسط، (٢٢٥٤)، والكبير، (٤٩٨٥) قال الإمام

الإسلام وذلك قول الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد).

- وروى البيهقيُّ أن الحسن بن الحسن[1]، سأله، رجل، ألم يقبل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه » قال: «بلى والله لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين، فقال: يا أيها الناس، هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار عليًّا لهذا الأمر، وجعله القائم به للمسلمين من بعده، ثم ترك عليٌّ أمرَ الله ورسوله لكان عليٌّ أول من تَرك أمرَ الله ورسوله، وكان أعظم الناس خطيئة وجُرْماً في ذلك»[2].

- وكذلك قال [الحسين][3] لرافضيٍّ في معنى حديث «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»: «أما والله لو عَنَى رسول الله ﷺ بذلك الإمرةَ والسلطان والقيام على الناس بعده لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم: إن هذا وليّ أمركم من بعدي، فاسْمعوا له وأطيعوا، فما كان من وراء هذا

الضياء المقدسي في المختارة: ج٢/ ١٠٥، (٤٧٩)، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩/ ١٠٤: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(١) هو: الحسن بن الحسن سبط رسول الله ﷺ ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، السَّيِّد الهاشِميُّ، المدني، الإمام، أبو محمد، حَدَّث عن أبيه الحسن ﷺ وعبد الله بن جعفر ﷺ، وهو قليل الرواية والفتيا مع صدقه وجلالته، وحدَّث عنه ولده عبد الله وابن عمه الحسن بن محمد بن الحنفية وسهيل بن أبي صالح، وغيرهم، توفي ﷺ سنة: (٩٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ج٤/ ٤٨٦.

(٢) الاعتقاد: ص٣٥٥-٣٥٦.

(٣) هكذا في الأصل، والموجود في الاعتقاد: ص٣٥٦: أن هذه رواية أخرى عن الحسن بن الحسن ﷺ، وهو الصحيح.

شـيء، فإنَّ أنصحَ النَّاس كان للمسلمين رسولُ الله ﷺ»[1].

- قلت: وفي فتاوى النووي[2] حديث:«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»حديث صحيح رواه الترمذي وغيره، قال الترمذي:«وهو حديث حسن»[3].

- قال النَّوويُّ:«ومعنى هذا الحديث عند المحقِّقين الـذين يُرجَـع إلى قـولهم: مـن كنتُ ناصره ومُواليه ومُحبُّه ومُصافيه، فعليٌّ كـذلك، ثـم سـاق تأويـلَ الإمـام الـشافعيِّ السابق، ثم قال: وقيل هذا الحديث وارد على سبب، وهو أن أسامة بن زيد قـال لعـليٍّ: لستَ مولاي، إنَّما مولاي رسولُ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:«من كنت مولاه فعـليٌّ مولاه »، قال: وقد قال العلماء من أهل اللغة وغيرُهم: إن اسم المُولى يُطلَق عـلى(*)نَحـو عشرين معنى منها الرَّبُّ والمالك والسَّيِّد والعبد والمنعِم والمنعَم عليـه والمعتِـق والمعتَـق والنَّاصر والمحبُّ والتَّابع والجار وابن العم والحْليف والصِّهْر، قال: ويحصل بما ذكرنـاه أن علياً مولاً لأبي بكر وعمر، وأنهما مَولَيان له، ولا يلزم من ذكر علي وحـده بذلك نفيه عن غيره.

وقد أجمع أهلُ السُّنَّة على أنَّ كلَّ واحدٍ من أبي بكر وعمر أفضل مِن عليٍّ، كَما دَلَّـت عليه الأحاديثُ الصحيحة وأمَّا قوله ﷺ:«أقضاكم علي»[4]، فليس فيـه أنـه أقـضى مـن

(١) الاعتقاد:ص٣٥٦

(٢) ص١٨٢دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:١/ ٢٠٠٥هـ١٤٢٦م، تحقيق:عماد الدين دحدوح.

(٣) مَرَّ قبل قليل، وقد قال فيه الترمذي:«حديث حسن صحيح »، (٣٧١٣).

(*) نهاية: ق٢٤/ أ.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٥٤) عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً، وأبو يعلى في مسنده (٥٧٦٣) عـن عبـد الله بن عمر ﷺ مرفوعاً، ولفظهما:«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بـن كعـب، وأعلمهـم بـالحلال والحـرام معـاذ بـن جبـل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » وسعيد بن منصور في سننه

أبي بكر وعمر، وإنما يقتضي أنه أقضى من المخاطبين، ولم يثبت أنهما كانا من الْمخـاطبين، ولا يلزم من كون واحد أقضى من جماعة أن يكون أقضى من كل أحد، كـما أنـه لا يلـزم من كون واحد أقضى من آخر أن يكون أعلم منه مطلقاً وأفضل، وإنما يقتضي رجحانـه في معرفة باب القضاء، وفصل الخصومات فقط، والتفضيل ليس هو منحصر في معرفة القضاء»[1].

- **قال النَّوويُّ**:«فقد علمتَ أنَّه يَحـرُم تحـريماً مطلقـاً أنْ يُعتَقـد أن عليّـاً كـان أولى بالإمامة من أبي بكر وعمر ؛لأنَّ ذلك قدحٌ في الأئمَّة بأسرها، ويتضمَّن الطَّعن في تقديم رسول الله ﷺ أبا بكر للصلاة وتكرير ذلك، قال: وقد روينا بإسناد صحيح عن سفيان الثوري أنه قال:«مَن زَعَم أن عليّاً كان أحقَّ بالولاية من أبي بكر وعمر، فقـد خَطَّـأ أبـا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عملٌ إلى الـسماء». هذا كلام سفيان، وقد كان حسن الاعتقـاد في عـلي بالْمحَـلِّ المعـروف»[2]. **انتهـى كـلام النووي**، والله أعلم.

- **قال البيهقيُّ**:«وأما حديث سعد بـن أبي وقـاص أن النبـي ﷺ خَلَّـف عليّـاً في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله، أتَخلِّفني في النِّساء والـصِّبيان؟ فقـال:«أمـا تـرضى أن

مرسلاً (٤)عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ بنحو اللفظ السابق إلا أن في نهايته:«وكان يقال: أعلمهم بالقضاء عـلي »، وجـاء موقوفاً عن:

- عن عمر رضي الله عنه بلفظ:«أقرؤنا أبيٌّ، وأقـضانا عـليٌّ.» عنـد أحمـد في مـسنده (٢١١٢٢)، والبخـاري في صـحيحه (٤٢١١)، والحاكم في المستدرك :(٥٣٢٩).

- وعبد الله بن مـسعود رضي الله عنه قال:«كنا نتحدث أن أقضى أهـل المدينـة عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنه.» عنـد الحـاكم في المستدرك : (٤٦٥٦)، **قال الإمام السخاوي** في المقاصد الحسنة: ص١٣٦::«ومثل هذه الصيغة حكمها الرفع على الصحيح. »

(١) فتاوى الإمام النووي:ص١٨٢-١٨٤ بتصرف يسير.

(٢) فتاوى الإمام النووي:ص١٨٤ بتصرف يسير.

تكون مني بِمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبِيَّ بعدي»[1]، فليس المراد به استخلافه بعد وفاته، وإنما المراد به استخلافه على المدينة عند خروجه(*) إلى غزوة تبوك كما استخلف موسى هارون عند خروجه إلى الطُّور، وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته، وقد مات هارون قبل موسى» .

- **قال: ثُمَّ الجواب عن هذا وعن جميع ما ورد في معناه مارويناعن الحسن بن** الحسن بن علي بن أبي طالب من تنزيه علي ﷺ من كتمان ما أمره به رسول الله ﷺ، وكذلك قاله أخوه عبد الله بن الحسن، فقد روينا عنه أنه قال:«مَن الذي يَزعُم أنَّ علياً كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أَمَرَه بأمورٍ لَمْ يُنفِّذْها، فكفى ازدراءً على علي ﷺ ومَنْقَصَةً، بأنْ يَزعُمَ قومٌ أن رسول الله ﷺ أمَرَه بأمر فلمْ يُنفِّذْه»[2].

- **قال**[3]: روينا عدة أحاديث في آخر كتاب (دلائل النبوة) أنَّ علِيَّ بن أبي طالب ﷺ اعترف بأن رسول الله ﷺ لم يستخلف أَحَداً بعد وفاته منها:

٦٨- حديث شَقيق بن سَلَمة[4] قال: قيل لعليٍّ:استخلفْ عَلَينا، فقال:«ما اسْتخْلَفَ رسولُ الله ﷺ فَأَستخْلِفَ، ولكنْ إن يُرِد اللهُ بالناسِ خَيراً جَمَعَهُم على خيْرِهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٤١٥٤)، ومسلم في صحيحه، (٢٤٠٤).

(*) نهاية: ق٢٤/ ب.

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد:ص٣٥٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق:ج٢٧/ ٣٧٥.

(٣) الاعتقاد:ص٣٥٧.

(٤) هو: شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي، ولد سنة (١١هـ)أدرك النبيَّ ﷺ، ولم يرَه، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ بن جبل وسعد بن أبي وقاص وحذيفة وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وأسامة بن زيد وخلق من الصحابة والتابعين ﷺ، وروى عنه الأعمش وجامع بن أبي راشد وحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن مسروق الثوري وحماد بن أبي سليمان وجماعة، كان ثقة كثير الحديث، سكن الكوفة وكان من عبادها، توفي رحمه الله سنة (٨٢هـ).ينظر:تهذيب التهذيب:ج٤/ ٣١٧.

كما جَمَعهم بعد نبيهم ﷺ على خيْرهم»[1].

٦٩- وروى البيهقيُّ وغيرُه عن الحَكَم بن جَحْلٍ[2]، قال: خَطَبَنا عليٌّ بالبصرة فقال: «ألا لا يُفَضِّلنِّي أَحدٌ على أبي بكر وعمر لا أُوتَى برجلٍ فَضَّلَنِي عليهما إلا جلدتُه حَدَّ المُفتَرِي»[3].

باب استخلاف أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٧٠- روى البيهقيُّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «أفرس الناس ثلاثة الملك حين تفرس في يوسف، والقوم فيه زاهدون وابنة شعيب في موسى فقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦) وأبو بكر حين تفرَّسَ في عمر فاسْتَخلَفَه»[4].

باب استخلافِ عُثْمان بنِ عَفَّان رضي الله عنه

- قال البيهقيُّ: «وروينا عن الإمام الشافعي أنه كان(*) يقول: «أفضل النَّاس بعد

---

(١) أخرجه البزار في مسنده، (٥٦٥)، والحاكم في المستدرك، (٤٤٦٧)وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والبيهقي في السنن الكبرى، (١٦٣٥٠) قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩/ ٤٧: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحرث وهو ثقة. »

(٢) هو: الحكم بن جَحْلٍ الأزدي البصري، روى عن حجر العدوي وعطاء بن أبي رباح وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وعن أم الكرام عن جدها عن علي رضي الله عنه، وروى عنه الحجاج بن دينار وسعيد بن أبي عروبة وأبو عاصم العباداني، وثَّقه الإمام يحيى بن معين، روى له الترمذي حديثاً واحداً. ينظر: تهذيب الكمال: ج٧/ ٩١، تهذيب التهذيب: ج٢/ ٣٦٥.

(٣) أخرجه البيهقي في الاعتقاد: ص٣٥٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ج٢٦/ ٣٤٣.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٣٧٠٥٨)، والحاكم في المستدرك، (٣٣٢٠)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في الاعتقاد: ص٣٥٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ج٤٤/ ٢٥٥.

(*) نهاية: ق٢٥/ أ.

رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم». **وفي رواية أخرى عنه أنه قال**: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[1].

- **قال**:«وروينا أيضاً عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنَّما اخْتَلَف من اختلَفَ منهم في عليٍّ وعثمان، ونحن لا نُخَطِّئ واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فَعَلُوا. » قال: وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا[2].

قلت: وروى الْهروي: أنَّ حماد بن زيد رُئِيَ بعد موته، فقيل: ما وجدت هناك ؟ قال: ما وجدت النجاة إلا بالسُّنَّة، وتَقديمي عثمان رضي الله عنه، لقد أعطيت بتقديمي عثمان قصراً في الجنة.

باب استخلاف أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٧١- **روى أبو داود والبيهقيُّ وغيرُهُما** عن سفينة[3]، قال: قال رسول الله ﷺ:«خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»، ثم ذكر سفينة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، قال سعيد جُمهان[4] : إن هؤلاء[5] يزعمون أن علياً لم يكن

---

(١) الاعتقاد:ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) الاعتقاد:ص٣٦٩.

(٣) سفينة: لقب واسمه مهران، وقيل: رومان وقيل عمير، وكنيته أبو عبد الرحمن وهو مولى رسول الله ﷺ وقيل مولى أم سلمة رضي الله عنها. عون المعبود:ج١٢/ ٢٦٠.

(٤) يعني لسفينة رضي الله عنه.

(٥) يعني بني مروان بن الحكم، والأستاه جمع أست، وهو العجز ويطلق على حلقة الدبر، والمراد أنه كلمة خرجت من دبرهم، والزرقاء امرأة من أمهات بني أمية. ينظر: عون المعبود:ج١٢/ ٢٦٠، تحفة الأحوذي:ج٦/ ٣٩٦.

خليفة، قال: كذبت أُستاه بني الزرقاء[1].

٧٢- **وروى البيهقيُّ عن الحسن البصريِّ قال: لما قدم عليٌّ البصرةَ في إِثْر طلحةَ** وأصحابه قام عبد الله بن الكوَّاء، وابن عباد فقالا له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرك هذا أوصية أوصاك بها رسول الله ﷺ؟[2] فقال: ما أكون أوَّلَ كاذب عليه والله ما مات رسول الله ﷺ موتَ فَجْأة، ولا قُتِل قَتلاً، ولقد مَكَثَ في مرضه، كلُّ ذلك يأتيه المؤذِّن فيؤذِّن بالصلاة فيقول:«مروا أبا بكر ليصلي بالناس»، ولقد تركني وهو يرى مكاني، ولو عهدَ إليَّ شيئاً لقمْتُ به، حتى(*) عَرَضت في ذلك امرأةٌ من نسائه، **فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلو أمرْتَ عمرَ أنْ يُصلِّيَ بالناس، قال لها**:«إنكن صواحب يوسف»، فلمَّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ نَظَرَ المسلمون في أمرهم، فإذا رسولُ الله ﷺ قد وَلَّى أبا بكرٍ أمرَ دينِهم، فَوَلَّوه أمْرَ دنياهم، فَبايَعه المسلمون، وبايعتُهُ معهم، فكنْتُ أغزو إذا أغزاني، وآخُذُ إذا أعطاني، وكنتُ سَوطاً بين يديه في إقامة الحدود، فلو كانت محاباة عند حضور موته، لجَعلها لولده، فأشَارَ بعمر، ولَمْ يألُ، فَبايعه المسلمون وبايعتُهُ معهم، فكنتُ أغزو إذا أغزاني، وآخُذُ إذا أعطاني، وكنتُ سوطاً بين يديه في إقامة الحدود، فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها لولده، وكرِهَ أنْ يَنْتَخبَ مِنَّا معشر قريش رجلاً، فيولِّيه أمرَ الأُمَّة، فلا يَكون فيه إساءة لِمَن بَعدَه إلا لحِقَتْ عمرَ في قبره فاختارَ مِنَّا ستَّةً أنا فيهم لنختارَ للأُمَّة رجلاً مِنَّا فلـمَّا اجتمعْنا وَثَب عبدُ الرَّحمن فوهب لنا نصيبَه مِنها على أنْ نُعطيَه مواثيقنا على أن يَختارَ من الخمسةِ رجلاً فَيولِّيه أمرَ الأمة، فأعطيناه مواثيقَنا، فأَخَذَ بيد عثمانَ، فبايَعَهُ، ولقد عَرَضَ في نفسي عند ذلك، فلمَّا نظرْتُ في أمري، فإذا عهدي قد سبق بيعتي، فبايَعتُ وسَلَّمْتُ، فكنتُ أغزو

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٦٤٦)، والترمذي في سننه، (٢٢٢٦) وقال:«هذا حديث حسن».

(٢) بقيَّةُ كلامهم: أم عَهدٌ عَهِدَه إليك؟ أم رأيٌ رأيتَه حين تفرَّقَتِ الأُمَّةُ واختلفتْ كلمَتُها ؟

(*) نهاية: ق٢٥/ ب.

إذا أغزاني، وآخذ إذا أعطاني، فلمّا قُتلَ عثمان نظرتُ في أمري فإذا الرِّبْقة التي كانت لأبي بكر وعمر في عنقي قد انْحلَّتْ، وإذا العهدُ لعثمان قد وَفَّيتُ به، وإذا أنا برجلٍ مِن المسلمين ليس لأحَدٍ عندي دعوى ولا طلب فوثب فيها من ليس مثلي - يعني معاوية - لا قرابته كقرابتي ولا عِلمُه كعلْمي ولا سابقَتُه كسابقتي، وكنتُ أحقَّ بها منه، قالا: صدقتَ، فأخبِرْنا، عن قتالِكَ هذين الرجلين - يعنيان طَلْحةَ والزُّبَير - صاحباك في الهجرة وصاحباك في بيعة الرضوان وصاحباك في المشورة، قال: بايَعاني بالمدينة، وخالفاني بالبصرة، ولو أنَّ رجلاً(*) مِمَّن بايَعَ أبا بكر خَلَعه لقاتلْناه، ولو أنَّ رجلاً مِمَّنْ بايَع عمرَ خَلَعه لقاتلناه»[1].

- قال البيهقيُّ رحمه الله :«سَمعتُ الشَّيخَ الإمام [أبا سهل بن محمد الصُّعْلوكي][2] وهو يذكر ما يَجمع هذا الحديث من فضائل علي رضي الله عنه ومناقبه ومزاياه ومحاسنه ودلالات صدقه وقوة دينه وصحة بيعته، قال:« ومن كبارِها[آيةٌ][3] لم يَدَعْ ذكرَ ما عَرَضَ له فيما أجرى إليه عبدُ الرحمن[4] وإن كان يسيراً حتى قال[5]:«ولقد عَرَضَ في نفسي عند ذلك»، وفي ذلك ما يوضِّح أنه لو عَرَضَ له في أمر أبي بكر وعمر شيءٌ، واختلفَ له فيه سرٌّ

(*) نهاية: ق٢٦/ أ.

(١) أخرجه بطوله:البيهقيُّ في الاعتقاد:ص٣٧١، وابن عساكر في تاريخ دمشق:ج٤٢/ ٤٤٠، والضياء المقدسي- باختصار يسير- في المختارة، (٧٠٥)والحافظ ابن حجر في المطالب العالية:ج١٨/ ١٠١-١٠٢، (٤٣٩٤)، وأصله في مسند الإمام أحمد، (١٢٧٠)، وسنن أبي داود، (٤٦٦٦).

(٢) هكذا في الأصل، والصحيح كما في الاعتقاد:ص٣٧٢:«سَمعتُ الشيخَ الإمام أبا الطَّيِّب سهل بن محمد الصُّعْلوكي.» وقد مرت ترجمته، وهو ولد الإمام أبي سهل الصُّعلوكي، وهو أيضاً شيخ الإمام البيهقي، رحمهم الله جميعاً.

(٣) هكذا في الأصل، وفي الاعتقاد:ص٣٧٢: [أنَّه].

(٤) يعني عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما رشَّحَ عثمان رضي الله عنه.

(٥) أي الإمام علي رضي الله عنه.

وعَلنٌ، لبيَّنه بصريحٍ أو نَبَّه عليه بتعريضٍ، كما فَعل فيما عَرَضَ له عند فعل عبد الرحمن ما فعل».

- **قال البيهقيُّ**:«وكان السبب في قتال طلحة والزبير علياً أنَّ بعضَ النَّاس صَوَّرَ لَهما أنَّ علياً كان راضياً بقتلِ عثمان فذهبا إلى عائشة أمِّ المؤمنين وحَملاها على الخُروج في طَلَبَ دَمِ عُثمان[1]، وكان عليٌّ ﷺ بريئاً مِمَّن قتل عثمان.

٧٣- وكان يقول:«والله ما قتلتُ، ولا أمَرْتُ، ولا رضيتُ، ولا شاركتُ في قَتْل عثمان، ولكنْ غُلِبْتُ»[2].

٧٤- وكان يقول:«إنِّي لأرجو أنْ أكونَ أنا وعثمان من الذين قال الله ﷻ في حقِّهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ (الحجر)»[3]

- **قال البيهقيُّ**[4]:«ثُمَّ إنَّه لَم يَخرجْ مَن خَرج عليه ببغيه، عن الإسلام، فقد.....

٧٥- كان رسول الله ﷺ يقول:«لا تقوم السَّاعةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئتانِ عظيمتان، تكون بينهما مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ، ودعْواهُما واحدة»[5] روينا ذلك مسنداً من حديث أبي هريرة، **قال**: ويعني بقيام الساعة انقراض ذلك العصر، والله أعلم، وصحيح عن عليٍّ ﷺ أنَّه

---

(١) بقية كلام الإمام البيهقي في الاعتقاد:ص٣٧٢:...والإصلاح بين النَّاس بتخليةِ عليٍّ بينهم، وبين من قدم المدينة في قتل عثمان، فجرى الشيطان بين الفريقين حتى اقتتلوا، ثُمَّ ندموا على ما فعلوا، وتابَ أكثَرُهم، فكانتْ عائشة تقول:«وددتُّ أنِّي كنتُ ثكلْتُ عَشَرةً مثلَ وَلد الحارث بن هشام، وأنِّي لم أسرْ مسيري الذي سِرتُ.»، وروي أنها ما ذكرت مسيرها قط إلا بكت حتى تبلَّ خِمارَها وتقول:«يا ليتني كنت نسياً منسياً.»

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، (١١١)، والبيهقي في الاعتقاد:ص٣٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ج٢٥/ ١١٧-١١٨ والحافظ ابن حجر في المطالب العالية:ج١٨/ ٩٨.

(٣) الاعتقاد:ص٣٧٢و٣٧٤.

(٤) في الاعتقاد:ص٣٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٤١٣)، ومسلم في صحيحه، (١٥٧) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.

قَاتَلَهم قِتالَ أهْل العَدل مَعَ أهل البَغْيِ، فكان أصحابُهُ لا يُجهزون على جريحٍ، ولا يقتلون مولِّياً(*) ولا يسلبون قتيلاً، وروينا ذلك مسنداً»[1]

٧٦- قال ورَوَيْنَا عن الْحَسَن أَنَّه قال: سَمعتُ أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي معه إلى جنبه، وهو يلتفت إلى الناس مَرَّةً وإليه مَرَّةً ويقول: «إنَّ ابنِي هذا سيِّدٌ، ولعَلَّ اللهُ يُصلِحُ بِهِ بين فِئَتَينِ من المسلمين»[2]. قال سفيان: قوله «فئتين من المسلمين» يعجبنا جداً[3].

- **قال البيهقيُّ**[4]: «وإنَّما أَعجَبَهم؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمَّاهما جميعاً مسلِمِين، وهذا خَبَرٌ مِن رسول الله ﷺ بِما كان من الحسن بن علي بعد وفاة عليٍّ في تسليمه الأمرَ إلى معاوية ابن أبي سُفْيان[5]، وقال في خُطْبَتِهِ[6]:

(*) نهاية: ق٢٦/ ب.

(١) أخرجه البيهقي مسنَداً من عدة طرق في سننه الكبرى، (١٦٥٢٤)، عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه أَمَرَ مناديه فنادى يومَ البصرة: «لا يُتبَع مُدبِرٌ، ولا يُذَفَّف- يُجهَز- على جريح، ولا يُقتَل أسيرٌ، ومَن أغلَق بَابَه فهو آمنٌ، ومن ألقى سلاحَه فهو آمن.»

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٥٥٧)، وأبو داود في سننه، (٤٦٦٢)، والنسائي في سننه الكبرى، (١٧١٨)، وابن حبان في صحيحه، (٦٩٦٤)، والحاكم في المستدرك، (٤٨٠٩).

(٣) الاعتقاد: ص٣٧٧.

(٤) في الاعتقاد: ص٣٧٧.

(٥) قال الإمامُ الكبير **ابنُ عبد البَر** في كتابه الاستيعاب: ج١/ ٣٨٧: «ولا خلاف بين العلماء أنَّ الحَسَن إنَّما سَلَّم الخلافةَ لمعاوية حياته لا غير، ثُمَّ تكون له - أي للحسَن - من بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك، ورَأَى الحَسنُ ذلك خيراً من إراقة الدماء في طَلَبها، **وإن كان عند نفسه أحق بها.** »

(٦) أخرجها البيهقي في الاعتقاد: ص٣٧٧، وابن عبد البر في الاستيعاب: ج١/ ٣٨٧-٣٨٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج١٣/ ٢٧٦.

٧٧- « أيُّها النَّاسُ، إنَّ الله هداكُم بأوَّلنا وحَقَن دمـاءَكم بآخرنـا، وإنَّ هـذا الأمـرَ الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاوية ما هو حقٌّ لامْرِئٍ كان أحقَّ به منِّـي، بـل حـقٌّ لي تَرَكْتُـه لِمعاوية؛ إرادةَ إصلاح المسلمين، وحَقنِ دمائهم، بل ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الأنبياء:١١١)».

- **قال الإمام البيهقيُّ**[1] رحمه الله: «هذا الذي أودعناه هـذا الكتـاب، ورَوَيْنـاه بالـسَّند الصَّحيح، هو اعتقادُ أهل السُّنَّة والجماعة وأقوالهُم، وقد أَفرَدْنا كلَّ بـاب منهـا بكتـاب مشتمل على شرحه، مُنوَّراً بدلائله وحُجَجِه، واقْتَصرْنا في هذا الكتاب على ذِكْر أُصولِه، والإشارة إلى أطْرافِ أدلَّتِه، إرادةَ الانتفاع للنَّاظِرِ فيه، واللهُ يُوفِّقُنا لِمتابعةِ السُّنَّة واجتناب البِدْعة، ويجعَلَ عاقبةَ أُمورِنا إلى رَشَدٍ وسَعادَةٍ بِفَضْلِه، وسعةِ رحْمته إنَّـه الحَنَّـانُ المَنَّـان الواسعُ الغُفران.» آمين اللهمَّ آمين

انتهت العقيدة على يَدِ مؤلِّفها، وكاتِبها فقيرِ رحْمة ربِّه عبدِ الوهَّاب بنُ أحمد الشَّعَرانيُّ الشَّافعيُّ الأنصاريُّ، - عفا الله عنه -، في ثالث المُحَرَّم سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، حامداً، مصلِّياً، مُستَغْفِراً، والحَمْد لله ربِّ العالمِين، وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنا مُحمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبه، وسَلَّم تسليماً كثيراً، دائماً أبداً إلى يوم الدِّين.

وكان الفراغ من كتابتها على يـد الفقير الفاني مُحيي الدِّين المُليجي[2] الشَّافعي الشَّعرانِي، العبَّاسي، عفا الله تعالى عنه والمسلمين أجمعين، في يوم الأربعاء، ثامن شهر جمادى الآخرة من شهور سنة تسع وثمانين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[3].

---

(١) في الاعتقاد: ص٣٧٧.

(٢) تقدمت ترجمته عند الكلام عن ناسخ هذا الكتاب.

(٣) وفي نهاية هذا الكتاب أقول: اللهم ارحم الإمامَ البيهقي والإمام الشعراني، وغيرهم من علماء المسلمين الذين خدموا هذا الدين بجد وإخلاص، واجعلهم عندك في أعلى عليين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين، وعمَّنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين، آمين.

وكان الفراغ من تحقيق هذا الكتاب على يد العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف رضوان الكَود - غَفَرَ اللهُ له ولوالديه ولسائر المسلمين- في يومِ الاثنين، (٢٥) رجب سنة: (١٤٢٩) من هجرة سيدنا محمد ﷺ، الموافق لـ ٢٨ / تموز/ ٢٠٠٨ ميلادية، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، و الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

- الإبانة للإمام أبي الحسن الأشعري، دار الأنصار، القاهرة، ط:١/١٣٩٧هـ، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود

- الأجوبة المرضيَّة عن أئمة الفقهاء والصوفية للإمام الشعراني، مكتبة أم القرى، القاهرة، ط:١/١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، تحقيق: د/ عبد الباري محمد داود .

- الأحاديث المختارة: للإمام الضياء المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:١/١٤١٠هـ تحقيق: عبد الملك دهيش.

- أحكام القرآن: للإمام أبو بكر بن العربي دار الفكر، لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

- الإحكام في أصول الأحكام: للإمام ابن حزم الأندلسي ، دار الحديث ، القاهرة، ط:١/١٤٠٤هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : للإمام ابن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

- أسرار أركان الإسلام للإمام الشعراني ، دار التراث العربي ، ط:١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. تحقيق: عبد القادر عطا

- الأسماء والصفات للإمام البيهقي، المكتبة الأزهرية للتراث،تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري.

- الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ط:١/١٤١٢ هـ ١٩٩٢، تحقيق: علي محمد البجاوي.

- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: للسيد أبي بكر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت

- الاعتقاد للإمام البيهقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:١/١٤٠١هـ تحقيق: أحمد عصام الكاتب.

- الأم: للإمام الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط:٢/١٣٩٣هـ

- الأمالي المطلق: للإمام ابن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١/١٤١٦ هـ١٩٩٥م، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

- الإمام البيهقي: للدكتور نجم عبد الرحمن خلف، دار القلم، دمشق:ط:١/١٤١٤هـ١٩٩٤م.

- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث: للدكتور بديع اللحام، دار قتيبة، دمشق، ط: ١/١٩٩٤م

- إيضاح الدليل: للإمام ابن جماعة، دار اقرأ، دمشق، ط:١/١٤٢٥هـ٢٠٠٥ تحقيق الشيخ وهبي غاوجي الألباني.

- البحر المورود في المواثيق والعهود: للإمام الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت ط :٢/٢٠٠٢م، تحقيق: محمد أديب الجادر.

- بدائع الزهور: لابن إياس الحنفي، الهيئة المصرية للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة.

- البداية والنهاية: للإمام ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

- البدر الطالع: للإمام المحلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- بيان خطأ من أخطأ على الشافعي: للإمام البيهقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١/١٤٠٢، تحقيق: د/ الشريف نايف الدعيس.

- البيان لما يشغل الأذهان: للدكتور علي جمعة، دار المقطم للنشر و التوزيع، القاهرة.

- تاج العروس من جواهر القاموس: للإمام محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

- تاريخ الأدب العربي: لبروكلمان: الهيئة المصرية لعامة للكتاب، ١٩٩٣، ترجمة: محمود حجازي.

- تاريخ الأدب العربي: للدكتور شوقي ضيف (عصر الدول والإمارات – مصر)، دار المعارف، القاهرة، ط:٢.

- تاريخ الأدب العربي: للدكتور عمر فرُّوخ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٣م.

- تاريخ الإسلام: للإمام الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١/١٤٠٧هـ١٩٨٧م، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري.

- تاريخ التشريع الإسلامي: للشيخ محمد الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/١٩٨٨م.

- تاريخ التشريع الإسلامي: للشيخ محمد علي السايس، دار العصماء، دمشق، ط: ١/١٩٩٧م تحقيق: د/علاء الدين زعتري.

- تاريخ الخلفاء: للإمام السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ط:١/١٣٧١هـ١٩٥٢م، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.

- تاريخ الدولة العلية العثمانية: لفريد بك المحامي، دار النفائس، بيروت.

- تاريخ بغداد: للإمام الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق : للإمام ابن عساكر، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت

- تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج: للإمام ابن الملقن، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١/١٩٩٤م، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

- تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب: للشيخ أبي الأنس المليجي، الدار الجودية، القاهرة، ط: ١/٢٠٠٥، تحقيق: د : جودة المهدي و د : محمد نصار .

- تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع: للإمام الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

- التعاريف: للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:١/١٤١٠هـ، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية.

- التعريفات: للإمام السيد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط :١/ ١٤٠٥هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري.

- تفسير القرآن العظيم: للإمام ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

- تقريب التهذيب: للإمام ابن حجر العسقلاني،دار الرشيد،سوريا،ط:١/ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦، تحقيق: محمد عوامة.

- التمهيد: للإمام ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف، المغرب،١٣٨٧هـ تحقيق: مصطفى العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

- تنبيه المغترين: للإمام الشعراني، دار البشائر، دمشق،ط:٢/١٩٩٩، بتحقيق: الشيخ عبد الجليل عطا البكري.

- تهذيب التهذيب: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الفكر،بيروت،ط:١/ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤.

- تهذيب الكمال: للإمام أبي الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١/١٤٠٠ هـ ١٩٨٠، تحقيق: د/ بشار عواد معروف.

- التيسير بشرح الجامع الصغير: للإمام عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط:٣/ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- الجامع: للإمام معمر بن راشد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢/ ١٤٠٣هـ تحقيق: حبيب الأعظمي.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- الجامع لأحكام القرآن: للإمام أبي عبد الله القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

- الجواهر و الدرر: للشيخ الشعراني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط : ١٤١٨/١هـ ١٩٩٨م .

- حاشية ابن عابدين: للإمام المحقق محمد أمين عابدين، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب: للشيخ البجيرمي، المكتبة الإسلامية - ديار بكر — تركيا.

- خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): لأحمد المقريزي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

- خلاصة الأحكام: للإمام النووي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١/١٤١٨هـ-١٩٩٧م، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل.

- خلق أفعال العباد: للإمام البخاري، دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة.

- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت.

- الدر المنثور: للإمام جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

- الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة: للإمام الشعراني، طبع مع كتاب أسرار أركان الإسلام للشعراني بدار التراث العربي، القاهرة، ط١/١٩٨٠م، بتحقيق: الشيخ عبد القادر عطا.

- دلائل النبوة: للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١٤٢٣/٢هـ-٢٠٠٢م، تحقيق: الدكتور عبد المعطي الدالاتي .

- الديباج على مسلم: للإمام السيوطي، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ ١٩٩٦، تحقيق: أبو إسحاق الحويني.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للإمام شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سمط النجوم العوالي: لعبد الملك العاصمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض.

- السنة: لعبد الله بن الإمام أحمد، دار ابن القيم، الدَّمَّام، ط:١/ ١٤٠٦هـ، تحقيق: د/ محمد سعيد القحطاني.

- سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- سنن أبي داود السجستاني، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

- سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،١٤١٤هـ ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر.

- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط : ١/ هـ ١٤٠٧، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

- سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط:١٤١٣/٩هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

- شذرات الذهب: للإمام ابن العماد الحنبلي، دار بن كثير، دمشق، ط:١٤٠٦/١هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.

- شرح الإمام الصاوي على جوهرة التوحيد، دار ابن كثير، دمشق، ط:١٤٢٨/٥هـ-٢٠٠٧، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح البزم.

- شرح الكوكب الساطع: للإمام السيوطي، ج١/٤١،٤٠ دار السلام، القاهرة، ط:١٤٢٦/١هـ ٢٠٠٥م، تحقيق: د/ محمد الحفناوي.

- شرح صحيح مسلم: للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٢/ ١٣٩٢هـ.

- شعب الإيمان للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤١٠/١هـ.

- صحيح ابن حبان: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢ /١٤١٤هـ ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

- صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت ،١٣٩٠ هـ ١٩٧٠/تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي.

- صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- صحيح الإمام البخاري، دار ابن كثير و اليمامة، بيروت، ط: ٣/ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا.

- الضياء اللامع شرح جمع الجوامع للإمام، حلولو المالكي، نشر مركز ابن العطار، القاهرة، ط١/ ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤.

- طبقات الشاذلية: للشيخ الحسن الكوهن، مكتبة البيروتي، دمشق، ط:١/٢٠٠٠م، تحقيق: محمد أديب الجادر.

- طبقات الشافعية الكبرى: للإمام تاج الدين السبكي، دار هجر، ط:٢/١٤١٣هـ، تحقيق: د/ محمود الطناحي، د/ عبد الفتاح الحلو.

- طبقات الشافعية: للإمام ابن قاضي شهبة، دار عالم الكتب، بيروت، ط:١/١٤٠٧هـ تحقيق: د/ الحافظ عبد العليم خان.

- الطبقات الصغرى: للإمام الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/١٤١٩هـ/١٩٩٩م، تحقيق: محمد عبد الله شاهين.

- طبقات الفقهاء الشافعية: للإمام ابن الصلاح، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:١/١٩٩٢م، تحقيق: محيي الدين علي نجيب.

- عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر: للدكتور عبد الحفيظ القرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

- العبر في خبر من غبر: للإمام الذهبي، مطبعة حكومة الكويت، ط:٢/ ١٩٨٤، تحقيق: د/ صلاح الدين المنجد.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- عون المريد بشرح جوهر التوحيد: للأستاذين عبد الكريم تتان ومحمد الكيلاني، دار البشائر، دمشق، ط:٢/١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- غاية المأمول في شرح ورقات الأصول: للإمام شهاب الدين الرملي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط : ١/٢٠٠٥م، تحقيق: عثمان يوسف حاجي أحمد.

- غاية الوصول شرح لب الأصول: للشيخ زكريا الأنصاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٠هـ ١٩٤١م.

- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع: للإمام ولي الدين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

- فتاوى الإمام النووي: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:١/٢٠٠٥هـ ١٤٢٦م، تحقيق: عماد الدين دحدوح.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب .
- فتح القدير: للإمام محمد بن علي الشوكاني: دار الفكر، بيروت.
- الفِصَل في المِلَل: للإمام ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- فهرس الفهارس: للشيخ عبد الحي الكتاني دار العربي الإسلامي، بيروت، ط:٢ / ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، تحقيق: د/ إحسان عباس.
- الفوائد: للإمام ابن منده، مكتبة القرآن، القاهرة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم.
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: للشيخ أحمد النفراوي المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: للإمام عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: ١٣٥٦/١هـ.
- قواعد العقائد: للإمام الغزالي، دار عالم الكتب، لبنان، ط: ١٤٠٥/٢هـ ١٩٨٥م، تحقيق: موسى محمد علي.
- القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية: للإمام الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت ط:١٤٢٧/١هـ ٢٠٠٦م، تحقيق الدكتور: مهدي أسعد عرار.
- كتاب الدعوات الكبير: للإمام البيهقي، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، تحقيق: بدر البدر.
- كتاب القدر: للإمام الفريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط:١٤٢١/١هـ ٢٠٠٠م، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم.
- كشف الغمة عن جميع الأمة: للإمام الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١٤١٩/١هـ -١٩٩٨م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: للإمام عبد الرؤوف المناوي، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: د عبد الحميد حمدان.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: للإمام نجم الدين الغزي، نشر محمد أمين دمج و شركاه، بيروت، تحقيق: جبرائيل جبور.
- لُباب الإعرابِ المانع من الَّلحنِ في السُّنَّة والكتاب: للإمام الشعراني: تحقيق: د/ مها بنت عبد العزيز العسكر ود/ نوال بنت سليمان الثنيان، كلية التربية للبنات بالرياض.
- لطائف المنن و الأخلاق (المنن الكبرى): للإمام الشعراني، دار التقوى، دمشق، ط:٢٠٠٤/١م. بعناية: أحمد عناية.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: للإمَام الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢٠٠٥/٢م.

- المجتبى من السنن: للإمام النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

- مجمع الزوائد: للإمام الهيثمي، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- المدرسة الشاذلية: للشيخ الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للإمام ملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عيتاني.

- المستدرك: للإمام الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤١١هـ

- مسند أبي يعلى: للإمام أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط:١/١٤٠٤ هـ ١٩٨٤، تحقيق: حسين سليم أسد.

- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر.

- مسند البزار: للإمام البزار، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط:١/١٤٠٩هـ تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله.

- مسند الشهاب: للإمام القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢/ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: للإمام أحمد الكناني البوصيري، دار العربية، بيروت، ط:٢/ ١٤٠٣هـ، تحقيق:محمد الكشناوي.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للإمام أحمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية: لمحمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١ /١٩٦٩م.

- مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١ /١٤٠٩هـ ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

- المصنف: للإمام عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢/ ١٤٠٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

- المطالب العالية: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة/ دار الغيث، السعودية، ط:١/١٤١٩هـ تحقيق: د/ سعد الشتري.

- المعجم الأوسط: للإمام الطبراني، دار الحرمين، القاهرة ، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

- معجم البلدان: لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.

- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع: للدكتور محمد صالحية، طبع معهد المخطوطات العربية، عام ١٩٩٣م.

- المعجم الكبير: للإمام الطبراني، مكتبة الزهراء، الموصل، ط:٢/١٤٠٤هـ ١٩٨٣، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة: ج٦/٢١٨ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- معجم المطبوعات العربية: ليوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، دون تاريخ.

- معرفة السنن والآثار: للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: سيد كسروي حسن.

- معرفة السنن والآثار: للإمام البيهقي، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية المتحدة سنة ١٩٦٩م، تحقيق: أحمد صقر.

- المغني عن حمل الأسفار: للحافظ العراقي، مكتبة طبرية، الرياض، ط:١/١٤١٥هـ ١٩٩٥م، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

- المقاصد الحسنة: للإمام السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١/١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عثمان الخشت.

- المِلَل والنِّحَل: للإمام الشهرستاني، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤هـ،تحقيق: محمد كيلاني.

- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: للدكتور أحمد شلبي: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:٧/١٩٨٦.

- نزول الرحمة في التحدث بالنعمة: للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/٢٠٠٣م، تحقيق: بدر الطنجي.

- نصب الراية لأحاديث الهداية: للإمام الزيلعي، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري.

- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام ابن الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي.

- وفيات الأعيان: للإمام شمس الدين بن خلكان، دار الثقافة، لبنان، تحقيق: إحسان عباس.

- اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر: للإمام الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

فِهرس